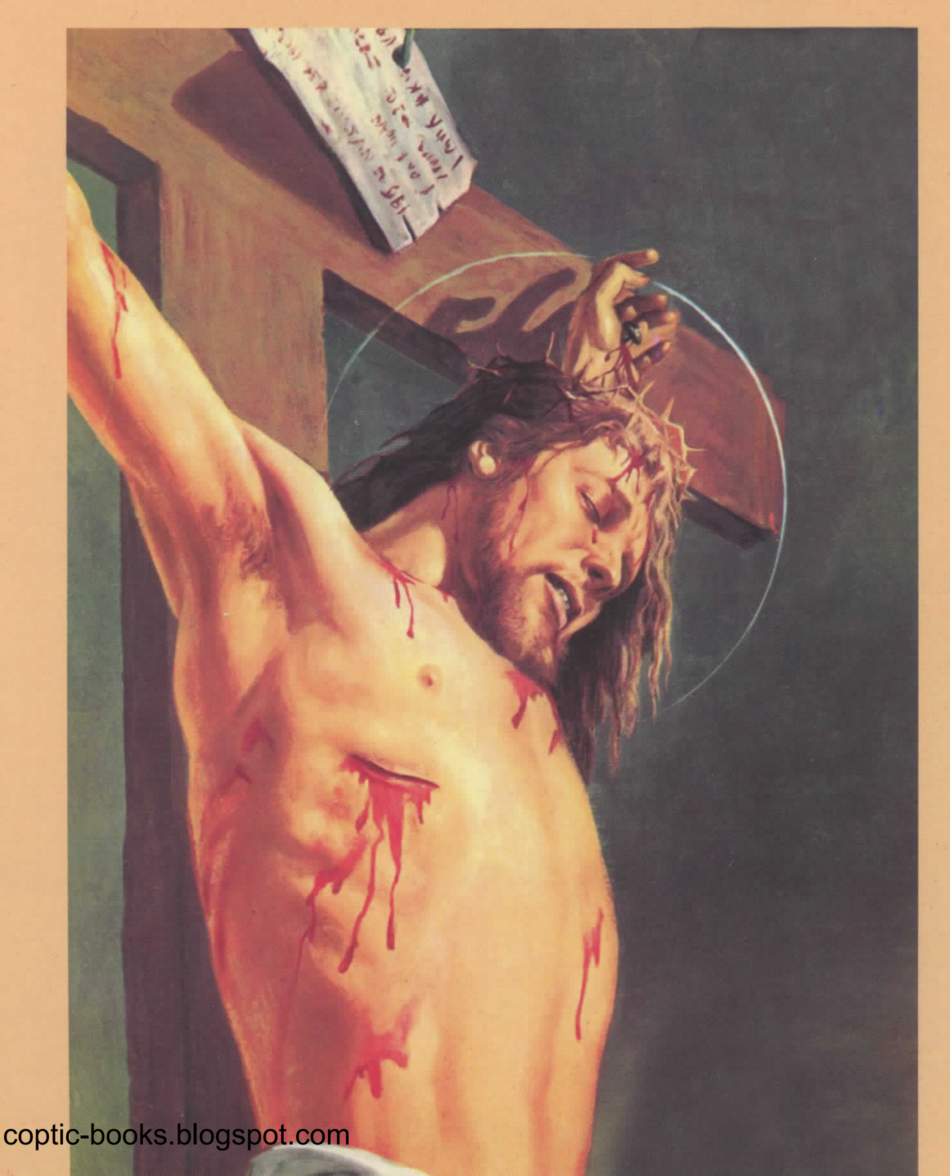
ساعة بساعة
مع أناجيل أسبوع الآلام

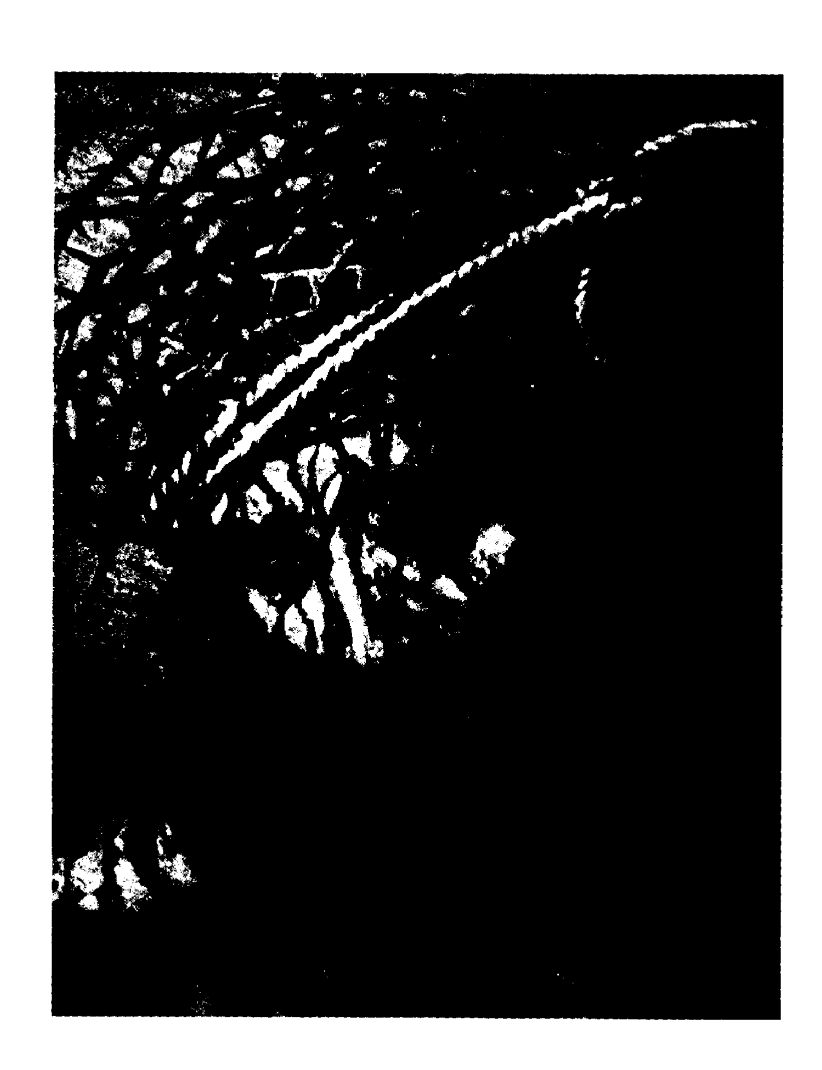


دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

ساعة بساعة
مع
أناجيل أسبوع الآلام

كلمات للأب متى المسكين

اسم الكتاب : ساعة بساعة مع أناجيل أسبوع الآلام
إعداد وتجميع : الراهب أرسانيوس المقاري
مراجعة وتنسيق : الراهب إيرنيئوس المقاري
رقم الايداع : ٣٨١٨ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي : 8 - 287 - 240 - 977 - 978



فهرس

مقدمة أسبوع الآلام

إن كنا نتألم معه فسوف نتمجد معه

نريد هذه السنة أن ندخل في المفهوم الروحي والعملي لأسبوع الآلام بالنسبة لحياتنا. طبعاً تعرفون أن أسبوع الآلام هو الاسم الشائع والسائد لهذا الأسبوع. ولكن الاسم المحبوب والطقسي هو أسبوع الفصح، أو أسبوع البصخة، حيث أنهما كلمة واحدة بنطق مختلف. وأصل التسمية هو حمل الفصح، الخروف الذي بدمه مُسحت أعتاب بيوت شعب إسرائيل، فكان الملاك المُهلك يعبر عليهم ولا يمسهم سوء. وهذا بالطبع كان رمزاً قوياً للحمل الوديع، للمسيح المصلوب، الذي بدم نفسه مُسحت أعتاب شفاهنا وحياتنا وعبرنا من الموت إلى الحياة.

هو في الحقيقة أسبوع فصح، ويتخذ اسمه من اليوم الأخير، الجمعة الكبيرة، حيث قمة آلامه، يوم ذبح الحمل على الصليب، ولكن لو جمعنا الكلمتين يمكن نسمي أسبوعنا هذا بـ: أسبوع الآلام الفصحية، حيث عبر الرب بنا وبالخطاة وبجسد الخطية، من الموت إلى الحياة والقيامة؛ من العقوبة والغضب الإلهي، إلى التبرير والخلاص الأبدي. اسمعه وهو مُنكسر القلب يتكلم عمّا سيحدث له: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الأمم فيُهزأُ به ويُقتل». نحن نقولها الآن كأنه كلامٌ عاديٌ، إطلاقاً، ليس الأمر هكذا. المسيح كان يجلس مع تلاميذه في جلسة محبة ودية، وفجأة يتغير مجرى الكلام ويقول لهم هذه الأمور الصعبة، الأمر الذي أذهلهم واستنكروه ورفضوه وانزعجوا من أجله بشدة.

نحن للأسف من كثرة ما قرأنا وتحدثنا عن هذا الأسبوع، وحوَّلناه إلى مناسبة

طقسية، أُصبنا بداء الاعتياد ولم يعد يؤثر فينا. نريد هذه السنة أن نجوز هذا الأسبوع بحق مع الرب، ليس كاعتياد وطقوس وألحان، ولكن أن نسير على إثر خطواته، نجوزه بعهد أن نتألم كما هو تألم، نتألم معه بحب.

في الحقيقة يا أحبائي، من المستحيل أن يجوز أحد آلام المسيح إلا بالحب، وينبض نبضة الحب الإلهي.

هناك نوعان من الآلام: آلام طوعية وآلام جبرية. الآلام الطبيعية مثل أصوامنا أو خدماتنا وعملنا الجسدي، كل هذه لا قيمة لها، ما لم تسندها النعمة، وما لم نعتبرها شركة في آلام المسيح.

علينا أن نجوز هذا الأسبوع على أساس القيامة الفعلية، فإذا كان الرب قد تألم؛ فهو أيضاً قام، هذا يعطينا قوة سرية روحية لا نهائية. أقول هذا بالأخص للذين هم يشتكون من آلام جسدية ومن ضعف النفس ومن محاربات الشيطان. أما أنا أقول لهؤلاء: اصبروا، تقووا، الرب معكم، لا تخافوا، الرب معين، الرب ناصر لن يتخلى أبداً. فإذا كنا قد عرفنا أن الرب بعد كل آلاماته المُرة، وبعد الأحزان الشديدة التي ذاقها، وبعد انكسار قلبه ونفسه، وغُصة الموت التي جازها..ففي ضوء القيامة ستكون كل آلامنا أيضاً لذيذة، وليست صعبة أو مصيبة أو مُفاجئة.

لذلك تعالوا اليوم نمشي على أثر خطواته، فخطوات المسيح هي هي خطواتك، والذي احتمله هو كله عنك، فإن لم تشترك معه في هذا الاحتمال عينه؛ فلن تأخذ أجره أو ثمرته والتي هي قيامته.

هل من الممكن أن هذه السنة نعمل عهداً جديداً مع بعضنا البعض، نأخذ هذا الأسبوع كعهد شركة حقيقية مع الرب. فإن كان هو تألم من أجلي؛ كيف لا أجوز أنا أيضاً بنفس هذه المشاعر؟ وأنا أعلم تماماً وبيقين وثقة روحية أن الرب صادق

والروح أمين، وإنه كما أن الآلام التي جازاها المسيح حوَّلها إلى نُصرة؛ هكذا ستتحول لي أنا أيضاً إلى قيامة وغلبة؛ إن أنا جُزتها صدقاً وإخلاصاً وأمانة. الروح ينتظر مقدار أمانتنا للمسيح. ولكن نقول ليس الأمر مجرد آلام مُجردة، فإن لم يتحرك القلب بالحب؛ فلن تكون آلام فصحية، ستكون مجرد آلام، وهنا، ما أكثر ما قضينا من أسابيع آلام!! الذي نريده هذه السنة أن تكون آلامنا فصحية تتحرك فينا وتنتهي بالعبور. نريد أن نفصح (=نعبر) في كل ساعة وفي كل يوم إلى أن نبلغ غاية فصحنا. لا نريدها آلاماً عقيمة، ولكن نريدها آلاماً تحملنا وتحمل هذا الجسد الخاطي الميت، من حياة إلى حياة أو بالحري من موت إلى حياة، من إيمان ضعيف إلى إيمان قوي، من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح.

أتمنى أن يكون لنا في هذه السنة ثمار تُفرِّح الرب وتُفرِّح السماء بنا.

هناك كثيرون من أولاده الذين جازوا معه آلام، وعبروا ودخلوا معه في نُصرة أبدية، وعاشوا في ملء حرية أولاد الله وفي ملء قوة النعمة والنصرة على الجسد والعالم، وفي ملء القوة ضد الخطية. يا أحبائي، علامة سُكنى الروح القدس أن تكون هناك فينا قوة ضد الخطية. كل العلامات الأخرى تخطئ، ولكن أن ينتصر الإنسان على الخطية؛ فهذا يسكنه الروح بالتأكيد.

لا أريد أن أقترح عليكم اقتراحات كيف تقضون وتسلكون وتصومون وتسهرون خلال هذا الأسبوع، دعوا الروح يحرككم ويتكلم داخلكم. فقط قدموا باقات حب وكلمات عهد ووعد لحياة ليس للعالم ولا يكون للجسد فيها نصيب، حياة مربوطة بقلب المسيح وتتحرك بحركته، حياة منقادة بالروح القدس، كما يُقاد الطفل الصغير في يد أبيه وهو لا يعلم إلى أين يمضي. حياة فيها حب إلهي، نجوز مع الرب آلامه بحزن حقيقي من أجل الخطايا التي بسببها تألم ومات.

ولكن اعلم، إنه ليس فضلاً مني أو منك إنك تتألم خلال هذا الأسبوع، أو أن نفسك تذبل فيك، إنه هو ذبلت نفسه من أجلك قبلاً، سُفك دمه نقطة نقطة حتى أسلم الروح بسبب خطيتك. فهذه ليست مكرمة منك، ولكنها ضريبة، ضريبة أسبوع الآلام. تأتي وتقول للرب: [أنا عليَّ ضريبة لابد أن أدفعها لك هذه السنة، سأقدمها إليك مُجبراً، ولكن بملء حبي، وبملء فرحتي. أسبوع الآلام هذا كله بسببي أنا وليس بسبب الآخرين، فاعطني أن أجوزه معك.

أعطني حزناً ليس أقل من حزنك، هبني انكساراً في قلبي كوجعك وانكسار قلبك، امنحني أنيناً كأنينك أعبر معك به هذا الأسبوع وكل المصادمات خطوة بخطوة.

شهِّر بي، يا رب، افضحني، اكشف خطاياي علناً؛ لئلا أُفتضح بعد هذا في السماء.

أعطني اتساع قلب واتساع فكر واتساع رؤية حتى أرى ماضيَّ كله فيك، وحتى عندما أتألم لا أكون أكذب على نفسي أو أكذب عليك ولا أكون أتصور أو افتعل.

أعطني يا رب إحساسك بخطايا الناس وكيف هي مرَّرَتك.

اجعلني أن أذوق ألمك وبكاءك وأنت تبكي على شعبك وأولادك الذين لم يعرفوا زمان افتقادهم.

أعطني دموعاً أذرفها معك، لا تجعلني أعيش محصوراً في خطيتي فقط وبعيداً عن صليبك الكبير. لا تحرمني من لمسة صغيرة أرى فيها آلام العالم التي أنت ذقتها].

أنا أقول لك: إن الآلام التي تجوزها لو كنت صادقاً، سوف تتحول إلى لذة وفرحة وتوبة بلا ندامة. إنك تستطيع بسهولة أن تفرق آلام المسيح عن هذه التي بحسب العالم. حزن العالم وآلامه يُنشئ توتراً وعدم راحة. هذا الحزن مرفوض. نحن عندما ندخل آلاماً حقيقية مع الرب وفيها نحزن حزن الموت إلا أننا في نهايتها تُبصر عيون قلوبنا القيامة

عياناً بياناً، وتهتز قلوبنا فرحاً، ونرنم ونقول: آلامك، يا ربي، أنشأت فيّ فرحاً، آلامك أنشأت فيّ داخلي بهجة قيامة ونوراً، لا أستطيع أن أُعبِّر عنه. تصرخ وتقول: ما هذا المجد يا ربي، أإلى هذه الدرجة تكون آلامك مُفرحة ومُعزية؟ إذن لماذا نحن محرومين منها؟! ذلك لأننا ارتضينا بالمظاهر، أتقنا الطقس، راجعنا الألحان، ظبَّطنا الهزات، وتكون النتيجة أننا ندخل ونخرج ونحن غرباء عن آلامك.

لا نريد هذا، نريد في هذا الأسبوع في كل لحظة، أن يتحرك قلبنا، كما تتحرك أوتار قيثارة بكل آلام الرب معاً، فيخرج من أعماقنا نشيد أعظم آلاف المرات من كل الألحان.

من يدخل إلى هذا الأسبوع مدخلاً حقيقياً سوف يحمل البشرية كلها في قلبه، سوف يحمل سقطات الساقطين، سوف يحمل خطية الخطاة في قلبه الصغير هذا، سوف يتسع ويتعجب كيف أن الرب استأمنه على هذه الأسرار والكرامة العليا.

هذا هو أسبوع الآلام، ما أمجدها آلام وما أعظمه فصح.

أتمنى لكم جميعاً أن يكون هذا الأسبوع أسبوعاً خالداً في حياتكم لتعيشوا في حقيقة الإنجيل لا تفارقوه ولا يفارقكم لحظة، وتذوقوا في قلوبكم وأرواحكم عمل الروح القدس في القلب، وكيف يعبر الإنسان من مصر إلى كنعان، يعبر ويتجدد من جسد عتيق لإنسان جديد مُنقاد بالروح القدس ليس له مشيئة بعد، وقد نسي زمان الخطية وأوهامها الكاذبة وتصادق مع القادر المقتدر الذي قام باقتدار وانفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات.




سبت لعازر

يو١١: ١- ٥٤

[١]وكَانَ إنْسَانٌ مَرِيضًا وَهُوَ لِعَازَرُ، مِنْ بَيْتِ عَنْيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا أُخْتِهَا. [٢]وكَانَتْ مَرْيَمُ، الَّتِي كَانَ لِعَازَرُ أَخُوهَا مَرِيضًا، هِيَ الَّتِي دَهَنَتِ الرَّبَّ بِطِيبٍ، وَمَسَحَتْ رِجْلَيْهِ بِشَعْرِهَا. [٣]فَأَرْسَلَتِ الأُخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ: «يَا سَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ». [٤]فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ، قَالَ: «هذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ». [٥]وكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ. [٦]فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ. [٧]ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضًا». [٨]قَالَ لَهُ التَّلاَمِيذُ: «يَا مُعَلِّمُ، الآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ، وَتَذْهَبُ أَيْضًا إِلَى هُنَاكَ». [٩]أَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَتْ سَاعَاتُ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ لاَ يَعْثُرُ لأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هذَا الْعَالَمِ، [١٠]وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي اللَّيْلِ يَعْثُرُ، لأَنَّ النُّورَ لَيْسَ فِيهِ». [١١]قَالَ هذَا وَبَعْدَ ذلِكَ قَالَ لَهُمْ: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ». [١٢]فَقَالَ تَلاَمِيذُهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ يُشْفَى». [١٣]وكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ مَوْتِهِ، وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ. [١٤]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ عَلاَنِيَةً: «لِعَازَرُ مَاتَ. [١٥]وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لِتُؤْمِنُوا. وَلكِنْ لِنَذْهَبْ إِلَيْهِ!». [١٦]فَقَالَ تُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ لِلتَّلاَمِيذِ رُفَقَائِهِ: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ!». [١٧]فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. [١٨]وكَانَتْ بَيْتُ عَنْيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسَ عَشْرَةَ غَلْوَةً. [١٩]وكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيُعَزُّوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا. [٢٠]فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْثَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لاَقَتْهُ، وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. [٢١]فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ ههُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي! [٢٢]لكِنِّي الآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللهِ يُعْطِيكَ اللهُ إِيَّاهُ». [٢٣]قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ». [٢٤]قَالَتْ لَهُ مَرْثَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ». [٢٥]قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، [٢٦]وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟» [٢٧]قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الآتِي إِلَى الْعَالَمِ». [٢٨]وَلَمَّا قَالَتْ هذَا مَضَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أُخْتَهَا سِرًّا، قَائِلَةً: «الْمُعَلِّمُ قَدْ حَضَرَ، وَهُوَ يَدْعُوكِ». [٢٩]أَمَّا تِلْكَ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَامَتْ سَرِيعًا وَجَاءَتْ إِلَيْهِ. [٣٠]وَلَمْ

يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ، بَلْ كَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاَقَتْهُ فِيهِ مَرْثَا. ٣١ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ يُعَزُّونَهَا، لَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ قَامَتْ عَاجِلاً وَخَرَجَتْ، تَبِعُوهَا قَائِلِينَ: «إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِيَ هُنَاكَ». ٣٢فَمَرْيَمُ لَمَّا أَتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ، خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ ههُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!». ٣٣فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي، وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ، انْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ، ٣٤وَقَالَ: «أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟» قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، تَعَالَ وَانْظُرْ». ٣٥بَكَى يَسُوعُ. ٣٦فَقَالَ الْيَهُودُ: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ!». ٣٧وَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ: «أَلَمْ يَقْدِرْ هذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هذَا أَيْضًا لاَ يَمُوتُ؟». ٣٨فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. ٣٩قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ!». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا، أُخْتُ الْمَيْتِ: «يَا سَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ». ٤٠قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟». ٤١فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، ٤٢وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». ٤٣وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:«لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» ٤٤فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ». ٤٥فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ، وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. ٤٦وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. ٤٧فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. ٤٨إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا». ٤٩فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، ٥٠وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!». ٥١وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، ٥٢وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ. ٥٣فَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ. ٥٤فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضًا يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ عَلاَنِيَةً، بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ، إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا أَفْرَايِمُ، وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ.

حلُّوه ودعوه يذهب

سبت لعازر يحمل معاني عميقة لمحبي الطقس ولهواة التلذُّذ بربط المعاني والغـوص في بحر لآلئ الأرثوذكسية.

كل ما عرفناه عن السبت والسبوت أنه رمز الراحة والتوقُّف عن أعمال الحياة. هكذا جعله العهد القديم رمزاً لانتهاء الخلقة الترابية.

ولكن فجأة، وكختام لعهدٍ قَدِمٍ وشاخ، يأتي سبت لعازر ليقلب معنى الـسبوت كلها مُعلناً عن بداية جديدة للحركة والحياة وفكّ ختوم السكوت والموت واقتحام الطريق الموصِّل بين القبر والهاوية.

هكذا تتلقف الكنيسة سبت لعازر لتجعل منه أحداً صغيراً وقيامة صغرى ترابية لواحدٍ من أولاد آدم الأول، تمهيداً لقيامة عظمى إلهية للمسيح آدم الثاني.

سبت لعازر هو في الأرثوذكسية مفتاح سر البصخة، سر الانتقال من القديم إلى الجديد، من عهد السبوت إلى عهد الآحاد، من عهد الموت إلى عهد القيامة. وهـو أول مرحلة من مراحل العبور التي جازها مخلِّصنا، إذ بإقامة لعازر من المـوت قـدَّم المسيح صورة للنهاية قبل البداية، فأطلق في القلوب سر فرحة النصرة على المـوت حتى لا تخور في موكب الصليب.

ليس جزافاً أن يطلق المسيح في يوم السبت سراح لعازر من بطن الهاوية ويقيمه من بين الأموات، ولكنه أراد أن يُمهِّد بسبت لعازر للسبت الكبير، حـتى تكـون آلامه وصلبه ودفنه على رجاءٍ، وقيامته يقيناً كالفجر.

هكذا كانت ولا تزال قيامة لعازر حجة رجاء ضد الموت ويقين قيامة ننتظرهـا على كافة المستويات حتى ولو أنتنت أجسادنا وانحلت وذابت وتلاشت في المـاء أو بين ذرات التراب.

هل كان لعازر في حاجة إلى أسبوعين يضافان إلى حياته أو شهرين أو عدة سنين أُخَر؟

كلا، ولكن كان التلاميذ، بل نحن، بل العالم كله، في أشد الحاجة أن يقوم لعازر من بين الأموات ليؤمن الجميع بالمسيح، ليس فقط أنه قادر أن يقوم، بل ويقيم من بين الأموات أيضاً!!

والقصة تبدأ عندما أرسلت مريم ومرثا إلى المعلّم بلهفة أن: أسرع، فلعازر الذي تحبه مريض. والإسراع هنا يفيد توقُّف إيمان الأختين بالرب عند حدِّ شفاء الجسد: «يا سيد لو كنت ههنا لم يُمت أخي». لهذا كانت اللهفة وكان الإسراع من جانب الأختين لئلا يموت وتضيع الفرصة. وبالرغم من ذلك، نرى المسيح يتأخر، لأنه يرى في موت لعازر فرصة لإيمان أعلى: «فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين. ثم بعد ذلك قال لتلاميذه: لنذهب...»

وفي الطريق قال لهم: «لعازر مات. وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك، لتؤمنوا». الرب هنا يفرح عند ازدياد فرصة الإيمان أمام التلاميذ، عندما يسترد نفساً من بين مخالب الموت. ولكن العجيب أنه بعد قليل يواجه المسيح الأختين ويرى بكاءهما، فيبكي هو أيضاً من فرط تحننه: «انزعج بالروح واضطرب... بكى يسوع». فالذي رأيناه يفرح بازدياد فرص الإيمان للتلاميذ والأختين تجاه الموت، نجده يبكي عندما يقف بين الباكين، وكأنما الفرح والبكاء عند المسيح نظيرُ أو رهنُ ما يسرنا ويبكينا!! ولكن بتأمُّل صغير نجد أن الفرح والبكاء جاءا مختلفين في ترتيبهما لدى المسيح عن ما كان لدى الأختين والتلاميذ. فعند المسيح الفرح أولاً ثم البكاء، إذ كان يرى القيامة قبل الموت، ولكن بالرغم من ذلك لم تَعُقْه فرحة الرؤيا المسبقة للعازر قائماً من بين الأموات عن أن يذرف الدمع مع الباكين أمام القبر.

وهكذا بدا يسوع فائقاً جداً في حنانه وترفُّقه بالمتألمين إذ أخلى نفسه من فرحته النبويَّة لِمَا سيكون، فبكى كما يستلزمه الإشفاق وتحتِّم به المودة.

أما الأختان، فإذ اختفت رؤية القيامة عن مستوى إيماهما بكتا بكاءً مُرًّا خُلواً من فرحة النبوة المسبقة بما سيكون!

وأمام القبر وقف رب الحياة وسيد القيامة ونادَى لعازر، فقام، وقام معه رجاء الإنسان كله، كل بني آدم، بالحياة الأخرى. والذي نادَى لعازر باسمه فقام من بين الأموات ويداه ورجلاه مربوطات، سيأتي وسيُنادي الإنسان، كل إنسان، لقيامة أبدية ودينونة وحياة.

صلاة

ربي أنا هو لعازر الجديد، أنا الميت.
رباط الخطيئة يلفُّ أعضائي وأنا مسجًّى في قبر شهواتي.
عيناي انطفأ عنهما نور الحياة، وظلمة الباطل أطبقت على عقلي.
التصق لساني بحنكي، وكفَّت شفتاي عن النطق بحقِّك.
انسدّ حلقي بكلمات الإثم، وشهادة الزور أطبقت على صدري.
توقَّف قلبي عن أن ينبض بحبك، وتورمت جدرانه بالحقد والعداوة.
كليتاي تحجَّرتا برواسب الشهوة، وسموم الملذات أذابت أحشائي.
شُلَّت يميني عن الرحمة، وتصلَّبت رجلاي عن مسيرة السلامة.
وجهي مستور عنك بمنديل قبائحي،
ونتن أعضائي ينضح فوق أقماط كرامتي.
ربي، إن كان للموتى رجاء في بكاءٍ، هكذا يكون رجائي.
ولكن بكاءك على لعازر هو يكفيني بل ذاك معتمدي.
يا مَن دمعت عيناك على حبيبٍ ميت،
أنا ليس لي مرثا ولا مريم، أنا اليوم ميِّتك فابكِني.
أتوسَّل إليك بحبك وحنانك، أوعز إلى ملائكتك أنْ "حلُّوه ودعوه يذهب".

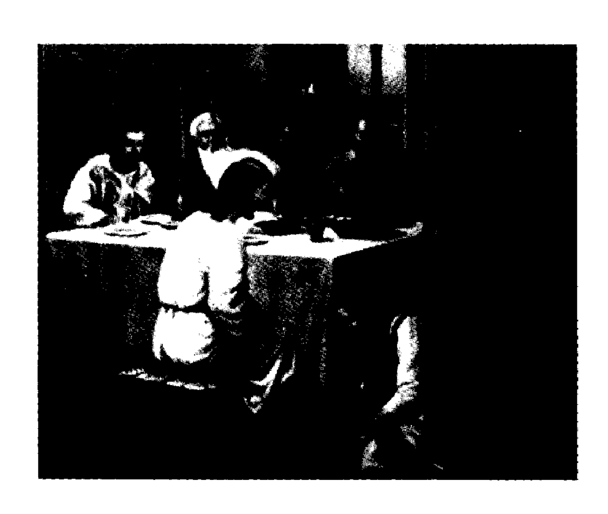
أحد الشعانين




عشية أحد الشعانين

يو١٢: ١- ١١

[1] ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. [2] فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ، وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. [3] فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ. [4] فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: [5] «لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هذَا الطِّيبُ بِثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟» [6] قَالَ هذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. [7] فَقَالَ يَسُوعُ: «اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ، [8] لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». [9] فَعَلِمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّهُ هُنَاكَ، فَجَاءُوا لَيْسَ لأَجْلِ يَسُوعَ فَقَطْ، بَلْ لِيَنْظُرُوا أَيْضًا لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. [10] فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا، [11] لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ.



امتلأ البيت من رائحة الطيب

+ هذا الإنجيل هو أول قراءة تُقرأ في أسبوع الآلام، وكأن الكنيسة بذلك تريد أن تقدم لنا في بداية هذا الأسبوع مثال المحبة التي سكبتها هذه المرأة علـــى قـــدمي الرب "للتكفين" كنموذج أعلى للمحبة التي يجب أن نقدمها للمسيح إزاء آلامـــه المحيية من أجلنا.

+ يقدم لنا ق. يوحنا مرثا ومريم: الأولى تخدم، والثانية تتأمل وتحب. والكنيسة تأخذ من مريم حياة التأمل ومن مرثا حياة الخدمة. وقد جمع كتاب بستان الرهبـــان بين الاثنتين بقوله: "إن مريم بمرثا مُدحت"، فلولا شكوى مرثا لما مدح المسيح مريم.

«امتلأ البيت من رائحة الطيب»

لقد استرعى انتباه القديس يوحنا، كشاهد عيان، جمال الرائحة وهي تُعبِّق كل البيت، ويقيناً فإن هذا كان هو نفسه شعور الرب، فصمم المسيح أنه كما مـــلأت مريم عُلية البيت برائحة ناردينها الفاخر، أن يملأ الكنيسة كلها وإلى آخر الـــدهور برائحة محبة واسم هذه المرأة التي أنابت نفسها عن بشرية الأجيال كلها، لكي تقدم إليه بسخاء فقرها عمل المحبة في يوم المحبة.

«لماذا لم يُبع هذا الطيب بثلاثمئة دينار ويُعطى للفقراء».

معذرة أيها القارئ، فقد كنا نُحلِّق معاً في سماء الحب والسخاء، ورائحة المسيح الذكية، ومسحة الآب على رأس ابن الإنسان؛ وإذ بنا فجأة وعلى غير انتظار نقـــع في نَقْع الطين ونتوحل في حمأة الغباء. فعِوض الوجه المشرق الوديع المتواضع الـــذي لهذه الأخت الممدوحة، وهي في ملء سعادها، فَرِحةً مستبشرة أها صنعت للـــرب شيئاً كانت قد عبَّأت له طاقات حبها وماها؛ يظهر في المشهد وبسرعة وجه قـــبيح

غاضب، غاضب على إسراف عمل المحبة، وفي حقده رأى أنه «كان يمكن أن يُباع!»..كل شيء عنده يمكن أن يُباع إن لم يكن بثلثمائة فبثلاثين!! وقد وصفه ق. يوحنا من جهة أخلاقه أنه كان سارقاً، يلتقط ما يُلقى في الصندوق.

إن الذي يخون مال الله سهلٌ عليه أن يبيع المسيح. ولكن الذي يسترعي انتباهنا، أن المسيح ترك الصندوق معه ولم يمانع من أن يسرق منه كما يشاء، ولا هو مَانَعَ حتى أن يبيعه: «ما أنت تعمله، فاعمله بأكثر سرعة»، وآخر كلمة قالها له الرب عندما تقدم ليُسلمه: «يا صاحب لماذا جئت».

يا إخوة، الرب لا يُحصِّن تلاميذه أو خدامه من السرقة، والاختباء وراء صندوق الفقراء، ولكن يا ويلهم عندما يستيقظ ضميرهم.

والآن قد وضع الإنجيل هذه المفارقة أمامنا، بين امرأة مُحِبة من كل قلبها، باذلة بكل مالها، ولها شهادة من المسيح وبين تلميذ من الاثني عشر، طماع، سارق لمال الله، خائن باع المسيح بثمن بخس. وهذه المفارقة ليست مصادفة ولا هي مجرد قصة في الإنجيل؛ ولكنها تقسيم قائم في الكنيسة يمارسه مَنْ أحبوا المسيح من كل القلب، ومن يسلبون المسيح حباً في المال.

«إنها ليوم تكفيني قد حفظته»

لقد بدأت مريم ما أكمله يوسف ونيقوديموس، فالأولى كفنت الجسد حياً برطل واحد من الطيب، والآخرون كفَّنوه ميتاً بمائة رطل، ولكن ذُكر عمل الأول من فم المسيح بالجميل والشكر والذكرى الأبدية، أما عمل الآخرين فلم يذكره إلا التاريخ.




قداس أحد الشعانين

لو١٩: ٢٩- ٤٨

[٢٩] وَإِذْ قَرُبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ [٣٠] قَائِلاً: «اِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. [٣١] وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِهِ؟ فَقُولاَ لَهُ هكَذَا: إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ». [٣٢] فَمَضَى الْمُرْسَلاَنِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. [٣٣] وَفِيمَا هُمَا يَحُلاَّنِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: «لِمَاذَا تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟» [٣٤] فَقَالاَ: «الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ». [٣٥] وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ، وَأَرْكَبَا يَسُوعَ. [٣٦] وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. [٣٧] وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا، [٣٨] قَائِلِينَ: «مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!». [٣٩] وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ مِنَ الْجَمْعِ فَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ!». [٤٠] فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!». [٤١] وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا [٤٢] قَائِلاً: «إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكِ هذَا، مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ! وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ. [٤٣] فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، [٤٤] وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ». [٤٥] وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ [٤٦] قَائِلاً لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!». [٤٧] وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، [٤٨] وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ، لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ.

المسيح، وبينما هو يقترب من المدينة، اخذ يتأمل فيها، رأى ما لم يره غيره، بكى عليها. وجد الفأس موضوعة على رأس الشجرة، علم أن المدة المحددة قد انتهت، رأى أن الكرام قد بدأ في القطع. أخذ يخاطبها، وعيناه باكيتان: آه، لو كنتِ تدرين ما هو لسلامك. آه، لو كنتِ تعرفين ماذا سوف يحدث لكِ، ولكن كل هذا مجهول أمامكِ، مخفي عن عينيكِ.

ولكن ما هو زمان الافتقاد؟ ما هي علاقة زمان الافتقاد بدخول المسيح أورشليم؟

كلمة الافتقاد تعني عناية الله وتدبيره، وتعني النظرة الشاملة التي ينظر الله إلينا بها. هي نفس كلمة الإبيسكوبوس أي الأسقف، أي الذي ينظر ويفتقد من أعلى.

ولكن أيضاً، كلمة الافتقاد، قد تعني أيضاً التأديب. فالله عندما افتقد أيوب، يقصد أنه اختبره بأحزان وأوجاع. والافتقاد أيضاً له معنى العزاء والنجاة والسرور، وذلك عندما نقرأ: أن الرب نزل ليفتقد شعبه في مصر، وما تبع ذلك من نجاة. أو أن الرب افتقد سارة، فأعطاها شبع سرور، وحياة من داخل الموت. ونقرأ عن افتقاد الله لِحَنَّة، والتي معناها الله يتحنن، بعد أن كانت عاقر مُرة النفس. ثم نقرأ عن الافتقاد الأخير والدائم لشعب إسرائيل بل لكل العالم في نبوة زكريا عن الرب المُشرق من العلاء، الذي افتقدنا وأضاء على كل العائشين في الظلمة والخطية.

ولكن كيف يكون الافتقاد الإلهي الآن؟

الله يفتقد، ولكن بتواضع شديد، يقول: لا تخف يا شعبي، هو ذا ملكك سيأتيك وديعاً متواضعاً. فعلامة هذا الملك التي لا تخيب أبداً هي: التواضع. كان الله في العهد القديم عندما يفتقد شعبه كان يترل إليهم بصورة مهيبة مُخيفة، يصاحبها رعود ودخان

ونار، وكان الشعب يرتعب ويحيل الأمر إلى موسى. أما اليوم، فالمسيح، يدخل أورشليم على أتان، أي في صورة غاية في الاتضاع والبساطة. فافتقاد الله لشعبه في يوم أحد الشعانين هو في الواقع صورةٌ للافتقاد الإلهي الذي سيتكرر على مدى الدهور. لم يكن يوجد أي شيء في موكبه يُنبئ أنه أكثر من إنسان عادي وديع بسيط للغاية، ولم يصاحبه أيّة مظاهر غير مألوفة خارقة، ولم يعتمد على الآيات والمعجزات للتفاخر والمباهاة.

جاء المسيح، كملك للسلام، جاء ليعطي شعبه سلاماً دائماً، سلاماً يفوق العقل. لذا كان من الضروري أن يأتي بصورة متواضعة. فسلامه سلام تواضعي، لا يدركه إلا المتواضعين، ولن يدوم إلا للمتواضعين، ولن يتراءى أو يُستعلن إلا لمن هو على مستوى استقبال ملك إسرائيل وهو راكب على جحش صغير.

في الحقيقة، إن تواضع المسيح هو سر، فعندما يأتيك، فهو يُحدثك بحديث متواضع، يُحدثك في دموعك وفي انكسار قلبك، يُكلمك في سجودك وأنت شاعر بذنبك، وهنا يعطيك سلامه، وتحس بمجيء المسيح ومعه شبع سرور وتحننات وسلام يفوق العقل.

ولكن، يا للخسارة الجسيمة التي تلحق بالإنسان عندما يفقد مفهوم الافتقاد والصورة التواضعية، هذا يبكي عليه المسيح، يقول له: " لقد أتيتك في وداعة واتضاع لأكلمك كمثيل لمثيل؛ ولكنك لم تقبلني ولم تعرف زمان افتقادك، وما هو لخلاصك ونجاتك".

يا أحبائي، يليق بنا أن نتأمل في هؤلاء الأطفال الذين ما سكتوا عن الصراخ والتهليل طوال فترة مسيرة المسيح لأورشليم.

هؤلاء الأولاد المتواضعون أحسوا بالمسيح بقلوبهم وليس بعقولهم فانعطفوا عليه انعطافاً شديداً، فملئوا الهيكل صياحاً وتسبيحاً. فهنا المتواضع ينجذب إلى المتواضع. كما يقول الرسول:«كونوا مُنقادين إلى المتواضعين». فالله، هذا المُتضع الأعظم،

دائماً يجذب إليه المتضعين. استطاع هؤلاء الأولاد ودون مساعدة من أحد أن يجمعوا أنفسهم ليقودهم الروح، ويدبرهم الاتضاع، ويخرجوا في خورس تسبيح ليس له مثيل.

وكان يوجد خورسان: خورس الأطفال، الذين يمثلون التواضع والطهارة؛ ثم خورس التلاميذ، الذين يمثلون الحكمة. والآن، أنا أسألك: أنت تتبع أيًّا من الخورسين؟؟ أنا أحذرك: إياك أن تذهب للهيكل لتكون وسط باعة الحمام وبين موائد الصيارفة، أنا أحذرك، سيطالك الكرباج على ظهرك.

للأسف عثر الرؤساء في المسيح ، عثروا في الوديع المتواضع، عثروا في ملك السلام. اعلم أن المسيح لا يفرق بين عظيم أو حقير، بين رتبة كنسية، وبين إنسان عامي. المسيح عندما دخل أورشليم، أو عندما يدخل الكنيسة اليوم، فهو إنما يبحث ويفتقد المتواضعين، فافتقاد الرب ليس له طقس، لا يخضع لتدبير، فأنت في اتضاعك وأنت منبطح على الأرض وفي الطين تقدر يد الرب أن تمتد إليك لكي ما تفتقدك وتقيمك، إما بكلمة تعزية أو بعطية أو بتوبة حقيقية...الله لا يهمه أبداً ما هي صعوبة حالتك، أو ما هي رتبتك، لا فرق عند الله.

ولكن، كيف يأتي يوم الافتقاد؟

يأتي على نوعين: *النوع الأول:* إما طعنة في القلب توقظه من كسل طويل وتوانٍ وإهمال وحياة فاترة لا تتناسب مع مسيرة الخلاص والملكوت. وهنا الإنسان يحس بنخس وتوبيخ وتبكيت شديد، ويقع صريعاً من جراء محاكمة ضميره، على أيامه التي أضاعها، وخصوصاً بعد أن عاش وذاق واستنار. وهنا الشخص يدين نفسه بشدة، ويظن أن الرب سينتقم منه ويعاقبه على القديم والجديد، ولكن إذ بصوت الرب يأتيه وديعاً، يقول له: لا تخف، سأشددك، سأعيدك إلى أيامك الأولى، سأذكّرك بوعدي وعهدي، سأذكرك باختياري لك وكلماتي التي جعلتك تسير ورائي. أنت لست ابن

دينونة، أنت ابن سلامي. قُم لأقبِّلك. وهنا تحس بتوبة لذيذة ودموع عرفان لا مثيل لها. ويقوم الشخص ويعمل مع الرب عهداً جديداً. يقول له: أعدك، يا رب، أن أبيع نفسي لك، أضع نفسي تحت أرجل إخوتي، سوف أعيش مسكيناً مُتضعاً إلى آخر لحظة من عمري بشبه دخولك أورشليم راكباً على جحش وأنت ملك السماء.

النوع الثاني: هي لشخص سائر في الطريق، إنسان عادي مجاهد نشيط، يتصبب عرقه من عمله هنا أو هناك.. ولكن داخله صوت يرن في أعماقه، يقول للرب: أنا أريد أن أحبك أكثر، ولكن لا أعرف كيف. هو يصلي ويقول: حبِّني أنت يا رب، ولو إني غير مستحق لهذا الحب. علّمني يا رب كيف أحبك كما يجب. أنا تركت العالم ورائي، وأريد أن أتبعك بالحقيقة، ليس لي شهوة سواك...

هذا الشخص، يأتيه المسيح ومعه مشرط جرّاح، مشرطٌ سريٌ عجيب، يعمل له جرحاً في قلبه، جرح لذيذ غريب ، يجعله مثل السكران، لا يستطيع أن ينام، الدنيا كلها لا تسعه، ينفجر داخله ينابيع حب لا مثيل لها، يهرب منه النوم، ويستمر الحب ينسكب من جرح القلب ولا يُقفل أبداً، يصرخ ويقول: أنا أحبك يا رب. ولكن يا ويلنا، ويا لخيبتنا لو انقفل الجرح!!






الساعة السادسة من أحد الشعانين

يو ٥: ١٩- ٢٩

[١٩] فَأجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أقولُ لكُمْ: لا يَقْدِرُ الابْنُ أنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأنْ مَهْمَا عَمِلَ ذاكَ فهذا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. [٢٠] لأنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أعْمَالاً أعْظَمَ مِنْ هذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أنْتُمْ. [٢١] لأنَّهُ كَمَا أنَّ الآبَ يُقِيمُ الأمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. [٢٢] لأنَّ الآبَ لا يَدِينُ أحَدًا، بَلْ قَدْ أعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، [٢٣] لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لا يُكْرِمُ الابْنَ لا يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أرْسَلَهُ. [٢٤] «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأتِي إلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إلَى الْحَيَاةِ. [٢٥] اَلْحَقَّ الْحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّهُ تَأتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. [٢٦] لأنَّهُ كَمَا أنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أعْطَى الابْنَ أيْضًا أنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، [٢٧] وَأعْطَاهُ سُلْطَانًا أنْ يَدِينَ أيْضًا، لأنَّهُ ابْنُ الإنْسَانِ. [٢٨] لا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإنَّهُ تَأتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، [٢٩] فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ.



أوصنّا: هوشعنا أي خلِّصنا

على قبر لعازر استُعلن المسيح "رئيس الحياة وملك الدهور." ألم يَهْزِم آخر عدو يبطل وهو الموت!! كان هذا ختام آيات المسيح وأعماله كلها. ويا له من ختام يحمل كل إشارات ومؤهِّلات المجيء الثاني!! والآن وبعد أن تَدَهَّن بالطيب كميت وقد قام، بل وهو القيامة ذاتها والحياة، من المناسب جداً أن يعلن ملكوته السلامي ويدخل مدينة أورشليم المزيَّنة بأغصان الزيتون والنخيل، ويا له من دخول يحمل كل الإشارات عن أورشليم العُليا وعريسها حيث ننتظر ظهورها واستعلان ملكوته الأبدي.

لقد وُلد المسيح كابن لداود في بيت لحم مدينة داود، والآن يدخل أورشليم مدينة الملك كوريث داود الشرعي في مُلْكه النبوي السلامي.

وإن كان صوت النبوَّة قد أعلن أنَّ مِن عَبْر الأردن جليل الأمم (الناصرة) يُشرق نور عظيم، يعود الصوت النبوي ليقول في موضع آخر مُخاطباً أهل أورشليم سيدة المدائن داعياً إيَّاها بابنة صهيون: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك، هو عادلٌ ومنصورٌ، وديعٌ، وراكبٌ على حمار وعلى جحش ابن أتان.»

لقد رفض المسيح كل أيام حياته مظاهر المجد والتكريم، وتحاشى المسير في المواكب والظهور في الأعياد رسمياً، أما هنا فلأول مرة وآخر مرة في حياته يُرتِّب بنفسه موكب الظفر والمسيرة الرسمية للدخول إلى أورشليم كملِك، حتى اندهش منه الكثيرون وضجّ منه رؤساء الكهنة والفرِّيسيون. نعم، فقد آن الأوان فعلاً أن يعلم العالم أنه المسيَّا الملك الفادي والمخلِّص!!

فهذه أغصان الزيتون رمز السلام تشير إلى المسيَّا (شيلون) "رجل السلام".
وهذه أغصان النخيل تشير إلى أقواس ظفره الملوكي الإلهي.
وهذه الأصوات "أوصنَّا في الأعالي" تشير إلى الخلاص والفداء الإلهيَّيْن.

وبهذا الموكب المزدحم بالمعاني العميقة والأسرار ينتهي تاريخ إسرائيل الزمني ليبدأ ملكوت المسيَّا الذي فيه تتحقَّق النبوات جميعاً مع كل التوقُّعات والآمال لكافة الأنبياء والرائين من قريبٍ ومن بعيد.

ولعل في الهتافات التي قيلت في ذلك اليوم وسجَّلها لنا البشيرون توضيحاً لكل هذه التحقُّقات التي كملت باستعلان المسيَّا في شخص يسوع المسيح في هذه المناسبة:

+ «أوصنَّا (خلِّصنا) لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب. أوصنَّا في الأعالي.»

+ «مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنَّا في الأعالي.»

+ «مبارك الملك الآتي باسم الرب. سلامٌ في السماء ومجدٌ في الأعالي.»

والعجيب أن المسيح كان موافقاً على كل ما كانوا يهتفون به حتى بلغ هتافهم عنان السماء، بعكس كل مواقفه السابقة التي كان يُحرِّم فيها أي هُتاف له؛ بل لما طالبه الفرِّيسيون أن يُسْكِت الهاتفين، قال لهم: «إن سَكَتَ هؤلاء فالحجارة تصرخ.»

إذن، فكل ما هتفت به الجموع كان هتافاً نبويًّا من عمل الروح الذي كان ينطق في أفواه الأطفال والرُّضَّع!!

تطهير الهيكل ومظاهر العنف:

جديدٌ علينا وغريبٌ جداً منظر المسيح وفي يده سوط يطرد التجار من الهيكل ويُعنِّف مُلوِّثي الصلوات؟ ما سرُّ هذا العنف المفاجئ؟ وهل له في النبوَّات مرجع؟

الآن عودة إلى النبوات:

ففي سفر ملاخي يصف النبي هذا الموقف بحساسية مرهفة:

+ «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تُسرُّون به، هوذا يأتي قال رب الجنود. ومَن يحتمل يوم مجيئه؟ ومَن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار المُمَحِّص، ومثل أشنان القَصَّار. فيجلس مُمَحِّصاً ومُنَقِّياً... وأقترب إليكم للحُكْم، وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين

وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين...»

ولكن لا يزال السؤال باقياً: ما سرُّ هذا العنف الذي لم نعتاده قبلاً من المسيح؟ هنا يلزمنا رجعة إلى الإنجيل. فالقديس لوقا يُعطينا الجواب على هذا التساؤل، وإنما على مستوى سرِّي يحتاج منا إلى مزيد من الانفتاح الذهني لنُدرك الإشارات العميقة.

فقبل أن يورد القديس لوقا حادثة دخول الرب أورشليم يوم الأحد يورد مثلاً للمسيح، قاله حال دخوله أورشليم، وهو له علاقة هامة جداً بالموضوع، ويشرح لنا أسرار ذلك اليوم الكبير. يقول الإنجيل:

+ «... فقال مَثَلاً، لأنه كان قريباً من أورشليم، وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيدٌ أن يظهر في الحال. فقال: إنسانٌ شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلْكاً ويرجع... وأما أهل مدينته فكانوا يُبغضونه، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين: لا نريد أن هذا يملك علينا. ولما رجع بعدما أخذ المُلْك، أمر أن يُدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة (وحاسبهم حسب أمانتهم)... أما أعدائي، أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأْتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدَّامي! ولما قال هذا تقدَّم صاعداً إلى أورشليم.»

يلاحظ القارئ هنا قول الإنجيل: «لأنه كان قريباً من أورشليم»، فهذه إشارة خفية تنبهنا أن المَثَل المذكور الذي قيل هنا له علاقة بدخول المسيح أورشليم يوم الأحد. ثم قوله: «وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيدٌ أن يظهر في الحال»، تعطي إشارة أن المسيح سيشرح في المَثَل أن ملكوت الله لن يظهر في الحال، وفعلاً قد أوضح ذلك المسيح في المَثَل عند قوله: «ذهب إلى كورة بعيدة». كما تفيد أيضاً عبارة: «وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيدٌ أن يظهر في الحال»، أن طريقة دخول المسيح الهيكل يوم الأحد سوف تشرح لنا كيفية ظهور الملكوت ومجيء المسيح في مُلْكه. وهذا يظهر بوضوح أكثر بقوله في نهاية المَثَل: «ولما قال هذا تقدَّم صاعداً إلى أورشليم». وفعلاً دخل المسيح الهيكل بهيئة ملك، وحال دخوله بدأ في الحال يُحاسب ويوبِّخ ويُعنِّف المسئولين بسلطان، كملك، مما

أذهل رؤساء الكتبة والفرِّيسيين، ولم يدروا أنه كان يعمل عمل الديَّان.

وهنا نلاحظ انقسام الناس عند استقبال المسيح إلى فريقين: فريقٌ غاضب، وهم الذين يسيئهم مجيء الرب الثاني لأنه سيفضح شرَّ حياهم، وهؤلاء كان يمثِّلهم الفرِّيسيون؛ وفريق فَرِح مُهلِّل، وهم الذين يُسرُّهم مجيء الرب لأنه سيعلن برَّهم، وهؤلاء كان يمثِّلهم التلاميذ والأطفال والشعب البسيط القلب.

وأما طرده الذين يبيعون ويشترون وقلبه لموائد الصيارف، فكان إشارة إلى حرمان الذين استخدموا الدِّين للتجارة والربح الزمني.

أما قلبه كراسي باعة الحمام وطردهم من الهيكل، فهو إشارة إلى رَفْض الرب الذين باعوا مواهب الروح القدس (الحمام).

وأما العنف الذي بدا على المسيح واستخدامه السوط، فكان إشارة سرِّية إلى مستوى الدينونة، الذي سيبلغ منتهى عنفه عندما تبدأ محاكمة الشيطان علناً هو وكل أعوانه وأتباعه الذين رفضوا أن يملك المسيح عليهم، عندما يطرحهم تحت قدميه، حسب قول القديس لوقا، وهنا سر عنف المسيح الذي ظهر في الهيكل.

صلاة

يا رئيس الحياة وملك الدهور، يا مَن فديتَ من الموت نفسي، يا مَن فككتَ قيودي.

اليوم في ذكرى موكبك الصاعد، إلى أورشليم، أسير نحو بيتك وأُجدِّد عهودي.

احمل سعفي وزيتوني لأُنصبك ملكاً لحياتي، وأهتف: أوصنَّا في الأعالي.

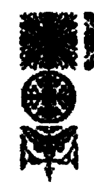
ليس لي اثواب زاهية افرشها في طريقك، ولكني اطرح حياتي على عتبة بيتك.

أدخل، بالفرح، كنيستك موضع مُلْكك، وأسجد بالخوف أمام هيكلك المقدس.

أُقبِّل ابوابها وأعتابها وامسح بترابها جبيني، لعلك ترفع وجهي.

ربي، لا تجعل لي فيها مغنماً ولا نصيباً مع الذين يبيعون فيها ويشترون.

ربي، اليوم أُعاهدك: لك كل حياتي، كل أموالي. أوصنَّا في الأعالي.





الساعة التاسعة من أحد الشعانين

مت٢١ : ١٠- ١٧

[١٠] وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هذَا؟» [١١] فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: «هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ». [١٢] وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ [١٣] وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!» [١٤] وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمْيٌ وَعُرْجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ. [١٥] فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!»، غَضِبُوا [١٦] وَقَالُوا لَهُ: «أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلاَءِ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟». [١٧] ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَخَرَجَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا وَبَاتَ هُنَاكَ.



دخول المسيح أورشليم دخول الملك الظافر

كانت أُورشليم قد اكتظَّت بالحجاج الآتين من الشتات من كل أجناس العالم. ويمكن أن تتعرَّف على أجناس هؤلاء الشعوب من سفر الأعمال. وكان متوسط عددهم بحسب يوسيفوس أكثر من ٢,٥ مليون حاج.

وكانت أخبار إقامة لعازر من الموت قد ملأت أُورشليم في كل أرجائها، وأحدثت حماساً وتوثباً شديداً من نحو المسيح. وبمجرَّد أن انقضى السبت اندفعت الجموع إلى بيت عنيا لينظروا يسوع وأيضاً لعازر الذي أقامه من بين الأموات، ليروه رؤية العين.

يقيناً كان المسيح هو الذي خطَّط لهذا الدخول إلى أورشليم، وإلاَّ فإنه كان يمكن أن يتحاشى الدخول وسط هذه الجموع كعادته. ولكن لأول مرَّة نرى أن المسيح يدبِّر موكبه الظافر في أثناء دخوله أُورشليم، بل عزم أن يتحدَّى السلطات اليهودية ليقبضوا عليه، لأنه حدَّد أن يكون الفصح هو يومه الذي يموت فيه على مستوى التدبير الإلهي.

ولم يكن مظهره وهو داخل أُورشليم على هيئة المعلِّم السابق، بل بهيئة الملك الظافر. فارتأى أن يستسلم لغيرة الشعب ولا يتدخَّل لإسكات الجموع الحاشدة وهي تتبعه وتتقدَّمه هاتفة بأصوات رجَّت أُورشليم: "أوصنَّا في الأعالي أوصنَّا لابن داود"، لأنه كان يرى في تلقائية الشعب الصورة الصحيحة لمجيء الملكوت والاحتفاء به والإعلان عنه، باعتباره المسيَّا الآتي ليخلِّص إسرائيل وكل مَنْ يؤمن به من الشعوب. فحين تلاقت ساعة السماء مع ساعة الأرض في بؤرة الصليب، كان دخول المسيح كالملك الظافر القادم لفداء شعبه والعالم الإجابة الملحَّة لكل أعماله السابقة، بل لكل التوراة والأنبياء. فارتفع الحدث ليكون حدث العالم الفريد منذ الدهور.

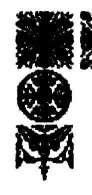
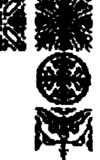
وسار المسيح في موكب فريد من نوعه، ألوف مؤلَّفة سارت وراءه، الذين أتوا ليروا لعازر، وألوف أخرى خرجت من أُورشليم إذ سمعوا ضجيج الهتاف آتياً من بعيد.

فالمسيح لم يصنع هذا الموكب الظافر الفريد للملك الآتي باسم الرب، ولكنه رضي بـه ورآه الصورة الصحيحة لتلقائية الشعب الذي آمن بحسِّه ووجدانه بأنه هو المسيَّا الآتي الذي أتى، لولا أن رؤساء اليهود قد حجزوا صوته هذه السنين التي علَّم فيها كلها.

ولكن كان مظهر الملك الآتي باسم الرب ليس كأي ملك آخر. فقد أتـى وديعـاً ومتواضعاً كملك للسلام. يشهد على ذلك سعف النخل بدل السيوف، والجحش رمز البساطة والمسكنة بدل الخيول المطهَّمة. والشعب السائر ليس في نظام العساكر المدرَّبة بل تغشاه النسوة ويغلب عليه الأطفال الذين يصيحون بـ"أوصنا" بكل صياح، والذين ضجَّ رؤساء الكهنة من صياحهم الذي كان يسد الآذان. كان موكباً سلامياً بكل كلام وكل معنى! وإن كان قد حاول التلاميذ أن يجعلوا هتاف الشعب الذي يتقدَّم والـذي يرد عليه الشعب الذي يتبع على صورة الأنتيفونا التي اشتهر بها التسبيح لله، فقد أتـى جزافاً وبلا نظام مُحكم. وكانت الآية التي سيطرت على قلوب الشعب وهتافه هي آية المزمور: «هوشعنا! يا رب خلِّص! مبارك الآتي باسم الرب»

أمَّا موقف الفرِّيسيين فكان سلبياً للغاية، فقد أنكروا في أنفسهم إعلان أنه مسيَّا دون رأيهم وتحرَّكوا محاولين أن يُسكتوا الجمع ولم يستطيعوا، فلمَّا يئسوا قـالوا لبعضهم: «انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه.»

حدث كبير وأمر بلغ معناه إلى أعلى وأقصى ما يمكن أن يعبِّر الشعب البسيط، إنه زلزل التاريخ، فابن الله قادم ليسلِّم جسده ليُصلب في وداعة الحمل. والذين يهلِّلـون والذين يصرخون كانوا كمن يردِّد صدى الحدث الذي رنَّ في السماء، وكان المـشهد كفيلاً أن يحرِّك مشاعر أقسى القلوب وأضيق العقول. ولكن ضاق صدر الفرِّيـسيين ورؤساء الكهنة بالآتي حاملاً مجداً لإسرائيل ونوراً للأمم. وحينمـا ردَّ المـسيح علـى ضيقهم بأنه لو سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ، كشف مدى ما يحمل دخول المـسيح أُورشليم ليُصلب من تحقيق مئات النبوَّات وآلاف السنين من إعداد وانتظار.

الساعة الحادية عشر من أحد الشعانين

مت٢٠ : ٢٠ - ٢٨

[٢٠] حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئًا. [٢١] فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». [٢٢] فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟» قَالاَ لَهُ: «نَسْتَطِيعُ». [٢٣] فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي». [٢٤] فَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ اغْتَاظُوا مِنْ أَجْلِ الأَخَوَيْنِ. [٢٥] فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. [٢٦] فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، [٢٧] وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، [٢٨] كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ».



ترجّي أم ابني زبدي في أمل بعيد المنال

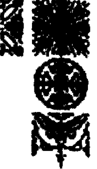
كانت أحلام التلاميذ تدور حول العظمة التي ستوافيهم باستعلان الملكوت والمسيح ملكاً على إسرائيل، بل ودارت بينهم المشاجرات فيمن سيكون الأعظم، وانتقلت الأحلام إلى الأسر والأمهات، وتباهت الأمهات كالعادة بأن أبناءهن سيفوزون بالمُلك السعيد ويُشار إليهم كأصدقاء المسيَّا وأعوانه في المجد العتيد. لم تكن كل هذه الأحلام خاطئة، ولكن الخطأ الوحيد فيها أنها سبقت زمانها بعصور وعصور، كما كان الخطأ في تصوُّرهم العظمة على مستوى عظماء العالم. وقد حاول المسيح مراراً وتكراراً أن يُفهِّمهم ما يعترض آمالهم العريضة من ذل وهوان، وأنه سيسبقهم في شرب كأس العار والمذلَّة وحتى إلى الصلب. ولكن هيهات أن يصدِّقوا إلاَّ أحلامهم. وكان كل ما يعترضهم من صعوبات يقدِّمها لهم المسيح في طريق النهاية يقولون: «نستطيع»، فإن قدَّم لهم ولداً وقال لهم يلزم أن تصيروا مثل هذا الولد لكي تدخلوا المُلك السعيد قالوا: «نستطيع». وإن قال عن شرب الكأس والمرارة قالوا: «نستطيع»، لأنهم كانوا متيقنين أنهم حتماً سينالون المملكة، وهذا حق وصدق، ولكن ليس بالصورة البسيطة التي ملأت مخيلتهم.

وكان المسيح يقضِي أوقاتاً مع التلاميذ في بيوتهم، وتكوَّنت دالة عند الأمهات مع المسيح، ويبدو أن أُم يوحنا ويعقوب أخيه كانت تخدم المسيح كثيراً، وكانت تعلم أن المسيح يحب ابنيها، فعزمت الأمر، وقد أحسَّت بأن ذهابه إلى أُورشليم كان حتماً لاستعلانه مسيَّا الملك القادم ابن داود، صاحب الملكوت الأبدي، حلم إسرائيل الزمني. فأخذت ولديها وجاءته ولاقته على الطريق، وقد صاغت في قلبها أمنيتها وعقدت النيَّة على طرحها عليه علناً، لتحصل على وعد تسجِّله لابنيها.

«مَنْ أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً»، «ومَنْ أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً».

وهذا عكس ما يسلكه أهل العالم. فعظمة النفس الحقيقية في إخضاع ذاتها لله والناس، في بذلها وليس في أخذها، في ترك مالها وليس في إعطائها ما تشتهيه، في خدمتها للآخرين وليس في الترأُّس عليهم، في اتقانها عمل العبد وليس في شهوة سيادتها فوق الرؤوس - وتقاس النفس العظيمة بحبها واتساع صدرها، بوداعتها وحلمها. وعظمة النفس المسيحية هي التي تعمل وتعيش وتسلك وتحب وتبذل متشبِّهة بالمسيح. والمسيح جمع ذلك كله في قوله: «إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدم» جاء ليخدم الآخرين وليس ليخدمه الآخرون، جاء ليس ليفتديه الناس بل ليعطي نفسه فدية عن الكثيرين. وهذه هي الصورة الهامة والأساسية التي أراد المسيح بتجسُّده والفداء الذي صنعه، أن يعطي بها انطباعاً للإنسان عمَّا يجب أن يكون عليه الإنسان ليصبح شريكه في الحياة الأبدية، ويقبل التبنِّي كهبة الآب العظمى: «تعلَّموا مني» ! التي حوَّلها بولس الرسول إلى: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسبْ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجدَ في الهيئة كإنسانٍ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسمٍ». هكذا استطاع بولس الرسول أن يحوِّل أعمال المسيح الإلهية إلى صورة تُقتنى: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع» .

يوم الاثنين

الساعة الأولى من ليلة الاثنين

يو١٢: ٢٠- ٣٩

وَكَانَ أُنَاسٌ يُونَانِيُّونَ مِنَ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ. [٢١]فَتَقَدَّمَ هؤُلاَءِ إِلَى فِيلُبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ، وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» [٢٢]فَأَتَى فِيلُبُّسُ وَقَالَ لأَنْدَرَاوُسَ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلُبُّسُ لِيَسُوعَ. [٢٣]وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا قَائِلاً: «قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ. [٢٤]اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. [٢٥]مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. [٢٦]إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ. [٢٧]اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هذِهِ السَّاعَةِ؟. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ [٢٨]أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!». فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: «مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضًا!». [٢٩]فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ، قَالَ: «قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ!». وَآخَرُونَ قَالُوا: «قَدْ كَلَّمَهُ مَلاَكٌ!». [٣٠]أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هذَا الصَّوْتُ، بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ. [٣١]اَلآنَ دَيْنُونَةُ هذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجًا. [٣٢]وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ». [٣٣]قَالَ هذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ. [٣٤]فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ: «نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوسِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟ مَنْ هُوَ هذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟» [٣٥]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. [٣٦]مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ». تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ. [٣٧]وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هذَا عَدَدُهَا، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، [٣٨]لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَهُ: «يَارَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟»

الصليب قوة رافعة

قال هذا يسوع عن ارتفاعه على الصليب. وفي الحقيقة كان هذا الارتفاع الأرضي تمهيداً بديعاً لارتفاعه بعد ذلك إلى السماء. فالارتفاع الأول جذب إليه الجميع، المؤمنين بصليبه، الذي به وعليه وفّى عن الإنسان دين الخطية الذي أحطّ الإنسان إلى الأرض، فرفعه المسيح على الصليب. وفكّ الإنسان من التصاقه بالأرض لّما رُفِعَ عنه ثقل الخطية المريع، الذي ربط الإنسان بتراب الأرض، يحيا منه ويموت تحته. فكانت مكانة الإنسان من التراب جاء وإلى التراب يعود.

فلما ارتفع المسيح على الصليب رفع معه الإنسان من موت اللعنة إلى حياة الخلاص. فتحرر الإنسان لأول مرة من حبوس الأرض ولعنتها، إلى إشراق السماء ونورها. لأن الإنسان انتقل مع المسيح من الصليب إلى قيامة سمائية أجلسته عن يمين الآب. وهكذا كان الصليب هو قوة الرفع التي رفعت الإنسان مع المسيح من الأرض إلى السماء، ومن ظلمة الأرض إلى نور السماء. فكان جذب الصليب قوة رافعة، رفعت الإنسان من عبودية الخطية وقيودها، التي ربطت الإنسان كعبد من رقبته لخدمة لعنة الخطية، إلى حرية مجد أولاد الله المُنعَم عليهم ليعيشوا في السماء، ليس كأحرار فقط، ولكن كملوك وكهنة لله العلي.

في الصليب، في الصليب، راحتي بل فخري. لأنه رفعني من حضيض الخطية والتراب، لشركة ابن الله في المجد وميراثه في الآب. ومهما مدحنا وشكرنا وهتفنا بمجد الصليب فلن نوفي قوته الجبارة، التي ظفرت بالعدو وكل أعوانه، وأردهم إلى أسفل السافلين، ورفعت عن الشيطان زعم قوته الكاذبة وإغراءاته القاتلة، وعرّته عرياً مخزياً، وخلّصت الإنسان من عبوديته إلى حرية أولاد الله في المجد.

الصليب الذي هو آلة التعذيب والفضيحة والعار، صار وهو حامل المسيح أرفع

من تاج الملوك. وجعله المسيح عرش مجده الإلهي، الذي أصبح موضـوع عبادتنـا وفخر ديانتنا، وراحة نفوسنا ونور عيوننا، وعلَم نصرتنا. وصَدَقَ المسيح أيّما صدق حينما قال إنني إذا ارتفعت عن الأرض، قاصداً بـذلك الـصليب، فهـو يجـذب وسيجذب كل من انفتحت عينيه على الحق الإلهي وعرف أعماق أعمـاق أسـرار الصليب.

وملأ الصليب كل العالم، فأصبح العالم ملكاً للمسيح، بعـد أن تملّـك عليـه الشيطان كل العصور السالفة. وبالصليب انتُزِعَت ممالك العالم من قبضة الشيطان، وتحرر الإنسان من عبوديته وسخرته.

فماذا يا إخوة نحن عاملون، إزاء الرفعة التي رفعنا إليها المسيح، سواء بصليبه أو قيامته؟ فنحن مديونون للمسيح بحياتنا الجديدة، وإيماننا المجيد، وفرحنا الذي لا ينزع منا.






الساعة الثالثة من ليلة الاثنين

لو٩: ١٨- ٢٢

[١٨] وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ. فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً: «مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ أَنِّي أَنَا؟» [١٩] فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ». [٢٠] فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ أَنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ: «مَسِيحُ اللهِ!». [٢١] فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ، [٢٢] قَائِلاً: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيرًا، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».



صليبي وصليب المسيح

ليس هناك حدود تفصل بين صليبي عن صليب المسيح، إن تجربتي مُعادة، تمت أولاً على صليب المسيح بنجاح، واليوم يُراد تجديدها لحسابي.

ثلاث مراحل يجوزها صليبي ليتحول إلى صليب فرح وقيامة المسيح...

المرحلة الأولى: الرضى:

إن كنت حقًّا أؤمن بالله وأومن بأن الله قادر على كل شيء، وهو ضابط الكل، فعليَّ أن أُسلِّم له حياتي، عالماً بمن آمنتُ، واثقاً بالأذرع الأبدية القادرة أن تحفظ وديعتي وتُقيمني من الموت.

بهذا الإيمان وبهذه الثقة يسهل عليَّ الرضا بصليبي أيًّا كان هذا الصليب: مرض عضال! شوكة في جسدي أو جسد مَن أحبته نفسي! خيانة أخ وصديق كان حبيب نفسي وأليف حياتي! خسارة وفقر مُذِل! ظلم واضطهاد وطغيان! مذمَّة واغتياب ومخاصمة الألسن! سيَّان، سيَّان، هو صليب على كل حال!

فإن كانت عيني قد تثبَّتت على مسيح حياتي، ورسمت صليبه وآلامه في قلبي وفي جسدي فسأرضى، نعم سأرضى بصليبي لأنه سيكون في نظري تجربة مُعادة...

ولكن بمجرد أن أرضى بصليبي، فإن الله يحاول أن يستوثق من رضائي أو بالحري يجعلني أستوثق أنا بنفسي من رضائي فيثقِّل يده عليَّ قليلاً، ويطيل زمن التجربة قليلاً، حتى أستوثق أنا من رضا نفسي، وبالتالي يستوثق هو أيضاً من نفسي... وهنا، نعم هنا، يتم سرُّ الصليب الأول عندما يتحوَّل الرضا إلى شُكر بفعل النعمة، ويصير الشكر هبة ثمينة شبه معجزة، لأن الشكر إنما يكون عادةً قرين الخير فقط. إذن، فهنا يكون الشر قد تحوَّل إلى خير لي بفعل الصليب وبقوة الرضا.

المرحلة الثانية: تجربة الشكر:

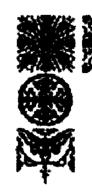
بعد غمرة الانذهال من نوال القدرة على الشكر في وسط الألم وعمق التجربة، يستيقظ الإنسان فجأة متعجِّباً من نفسه: "كيف أشكر وأنا مُهان"؟ "ولماذا أشكر والله قادر أن يرفع التجربة، وهو لم يرفعها"؟ هنا تدخل النفس في عِراك مع الموهبة ويصطرع الشكر مع غُصة الألم. ولكن عندما يُكرِم الإنسانُ الموهبةَ ويشكر، ثم يشكر متحدِّياً الألم والتجربة على مدى الأيام والليالي، تحدث المعجزة الثانية ويتم سرُّ الصليب الثاني، عندما يتحوَّل الشكر إلى فرح!! كهبة عُظمى من الله!

المرحلة الثالثة: معنى الفرح:

ماذا حدث؟ كيف أفرح بالحرمان والظلم؟ كيف أفرح وأنا في أتون التجربة وسعير الألم؟ إن الفرح هو البرهان الأكيد على خروج النفس من مجال الحزن وتوقُّف التفكير في هموم الواقع المؤلم توقُّفاً كاملاً وأكيداً. فكيف حدث هذا الخروج الفعلي من مجال التجربة؛ بل كيف تمّ تجاهُل الألم والظلم وأنا في صميم التجربة مرفوعاً على صليبي؟؟

هنا سرُّ الصليب الثالث. هنا سرُّ الاتحاد! الاتحاد بماذا؟ الاتحاد بمشيئة الله ومسرَّته!! لقد كان صليبي هو هو مشيئة الله بالنسبة لي، فلما رضيتُ به، رضيتُ بمشيئة الله؛ ولما شكرتُ عليه، شكرتُ مشيئته، ففاضت عليَّ. ولكن لما فرحت بصليبي، تقابلتْ مشيئتي مع مشيئة الله تماماً، فحلَّ عليَّ مجد الصليب وفرحه الذي هو منتهى مسرَّة الله: «كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا؛ لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مُبتهجين.»

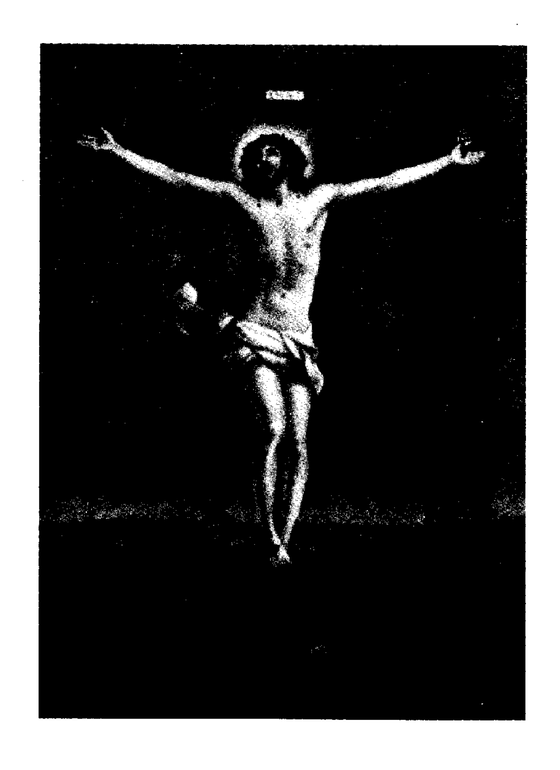
يا إخوة، افرحوا بصليبكم لتحلَّ عليكم مسرَّة الله!




الساعة السادسة من ليلة الاثنين

مر١٠: ٣٢- ٣٤

[٣٢] وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ، وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ. فَأَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ أَيْضًا وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ: [٣٣] «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، [٣٤] فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».



أتبعك، يا رب، فقط عرِّفني إلى أين أنت ذاهب؟

«قال له توما: يا سيد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟»

لم يكن توما يعلم أنه مدعوٌّ للصليب والموت. كان يظن أنه مدعو للملكوت مباشرة، طالما هو يتبع المسيَّا؛ ولكن الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفها توما، والتي يتحتَّم أن يقبلها كل مَن يتبع المسيح، أن الصليب أولاً ثم الملكوت. الموت الاختياري مع المسيح أولاً ثم الحياة معه.

وقال للجميع: إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني

المسير وراء المسيح لا يُقتحَم اقتحاماً، ولا يُنال بحياة الليونة والتَّرَف، ولا بمجرد الصلاة وممارسات العبادة الطقسية؛ ولكنه يستلزم أولاً إنكاراً للنفس، أي تجريداً للذات من كل عوامل الظهور والمجد الباطل وحرمانها من تمتعاتها التي تزيدها التصاقاً بالدنيا وباللحم والدم وتراب الأرض.

هذه كلها بمثابة الموت الداخلي الذي هو الموت الإرادي، ثم اللاإرادي، ثم بعد ذلك يتفرغ الإنسان ليحمل الصليب كل يوم، أي يُباشِر احتمال إهانات العالم المحيط ومظالم البيئة والظروف وعتوّ الأشرار، وخيانة الأقرباء والأصدقاء والتلاميذ، والأمراض المؤلمة واضمحلال الجسد، والمحن، تلك التي يتفنن الشيطان ويسوقها على الإنسان في أحرج ظروفه، جاهداً لعلَّه يطرحه في الشكّ وجحود الإيمان. هذه كلها بمثابة الموت الخارجي، الذي هو الموت غير الإرادي.

ولكن بدون الموت الداخلي، أي الموت الإرادي، أي إنكار النفس، يستحيل على الإنسان أن يقوى على حمل صليبه كل يوم ويتبع الرب، أي يستحيل عليه أن

يحتمل الموت الخارجي الذي هو الموت اللاإرادي. لذلك فإن الرب، بحكمة، قدَّم في وصيته إنكار الذات قبل حَمْل الصليب.

فلكي يتبع الإنسانُ الربَّ، عليه أولاً أن يُباشِر الموت الإرادي أي إنكار النفس، حتى يستطيع أن يحمل الصليب الاضطراري.

الموت الداخلي شاقٌّ، أشقُّ من الموت الخارجي. إنكار الذات وجحدها وإماتتها أصعب من احتمال الإهانات والمظالم والمحن. ولهذا فالذي يستطيع أن يُنكر نفسه ويجحد ذاته، يستطيع أن يحتمل أصعب الإهانات؛ بل ويفرح بالمظالم والمحن! أما الذي يحب نفسه ويُدلِّل ذاته فربما يحتمل الإهانة مرة ومرتين، ولكنه لا يحتمل الإهانة كل يوم!!

الذي يجوز الموت الداخلي وينجح، يسهل عليه أن يحمل الصليب كل يوم مهما ثقل، ويتبع الرب ليس إلى المحاكمة كيوحنا، بل إلى الجلجثة ثم إلى الملكوت، ليكون حيث يكون المسيح. ممارسة الموت الداخلي للنفس هي بالحقيقة ممارسة حياة إنسان ميت!!

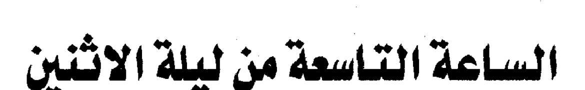
لأن المطلوب أن يمارِس الإنسان كل فكر وكل عمل وكل شيء في الحياة كميت بالنسبة لنفسه وبالنسبة للناس، وكحيٍّ فقط بالنسبة للمسيح: «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام.»

أما ممارسة الموت الخارجي اللاإرادي إنما يأتي تأكيداً للموت الداخلي واكتشافاً لصحته، هل قد مات الإنسان فعلاً عن ذاته وعن جسده وعن العالم؟ فإن تطابَق الموت اللاإرادي على الموت الإرادي، كان هذا أعظم برهان للإنسان أنه يعيش مع المسيح!!!

ما أعظم ما يحتاج الإنسان في قبول الموت اللاإرادي، إنه جوهر الحياة المسيحية، إنه القيامة: «اتبعني».




الساعة التاسعة من ليلة الاثنين



مر٨: ٢٧- ٣٣

[٢٧]ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ. وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ قِائِلاً لَهُمْ: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟» [٢٨]فَأَجَابُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ». [٢٩]فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ!» [٣٠]فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ عَنْهُ. [٣١]وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. [٣٢]وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. [٣٣]فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا ِللهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».



الصليب آلة العبور إلى الملكوت

منظر المسيح خارجاً من أورشليم حاملاً الصليب وحوله بعض من أقربائه وتلاميذه يشيِّعونه حيث تعيَّن أن يُصلَب، منظر كله عار وفضيحة، ولكن المسيح احتمله من أجل السرور الموضوع أمامه. هذه كانت أحرج ساعة في حياة المسيح، ساعة الخروج من أورشليم وعلى أن لا يعود إليها. هذه الساعة الحرجة كانت معروفة مُسْبقاً لدى السماء كلها وكانت موضوع حديث بين أرواح قديسي العهد القديم المنتظرين فداء العالم وخلاصه: «وإذا رجلان يتكلّمان معه، وهما موسى وإيليا، اللذان ظهرا بمجدٍ، وتكلّما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يُكمِّله في أورشليم.»

كان خروجه من أورشليم بمثابة خروج من العالم المنظور، وكان الصليب آلة العبور من العالم إلى خارج العالم. فالخروج من العالم لا يتم طبيعياً بالنسبة للذين أبغضوا العالم وجحدوه، فلابد أن ينتقم العالم من الذين يحتقرونه ويستهزئون به: «إن كان العالم يُبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يُحِبُّ خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبدٌ أعظم من سيِّده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهِدونكم.»

هذا الكلام قاله يسوع قبل الصليب وقبل المحاكمة وقبل انكشاف خطة القبض عليه وتلفيق التُّهَم واستحضار شهود الزور، وقبل ظهور بوادر الخيانة التي اضطلع بها تلميذه، كصورة للعالم حينما يُسخِّر أقرب المقرَّبين لتعذيب نفوس القديسين. فالمسيح كان يعلم تماماً ماذا أُعِدَّ له من العالم من بغضة وحقد وخطة مُحكمة لتعذيبه والتنكيل به قبل التخلُّص منه: «وأخذ الاثني عشر وقال لهم: ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وسيتمُّ كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، لأنه يُسلَّم إلى الأمم،

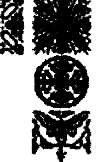
ويُسْتَهْزَأُ به، ويُشتَم ويُتْفَل عليه، ويجلدونه، ويقتلونه...» ، «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه.»

فالذي يهمنا أن نعلمه تماماً هو أن المسيح لم يكن يستغرب سلوك العالم ضده، بل هو نفسه أعلم تلاميذه أنه لابد أن يصطدم العالم بكل مَن يخرج عليه، ولابد أن يحتقر العالم كل مَن يحتقره، ويستهزئ بكل مَن يستهزئ به. هذا هو عار الخروج الحتمي.

هذا العار حمله المسيح وهو راضٍ عنه كل الرضا، لأنه قد وَضَعَ في نفسه منذ البدء أن يقف ضد العالم ويبغض أعماله الشريرة، وقد عَلِمَ ماذا ينبغي أن يدفع ثمناً لهذا السلوك!

فالعار الذي كان يرمز إليه الصليب الذي حمله المسيح وهو خارج من العالم كان ثمناً حتمياً لخروجه عن العالم. وهكذا صار العار الذي في الصَّلْب، أي الموت العلني مع التعرية الكاملة من كل كرامة، مع الإضافات الجانبية إن أمكن لتكميل الهُزء والتشفّي من جَلْد وبُصاق ولطم الوجه والضرب على الرأس، هو ما يمكن أن ينتظره الإنسان الخارج على العالم، الذي نوى أن يطلب المسيح فقط وعزم أن يتبعه!!

وهذه الحقيقة قد جعلها المسيح قاعدة عامة ينبغي أن توضع في الاعتبار الأول عند كل مَن ينوي أن يخرج من العالم ليأتي إليه: «ومَن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً»، «اتبعني حاملاً الصليب»، «مَن أراد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني»، «وقال للجميع: إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم، ويتبعني.»

الساعة الحادية عشر من ليلة الاثنين

مت١٧: ١٩- ٢٣

[١٩]ثُمَّ تَقدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: «لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟» [٢٠]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. [٢١]وَأَمَّا هذَا الْجِنْسُ فَلاَ يَخْرُجُ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ». [٢٢]وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ [٢٣]فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». فَحَزِنُوا جِدًّا.



الإيمان واستجابة الصلاة

كثيرون يسألون: "لماذا نطلب من الله بإلحـــاح ودمـــوع، والله لا يـــستجيب"؟ فأقول: هذا هو المُحال فيما يخص الله مع شعبه، فكل شيء ممكن إلاَّ أن يكـــون الله غير صادق أو يغيِّر وعده، «بل ليكن الله صادقاً، وكل إنسان كاذباً» . فالمـــسيح جعل استجابة السؤال مضمونة بدمه واسمه وحق بنوَّته. فهو الذي سبق وقال: «كل ما تطلبونه حينما تصلُّون، فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم» .

وهكذا جعل المسيح استجابة الصلاة لا تعتمد على رؤيته أو فكره الخاص، بـــل جعلها مرهونة بإيماننا، وأي إيمان؟ الإيمان الذي يثق أثناء الصلاة أنه قد نال ما يطلبه فيكون له!! أي كما أراد ووثق بالإيمان. بمعنى أن الله أعطانا في المسيح أن نقرر أولاً إن كنَّا ننال بالإيمان ما نطلبه أو لا ننال. أما هو فمستعد أن يعطي، بل ويقول بولس الرسول أكثر من ذلك: «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلـــب أو نفتكر بحسب القوة (الإيمان) التي تعمل فينا.»

فإن قرَّرنا بقوة الإيمان في الصلاة التي نصليها أننا قد نلنا ما طلبنا، يكون لنا بقدر ما طلبنا، وأكثر مما طلبنا، أو حتى أكثر مما فكَّرنا. لأن سخاء الله في المسيح لابد أن يغلب طمعنا فيه، لماذا؟ لأنها هي مسرَّة الله في المسيح أن يفـــرِّح قلوبنـــا لنـــشكره ونعطيه المجد. فمهما طمعنا في محبته وسخائه فهو الذي سيتمجَّد بالأكثر. لهذا نسمعه يستحثنا لأن نطلب واثقين فيه: «الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخـــذوا، ليكـــون فـــرحكم كاملاً». ولكن يظل الشرط الأول والأساسي أنه يلزم أولاً أن تؤمنوا أنكم ستنالون ما تطلبون فيكون لكم.

وبمعنى آخر نحن مسئولون عن استجابة صلواتنا، ولا اعتبار لصعوبة ما نطلبه حتى ولو كان نقل جبل، ألم يقل هو كذلك؟ فقد وضع لنا المسيح القاعدة للاستجابة، وجعل الاستجابة حاضرة عنده مهما كان الطلب فوق المستحيل: نقل جبل!!! وهكذا أخرج من دائرة شكوكنا أن يكون الطلب معقولاً، بل استحثّنا لمنتهى الطمع في استجابته مهما كان الطلب كبيراً جداً أو غير معقول، إذ جعل الشرط الوحيد الذي يحرِّكه مباشرة للاستجابة هو الثقة في أنه يعطينا ما نطلبه، وبعد ذلك: «فكل شيء مستطاع لدى المؤمن».

وفي الحقيقة، هذا الشرط الوحيد الذي وضعه المسيح لاستجابة السؤال والطلبة بأن نثق فيه أنه قد أعطانا (وليس سيعطينا) ما نطلب، هو كسر للمعقول لبلوغ منتهى الثقة الشخصية فيه. تماماً مثل ولد يحب أباه ويطلب منه طلباً غالياً، فيردُّ عليه أبوه:"يا حبيبي، اعتبرها في جيبك خلاص". وهكذا ينشأ في قلب ابنه المحبوب الثقة أن كل ما يطلبه من أبيه يناله. ولكن هذا المثل أيضاً ضعيف، فالآب السماوي يريد أن يدرِّبنا أننا إذا أعوزنا شيء نمدّ أيدينا ونأخذه من جيبه!! فالذي أعطانا أن نمسك بالحياة الأبدية: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» ، بهذه الجرأة عينها يعطينا أن نمسك بعطاياه على أساس محبته الفائقة نحونا. فالذي أعطانا حياته فهو حتماً يعطينا ما نطلبه: «في ذلك اليوم تطلبون باسمي، ولستُ أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، لأن الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتموني»، «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟!»

إذن، فوعد المسيح بأن كل ما نطلبه في الصلاة «فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم»، هو تصريح موطَّد ومؤكَّد ومبني على ثقة الابن في الآب والآب في الابن. فاستجابة السؤال والطلبة، أصبحت ثمرة من ثمار التجسُّد والموت والقيامة، أي تحصيل عمل

لاهوتي كبير جداً وعميق للغاية. فالذي يطلب بعد ذلك ويسأل في الصلاة ويشك في قدرة المسيح على الاستجابة، أو يشك في عدم صلاحيته هو للأخذ، فهو كأنما يشك في عمل المسيح الفدائي كله، ويشك في الصلة العُظمى التي تربط الآب بالابن. فإن كنا نؤمن بالمسيح، فالآب يحبنا؛ وإن كنا موضع محبة الآب، فنحن نسأل لنأخذ، ولسنا نسأل لنشحذ رحمة بعد، بل نسأل لنأخذ حسب وعد المسيح والآب.

إذن، فالمسيح قد وضع المحك الكبير في استجابة الصلاة أن نؤمن بأن ما نطلبه نناله ليكشف به مستوى إيماننا به وبالآب، ومستوى ثقتنا في علاقته هو بالآب. فإن كانت صحيحة أخذنا في الحال ما طلبناه بدون إلحاح. هذا في الحقيقة هو دستور الصلاة المُجابة، وقانونها الذي يعتمد على صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب. إذن، فمن صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب، فنحن نستمد استجابة الصلاة. كذلك فاستجابة الصلاة تكون أكبر شاهد على صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب.

وأصبح تطبيق هذا القانون هو كالآتي: اطلب ورفِّع طلبك وزِدْهُ صعوبة، واطمع في سخاء المسيح والآب ما شئت، ورسِّخ الإيمان في قلبك أنك قد نلت كل ما طلبت، فيكون لك: «كل شيء مستطاع للمؤمن» فهذا القانون هو بحسب مشيئة المسيح والآب، وفيه يتمجَّد الآب بالابن في كل طلبة نناها!!

والذي يُرفِّع من طلبه ويزيد من صعوبته، هو في الحقيقة يرفِّع من تمجيد الآب والمسيح ويزيد في تمجيدهما. فهل بعد ذلك يحقُّ لأي إنسان أن يقول إنه طلب من المسيح مراراً وبإلحاح ودموع ولم يُستجَب له؟؟ ألا يكون مثل هذا التصريح هو اتهام مباشر لصدق المسيح والآب؟ وألا يعتبر مثل هذا الاختبار هو خطأ إيماني يستحق المراجعة والتصحيح؟

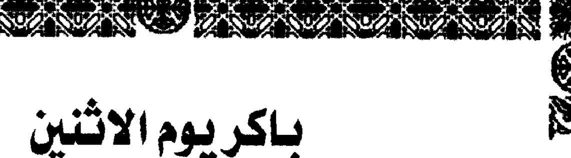
والآن وقد عرفنا أن الله والمسيح أعظم من أي سؤال وطلبة مهما كان صعباً بل ومستحيلاً، وأن الوعد ثابت ومؤكَّد أن المسيح مستعد للاستجابة إن كنَّا نثق في هذه

الاستجابة، أصبح الشك في الاستجابة يُضاف إلي عدم إيماننا وليس لعدم سماع الله.

من هنا نفهم خطورة وقوفنا أمام الله نصلي ونطلب، فنحن نضع أنفسنا أمام اختبار إيماني هائل، لذلك يلزم أن نعمل حساب سؤالنا وطلبتنا مرات ومرات: هل نحن جادون في الصلاة والسؤال؟ هل نحن على مستوى الثقة في استجابة المسيح والله؟ أو بمعنى آخر: هل إيماننا بالمسيح والآب هو على يقين الحق، وأن وعوده صادقة، وأنه أمين على ما يقول، وأنه مستعد أن يهب لنا كل شيء نطلبه؟ وحينئذ نتقدَّم بالسؤال والطلبة ولا نتزحزح عن ثقتنا بأنه قد استجاب. أما هو فصادق وأمين، وكل ما يطلبه هو صدقنا نحن وأمانتنا في أمانته.

أعطني رُكباً منحنية وقلوباً صادقة في إيمانها بوعد المسيح والآب، طمَّاعة في سخاء الآب واستجابة المسيح، وسوف ترى كيف أن العُمي يبصرون، والصُّم يسمعون، والشُّل والعُرج يمشون ويجرون ويرقصون، وكل أنواع الأمراض تُشفى حتى المستعصية من سرطان وسل وتليُّف كبدي وفشل كلوي وأمراض القلب. فالمسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد: الطبيب الذي جاء من أجل المرضى، وليدعو الخطاة إلى التوبة.

من هذا نفهم أننا إذا قدَّمنا صلاتنا لله بسؤال ولنا إيمان أن نناله فهذا الإيمان لا يجب أن يكون تصوُّرياً بل نابعاً من يقين النفس والقلب بسبب دالة الإنسان مع المسيح، تسندها حياة صلاة وعبادة ونسك. فالإنسان لا يستمد إيمانه ويقينه إلاَّ من حقيقة علاقته بالمسيح. فكلما اشتدَّت علاقة الإنسان بالمسيح اشتد إيمانه وازداد يقينه بأن ما يطلبه يناله.

باكر يوم الاثنين

مر١١: ١٢- ٢٤

[١٢]وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ، [١٣]فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. [١٤]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!». وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ. [١٥]وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. [١٦]وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. [١٧]وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ». [١٨]وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ، لأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. [١٩]وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ. [٢٠]وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ، [٢١]فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي، انْظُرْ! اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!» [٢٢]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللهِ. [٢٣]لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ. [٢٤]لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ.



شجرة التين غير المثمرة

تعاليم المسيح تمتاز بالأثر العميق الذي يبقى في النفس إلى الأبد نظراً لِمَا تشمله من تمثيل واقعي، مُدعِّماً أمثاله بأعمالٍ قوية واضحة حتى يُثبِّت في ذهن الإنسان القصد الذي يرمي إليه.

نظر يسوع شجرة تين مورقة على الطريق فجاء إليها ينشد ثمراً ولكنه لم يجد، فلعنها فجفَّت في الحال. كان لابد أن يكون مع الورق ثمرٌ لأنهما يبدآن معاً، بل إن الثمر تظهر براعمه مبكِّرة عن الورق. فلما وجدها اخضرَّت وأورقت ولم تحمل ثمراً، حَكَمَ عليها بالموت، لأنها لم تَعُد تصلح لشيء إلاّ للنار حسب القول: «كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار.»

وفي هذا لم يكن يعطف على الفلاح الذي كان يتعب فيها عبثاً، ولا على تعطيل الأرض التي تحملها.

ولم يلعنها لتكون وقوداً لتدفئ الأيدي الباردة، ولكنه قصد ما هو أعظم من هذا، فإنه قصد أن يدفئ بها القلوب الجامدة.

مَن هي الشجرة؟

كانت التينة المورقة العقيمة من الثمر رمزاً للأُمة اليهودية التي حفظت الشريعة عن ظهر قلب وتمَّمت الطقوس بدقة فائقة وتمسَّكت بالشكليات إلى أبعد حدٍّ، كانت شجرة خضراء وجميلة؛ ولكن ليس فيها ثمر. دخل المسيحُ الهيكلَ فرآه كما رأى التينة، رآه مغارة للُّصوص، ونظر إلى الكهنة والكتبة والفرِّيسيين فلم يشكرهم ولم يتركهم بل أعطاهم الويل المضاعف لأنه وجدهم مرائين، يأكلون بيوت الأرامل ولِعلَّة يُطيلون الصلوات، وشبَّههم بالقبور المبيضة من الخارج وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. فلعن هيكلهم كما لعن التينة: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً»،

حتى أنه لم يبقَ منه حجر على حجر. وظل الهيكل خراباً حتى اليوم، ومجمعهم وكهنوتهم مُعطَّل حتى هذه الساعة. ذبل الهيكل كما ذبلت التينة، حتى جاء معْوَل الرومان واقتلع الهيكل والعبادة اليهودية من أصولها، كما وُضعت الفأس على أصل هذه التينة الجافة واقتلعتها يوماً.

ماتت الشجرة ومات الهيكل، وظل هذا المثل القوي حيًّا، سيفاً مُسلَّطاً على كل أُمة لا تعمل البرَّ، وكل فرد يتمسَّك بالمظهر دون الجوهر ويفتخر بعقيدته دون أن يفتح قلبه لربِّ العقيدة!

حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً:

انظر، يا أخي، لئلا تكون شجرة تين خضراء، ولك مظهر العمل والخدمة، واستطعت بمظهرك أن تجذب إليك الناس من بعيد، فتوهَّموا أنك الغني ومُعلِّم النور وفاتح كنوز المعرفة والماسك بمفاتيح الملكوت؛ وأنت الفقير العريان الجالس في الظلمة ولم يُشرق النور على قلبك بعد. المعرفة على لسانك وليست في قلبك. وقفتَ على الباب فما دخلتَ أنت ولا جعلتَ الداخلين يدخلون. إن كنتَ أنت هو، فاشفق على نفسك وعلى الناس، لأن الفأس قد وُضعت على أصل الشجرة. وكيف سيقول الناس عنك حينذاك؟ سيقولون: حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً.

حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً:

انظر، يا أخي، لئلا تكون شجرة خضراء أخرجت أوراقها قبل أن يتم نموها وتصلح لحمل الثمار، فاغترَّت بأوراقها وليس لها ثمر. لك غيرة على الحق ولكن ليس حسب المعرفة. لك نشاط وجهاد ولكن ليس كمَن يرضي الله، بل لكي يرضي نفسه والناس!

لا زلت تستقي اللبن في معرفة الله وتدَّعي أمام الناس بمنظرك وكلامك وتقواك المصطنعة أنك بالغ القامة في المسيح، وقبل أن تشتعل تريد أن تضيء!

إن كنتَ أنت هو، فاحذر لأن البستاني لن يشفق على جمالك وأوراقك وبمنشاره الحاد سيقطع فروعك الكاذبة ويُعرِّيك من أوراقك الكثيرة، وحينئذ تظهر بين الأشجار صغيراً على حقيقتك. ولكن كيف سيقول الناس عنك حينذاك؟ سيقولون: حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً.

له صورة التقوى ولكنه أنكر قوتها:

انظر، يا أخي، لئلا تكون شجرة خضراء نَمَت في تربة قليلة العمق، فاخضرَّت وأورقت، وإذ ليس لها عمق طلعت الشمس فضربتها والجفاف مصيرها. عمِّق يا أخي في الأساس لئلا يكون تعبك باطلاً وجهادك كله للحريق. أرسل جذورك قبل أن تخرج أوراقك. انعكف على نفسك أولاً وتطهَّر من أدناسك وخطاياك وغشّك وريائك، تأصَّل أولاً في معرفة الله، وحينئذ تقوى على شمس التجارب. واعلم أن إبليس أسدٌ زائر، ولن يقف أمامه ضعاف النفوس الغاشون لأنفسهم ولكلمة الحق، غير المتأصِّلين في معرفة الله، إذ يضربهم ضربة لا يكون لها شفاء، فتكون الظلمة أحب إليهم من النور، والدَّنس أسهل عليهم من شُرب الماء، والغش والمكر والخداع دروعهم التي يتحصَّنون بها.

فتِّش ودقِّق ربما أنت واحد منهم، ولكن كيف يقول الناس عنك حينذاك؟
يقولون: كانت له صورة التقوى، ولكنه أنكر قوتها.

يا أسفي على هذه الأشجار التي اخضرَّت للحريق ووُلدت للَّعنة. يا ليتها ما أخرجت ورقاً لأنها اكتفت بالأوراق دون الثمر وخدعت الناس للمجيء إليها فأتعبتهم بلا طائل. صاروا لعنة لأنفسهم وضلالة للناس.

الرب قادمٌ إليك:

وأنت أيها الشجرة الخضراء المورقة، اعلم أن المسيح قادمٌ إليك مع شهود ليرى فيك ثمراً! هل وراء أقوالك وأعمالك ثمار الروح: إيمان وحُب وحق وفرح وسلام فيه؟ مع تواضع وإنكار للذات وحرارة في الصلاة!

الرب قادمٌ إليك لأنه جوعان، جوعان إلى ثمارك. أما أوراقك فإنها مُرَّة لا تؤكل ولن ينتفع أحدٌ بها. إنه جوعان لحبِّك، جوعان لطُهرك وعفافك وقداستك، جوعان لثقتك فيه، جوعان لصومك وصلاتك.

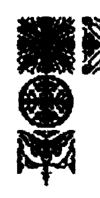
ثمن الدم والجسد:

إنه طعَّمك بدمه، فكيف لم تخرج رائحته منك؟ إنه أطعمك جسده، فكيف لم تثمر بعد؟

إنه سقاك بعرقه المتصبِّب من جبينه، وسيَّج حولك بإكليل الشوك ليحميك من أعدائك، فما هو عذرك؟ الفرصة أمامك، اكتشف نفسك بنفسك ولا تخدع ذاتك أو تحاول أن تخدع الله!

أنت نجحت فقط في كيف تخدع الناس، أما عين الله فلن تُخدَع قط، وهو قادمٌ ليطلب الثمر، ثمن الجسد والدم! حدِّد موقفك وإلاَّ فلا تلُمْه إنْ هو لعن التينة!

لم يلعن المسيح شيئاً قط. لم يشأ أن تنزل نارٌ من السماء وتأكل المضادين، كما أشار عليه أحد تلاميذه. ولم يلعن ضاربيه أو صالبيه، بل كان مبدأه دائماً: فتيلة مُدخنة لا تُطفأ، وقصبة مرضوضة لا تُقصف، ولكنه لم يحتمل التينة الكاذبة غير المثمرة.




الساعة الثالثة من يوم الاثنين

مر١١: ١١- ١٩

[١١] فَدَخَلَ يَسُوعُ أورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، ولَمَّا نَظَرَ حوْلَهُ إلَى كُلِّ شَيْءٍ إذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أمْسَى، خَرَجَ إلَى بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. [١٢] وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ، [١٣] فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إلاَّ وَرَقًا، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. [١٤] فَأجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لاَ يَأكُلْ أحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إلَى الأبَدِ!». وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ. [١٥] وَجَاءُوا إلَى أورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. [١٦] وَلَمْ يَدَعْ أحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. [١٧] وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ: «ألَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأمَمِ؟ وَأنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ». [١٨] وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ، لأنَّهُمْ خَافُوهُ، إذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. [١٩] وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، خَرَجَ إلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ.



لعن شجرة التين

قصة في ظاهرها يبدو المسيح بشراً عادياً يجوع في ميعاد الأكل. ولكن في باطنها كالعادة مستور سر حياته وخدمته ورسالته كلها. فبعد هذه المدة كلها في الكرازة والخدمة اشتهى أن يأكل من ثمر التينة التي هي دائماً رمز لإسرائيل، فما وجد ثمراً يؤكل بل ورقاً أخضر كناية عن مظاهر وأعمال بلا فائدة. فقال لها لا يأكل من ثمرك أحد إلى الأبد، فكان. ثم عاد حينما جلس معهم فكشف عن سر التينة أن في آخر الأيام تزهر وتثمر من جديد كأنه جاء أوان إثمارها بعد اللعن: «فمن شجرة التين تعلموا المَثَل، متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف (وقت الحصاد) قريب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب».

في الحقيقة إن موضوع شجرة التين يحتل جزءاً هاماً في هذه الأيام الأخيرة، وخاصة بعد أن بكى المسيح أُورشليم ورثاها وتنبَّأ بخرابها.

كل معجزات المسيح السابقة كانت بدافع المحبة وذاتَ ثمرٍ للمحبة واضح. فلماذا ـ إذن ـ هذه المعجزة وكأنها تأديبية لخليقة لا تحس ولا تشعر؟ وبلا ذنب اقترف. فهي بهذا تختلف كثيراً جداً عن باقي أعمال المسيح الأخرى، لأنه لم يأتِ ليهدم بل ليكمِّل ويشفي ويحيي!

ولكن واضح أن في هذا العمل كلّه نوعاً من الرمزية عنيفاً ومستتراً. ولهذا العمل علاقة جدّ شديدة وخطيرة بالموقف القائم بعد خدمة المسيح الطويلة وقد بلغت النهاية فعلاً، ببكائه على أُورشليم وتنبُّئه بخرابها. أليس في هذا العمل تعبير عن مظهر الأُمة اليهودية التي تبدو كشجرة التين الخضراء الجميلة من الخارج، وهي من الداخل عفنة شبه ميتة غير مثمرة البتة! عَمِلَ فيها صاحب الكرم المستحيل لثلاث

سنوات مضت لكي تفْلَح فلم تفْلَح. أليس في وقوفها هكذا في بستان الله عقيمة غير مثمرة ومورقة بمظهر كاذب تعطيل لأرض السلام وتزييف لأشـجار الله وإحبـاط لعمل المسيح الذي عمل؟ لقد عُرفت شجرة التين بين الأشجار الطيبة أنها تكني عن الأُمة اليهودية، وهذه الأُمة اليهودية رفعت يدها على بعلها وجابلها تتوهَّم أن بقتله تستقل عن خالقها، فحكمت على نفسها بالهلاك لتخرج من دائرة ملكه قبـل أن يُنصَّب هو ملكاً على الصليب.

وهكذا كان لابد، وقبل أن تمد يدها بخلع «غصن يسَّى» من أرض ميراثـه، أن تتقبَّل اللعنة إلى الأبد. وما صنع المسيح بأكثر مما صنعت الأُمة اليهودية في نفـسها، فهي بواقعها الداخلي الذي تعفن وذبل واستقال من مجرى حياة مصيرها الموضوع، تركت إلهها مصدر الوجود والحياة، فحكمت على نفسها ـ قبل أن تحكـم علـى المسيح ـ بالفناء الوشيك. فالمسيح بلعن شجرة التين لم يَزِدْ عن مجرَّد إعلان وفـاة قبل الحدث. ولم يشرح المسيح لتلاميذه معنى موت التينة، لأنه شرحه لَّما بكى علـى أُورشليم. لقد رثاها بدموعه قبل أن يأمر بجفافها. وهناك هناك في بداية خدمته رأى هذه التينة عينها وتكلَّم عن قطعها: «كان لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه ـ ولم يكن هذا الواحد إلاَّ الواحد الوحيد ـ فأتى يطلب فيها ثمراً ولم يجد. فقال للكرَّام: هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد. اقطعها. لماذا تُبَطِّـل الأرض أيضاً؟». فبناءً على توسُّل الكرَّام أبقاها سنة أخرى، فلمَّا جاء ميعاد التين ولم يجـد فيها ثمراً قطعها! «يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أَنْقُب حولها وأضع زبـلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلاَّ ففيما بعد تقطعها»! وهكذا لم يصنع المسيح إلاَّ مـا صـنعه الكرَّام، ففكَّ لغز المَثَل.




الساعة السادسة من يوم الاثنين

يو٢: ١٣- ١٧

[١٣] وكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قريبًا، فصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أورُشَلِيمَ، [١٤] ووَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بقرًا وغَنَمًا وحَمَامًا، والصَّيَارِفَ جُلُوسًا. [١٥] فَصنَعَ سَوْطًا مِنْ حِبَال وطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، اَلْغَنَمَ والْبَقرَ، وكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. [١٦] وقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هذِهِ مِنْ ههُنَا! لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أبي بَيْتَ تِجَارَةٍ!». [١٧] فتَذَكَّرَ تلاَمِيذُهُ أنَّهُ مَكْتُوبٌ: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أكَلَتْنِي».



تطهير الهيكل

يكشف ق. يوحنا بوضوح أن تطهير الهيكل يُعتبر جزءاً هاماً من منهج العهد الجديد، بل ويُحسب أساساً له. بمفهوم أن المسيح منذ البدء كان مزمعاً أن يلغي الذبائح كلها بكل أنواعها وكل ما يترتب عليها من بيع وشراء وطقوس ذبح وحريق، كما أراد أن يحدِّد العبادة والصلاة بالحدود الروحية الخالصة دون خلط بالأمور المادية. فهو القائل للسامرية التي أرادت أن تعرف العبادة والسجود بالحق إنه لا في أُورشليم ولا في جرزيم ينبغي السجود، لأن الله روح، والساجدون له ينبغي أن يسجدوا بالروح والحق، والله طالب مثل هؤلاء الساجدين. أي أن الله يفرض العبادة والسجود فرضاً، ولكن على المستوى الروحي الصرف، فلا مدينة ولا جبل ولا هيكل بالحجارة ولا شواهق المنارات والقباب الضخمة ولا مذهبات ولا فضيات. فهذه كلها حسبها المسيح خروجاً عن روح العبادة، وبالتالي عمَّا يطلبه الله في العبادة، ومن العابدين.

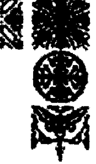
لذلك لمَّا تصدَّى اليهود الذين كانوا ينظرون المسيح وهو يطرد الحيوانات والبائعين والشارين معاً وسألوه: « أية آية ترينا حتى تفعل هذا؟» بمعنى: أَثبِتْ لنا أنك أهل أن تصنع هذا العمل العظيم، لأن الهيكل كان عندهم أقدس المقدسات وهيبته من هيبة الله. فمَنْ ذا الذي يصنع مثل هذه الأعمال بهيكل الله؟ فكان رد المسيح بمنتهى القوة والإعلان عن بدء العهد الجديد، عهد العبادة بالروح، حيث هيكل العبادة هو هيكل المسيح القائم من بين الأموات، الجسد الروحاني الذي سلَّمه لنا ليكون فينا ويكون هو هو هيكل الله وروح الله يسكن فيه: «أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه ..وأمَّا هو فكان يقول عن هيكل جسده، فلمَّا قام من الأموات تذكَّر تلاميذه»، «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم». من هذا يتبيَّن للقارئ حتمية البدء بنقض الهيكل كأساس لبناء

الهيكل الجديد الذي خدم المسيح شكله الإلهي ثلاث سنوات وبناه في ثلاثة أيام!!

ولمّا دخل يسوع الهيكل وجده يموج بالتجّار والبائعين والشارين وبهائم الذبح وباعة الحمام والصيارفة، وذهبت هيبة الهيكل والصلاة واسم الله. كان منظراً أهاج في نفسه روح العبادة الحقة ومقاومة الفساد والمفسدين، وأظهر غضبه وصنع من بعض الحبال ما يشبه السوط وأخذ يطرد الجميع خارج الهيكل: «ارفعوا هذه من ههنا. لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة». ولم يكن المسيح في موقع المقاومة، ولكن كمن يُخيف المعتدين على المقدّسات من وجهة نظر الله. ولم يكن هذا العمل أكثر من إظهار سلطان الله الذي يخيف الناس بلا إيذاء.

المسيح الآن مزمع أن يضع اللمسات الأخيرة على آخر علاقة بين يهوه العظيم والشعب المحبوب الذي خان عريسه، وهو الآن يتربّص بابن صاحب الكرم وقد دبَّر كل شيء لقتله، جاء يطلب ثمراً من تينته المقدَّسة التي غرسها بيمينه وسقاها بحبه أكثر من ألفين من السنين، منذ إبراهيم والعهد الأول حينما أقسم لأول حبيب له على الأرض أن يبارك نسله بركة ويورِّثه خير الأرض، فإذا تينته أخرجت زينتها وجمالها وتعظمت وتعالت على كل شعوب الأرض، وهي من بعد الورق أخفقت أن تصنع ثمراً لحبيبها. كان جائعاً جداً لحبّها جاء ليشبع من ثمرها فأشبعته هزءاً وضرباً وتقتيلاً. دخل السيد هيكله فوجد الزينات دون الجوهر، حافظوا على كل شيء إلاَّ العبادة والصلاة من القلب. لقد أفسدت الثعالب كرم صاحب الكرم وعاثت فيه نهباً وسلباً وضيَّعوا هيبة رب البيت واستهانوا بالهيكل والساكن فيه.

المسيح يعمل هنا عملية إحلال وإبدال، وما دخله إلاَّ ليضع هندسة هدمه ويقيس أطواله وأعراضه، لأنه بصدد بناء هيكل نظيره في السماء، أبوابه لؤلؤ وأساساته أحجار كريمة رسل وأنبياء، والمسيح نفسه فيه حجر الزاوية كريم وقويم البنيان.



الساعة التاسعة من يوم الاثنين

مت٢١: ٢٣- ٢٧

[٢٣]وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْهَيْكَلِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ، قَائِلِينَ: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا؟ وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟» [٢٤]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا أَيْضًا بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا: [٢٥]مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟» فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ [٢٦]وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّ يُوحَنَّا عِنْدَ الْجَمِيعِ مِثْلُ نَبِيٍّ». [٢٧]فَأَجَابُوا يَسُوعَ وَقَالُوا: «لاَ نَعْلَمُ». فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: «وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا».



بأي سلطان تفعل هذا؟

لم يكن دخول المسيح أُورشليم بموكبه الملكي الظافر وآلاف الهتافات بهوشعنا يمرُّ بسلام على الفرِّيسيين، ومعه الإحساس بالمرارة التي خلَّفتها إقامة لعازر من الموت جهاراً وإشاعة الخبر في كل البلاد. وبلغ غيظهم القمة لَمَّا رأوه يطرد الباعة من الهيكل بقوة وسلطان مثير. فقد تحرَّك الجزء الأكثر انفعالاً في السنهدرين لوضع نهاية حتمية للمسيح. وقد كان العامل الأساسي للتحرُّك هو دخوله أُورشليم بموكب الملك الظافر، ولم يعلموا في الحقيقة أنه إنما صنع ذلك عامداً لكي يسرعوا هم أيضاً بالعمل الذي خطَّطوا له في السر ـ أي قتله ـ والذي أرادوه أن لا يكون في العيد، والذي أراده هو وحتَّم به أن يكون في العيد؛ وهم تحاشوا الشعب، وهو أراد اشتراك الشعب، لأن الضحية ضحيتهم والذبيحة ذبيحتهم. وكانوا قد أذاعوا خبراً سريًّا مرَّروه بينهم هكذا: «فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم، وهم واقفون في الهيكل: ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتي إلى العيد؟ وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفرِّيسيون قد أصدروا أمرًا أنه إن عرف أحد أين هو فليَدُلَّ عليه، لكي يمسكوه.»

لذلك كان دخوله المظفَّر العلني بهتاف يشق عنان السماء بـ"مبارك الآتي باسم الرب، ومباركة هي مملكة أبينا داود"، أمراً مفاجئاً جداً وغير مصدَّق عند السنهدرين، وكأنه ضربة قاصمة نزلت على ظهورهم. فنظروا إلى الموكب بحسرة بالغة وعبَّروا عن كل مخاوفهم وأحقادهم معاً: «انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه.»

أمَّا قبل الموكب وهو لا يزال في بيت عنيا، فكانت النية هي مداهمته والقبض عليه وقتله، ربما اغتيالاً وربما قتلاً، بحسب الناموس ادعاءً: «تشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه. ولكنهم قالوا: ليس في العيد لئلاَّ يكون شغب في الشعب».

ولكن يسوع تشاور أيضاً مع الآب أنه يتحتَّم أن يكون في العيد! على أن التهم وشهود الزور كانوا جاهزين، إذ قد تجمَّعت أدلة كثيرة من الذين يتسقَّطون الأخبار ويتخابرون لحساب السنهدرين. ولكن، وبصورة رسمية، أوفد السنهدرين بعضاً من رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب للمسيح وهو يعلّم في الهيكل، لكي يستجوبوه رسمياً في مَنْ هو؟ وما هو سلطانه في أعماله هذه كلها؟ ليفوزوا بتصريح منه يأخذونه ضدَّه كمستند رسمي. «ولمَّا جاء إلى الهيكل تقدَّم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلّم قائلين: بأي سلطان تفعل هذا، ومَنْ أعطاك هذا السلطان؟». وكانت بغيتهم أنه سيتكلَّم عن نفسه وعلاقته بالله وعن سلطانه في كل ذلك، ولكنه خيَّب أملهم وأوقعهم في مأزق خطر كان يمكن أن يثير عليهم كل الشعب؛ إذ حوَّل سؤالهم إلى سؤال منه إليهم هكذا: «وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة، فإن قلتم لي عنها أقول لكم أنا أيضاً بأي سلطان أفعل هذا: معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟». فتحيَّروا حيرة شديدة، لأنهم لو قالوا: من السماء، وهي كذلك، يقول لهم: ولماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قالوا: من الناس، تكون الطامة أكبر، لأن يوحنا معروف عند كل الشعب أنه نبي: «فأجابوا يسوع وقالوا: لا نعلم» . «فقال لهم هو أيضاً: ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا». ولو أنه بسؤاله هذا ألمح أن سلطان المعمدان هو من سلطان المسيح لأنه السابق والمعمِّد له. وبصريح العبارة، أفهمهم بلا كلام أن سلطانه من الله الذي أنكروه في يوحنا. وفي نفس الوقت، سجَّل عليهم عدم إيمانهم بسلطان المعمدان، وبالتالي مخالفة تدبير الله.




الساعة الحادية عشر من يوم الاثنين

يو٨: ٥١- الخ

٥١الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ». ٥٢فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ. ٥٣أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟» ٥٤أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلهُكُمْ، ٥٥وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ. وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا، لكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ. ٥٦أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ». ٥٧فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» ٥٨قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». ٥٩فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا.



الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن

إبراهيم كان شخصية العهد القديم الأولى، وقد سُمِّيَ أبا الآباء، والرب يسوع يقول"إبراهيم أبوكم". ولكن صورة إبراهيم أخذت روعتها وفرادها لَمَّا طلب منه الله أن يُقدِّم ابنه حبيبه مُحرَقة، فأطاع إبراهيم إلى أن بلغ به الأمر أن رفع السكين فوق رقبة ابنه، ولم يمنعه أي شيء إلاَّ صوت الله من فوق أن لا يسيء إلى ابنه. وفي الحال رأى خروفاً ممسَكاً من قرنيه في وسط الشجر، فأوحى إليه الله أن يعفي ابنه من الذبح ويقدم الخروف عوضاً عنه.

فطاعة إبراهيم حُسِبت أنها أعظم قدرٍ للإيمان بقول الله. وفي الحقيقة كانت هذه القصة كلها صورة مُسبقة لتقديم الآب ابنه الحبيب يسوع ذبيحة على الصليب، ولكن العجب العُجاب أن يكون ذهن الآب منصبًّا على حبه لكل العالم!! والذي يردد هذه الآية هو الرب يسوع نفسه: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"، هنا يُدخلنا المسيح بهدوء في أعظم عمل عمله الآب فينا ومن أجلنا.

إن كان إبراهيم قد أخذ أعظم موقف في العهد القديم، فالمسيح لا يزال أعظم منه كمبدأ ونهاية، فهو الألف وياء الوجود، والأول والآخر في التوراة والإنجيل، في الزمن وقبل الزمن وبعد الزمن. وإن شئت فيمكن القول أن المسيح هو الذي أعطى للوجود حقيقته ومعناه، بل وحقيقة كل إنسان. كما يمكن القول بحسب بولس الرسول في رسالته إلى أفسس أن الله الآب اختارنا في المسيح قبل إنشاء العالم. وواضح هنا كل الوضوح أن إبراهيم قائم في كينونة المسيح، كما وأن بدون المسيح لا يمكن أن يكون لأي إنسان في الوجود اسم أو كيان.

فحينما قال المسيح "أنا كائن قبل إبراهيم"، فهذا أعظم تعظيم لإبراهيم بأن نذكر اسمه مع اسم المسيح.

وفي اللاهوت، كينونة المسيح قبل إبراهيم لا تكفي لتغطي كينونته، إذ هي كينونة أزلية مع الآب، وبمعرفتنا باختيارنا في المسيح قبل تأسيس العالم، كقول بولس الرسول، كان هذا بدء تاريخ الإنسان فيما قبل التاريخ، أما تجسد المسيح فهو بدء تاريخ الخلاص للإنسان. لذلك يقول المسيح أنه هو البداية والنهاية، ليس بالنسبة للإنسان فحسب، بل لكل الوجود. فقول المسيح أنه كائن قبل إبراهيم فهذه مجرد حقيقة ضمنية، ولكن تُعزِّز ضمناً تفوّق العهد الجديد فوق العهد القديم، ووصايا المسيح فوق وصايا الناموس، وتكشف عظمة الروح فوق سيرة الجسد، وفخر الإنسان الجديد فوق الإنسان العتيق. فإن افتخر اليهود بالعهد القديم ممثلاً في إبراهيم، نرفع نحن رؤوسنا مفتخرين بشركتنا في المسيح والآب. وإن كانت النبوة هي ثمرة العهد القديم، أصبح الروح القدس فوق النبوة والأنبياء.

لذلك فالإنسان المتجدد بالروح أصبح وطنه السمائي مع المسيح غايته العليا بدل سكنى القبور. وإن كان الأبرار في العهد القديم يرنُون إلى حضن إبراهيم، فالصديقون في العهد الجديد يرْنون إلى الجلوس مع المسيح عن يمين الآب.

وإن كانت الدينونة هي وقفة حزينة في سيرة أصحاب الناموس والأنبياء، أصبح: "لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع". وإن صار أسباط إسرائيل الاثنا عشر هم فخر أسوار أورشليم في استعلائها؛ فإن الرسل الاثنا عشر لهم عروش حول عرش المسيح يجلسون عليها ليدينوا أسباط إسرائيل. وإن كان أفخر أنبياء العهد القديم مجرد أصدقاء العريس، فإن قديسي العهد الجديد وأبناءه المختارين سيكونون هم العروس التي سيُزفُّ إليها العريس عندما يبلغ تاريخ الإنسان النهاية.

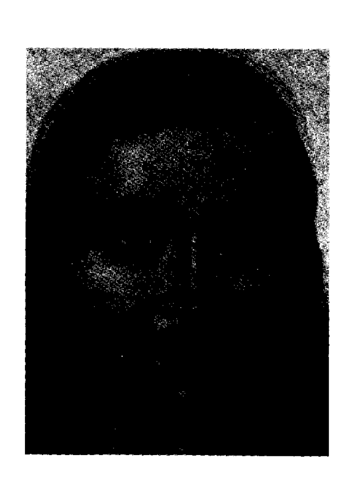
يوم الثلاثاء




الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء

لو١٣: ٢٣- ٣٠

[٢٣] فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ، أَقَلِيلٌ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: [٢٤] «اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ [٢٥] مِنْ بَعْدِ مَا يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ قَدْ قَامَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَابْتَدَأْتُمْ تَقِفُونَ خَارِجًا وَتَقْرَعُونَ الْبَابَ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! افْتَحْ لَنَا. يُجِيبُ، وَيَقُولُ لَكُمْ: لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ! [٢٦] حِينَئِذٍ تَبْتَدِئُونَ تَقُولُونَ: أَكَلْنَا قُدَّامَكَ وَشَرِبْنَا، وَعَلَّمْتَ فِي شَوَارِعِنَا! [٢٧] فَيَقُولُ: أَقُولُ لَكُمْ: لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ، تَبَاعَدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الظُّلْمِ! [٢٨] هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ، مَتَى رَأَيْتُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ، وَأَنْتُمْ مَطْرُوحُونَ خَارِجًا. [٢٩] وَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَمِنَ الْمَغَارِبِ وَمِنَ الشِّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَيَتَّكِئُونَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ. [٣٠] وَهُوَذَا آخِرُونَ يَكُونُونَ أَوَّلِينَ، وَأَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ».



أقليل هم الذين يخلصون؟

السائل يسأل: هل هم قليلون؟ وهذا السؤال سؤال الساعة لكل إنسان يسعى في الطريق. وقد وضعه ق. لوقا هنا ليفتتح به الكلام عن الملكوت. ورد المسيح بأن يجتهدوا للدخول من الباب الضيِّق ليس ردًّا مباشراً، ولكنه أساس حتمي على كل مَنْ يريد أن يخلص ويدخل الملكوت أو الحياة الأبدية أن لا يختار الأكثر راحة واتساعاً، وأن لا يؤجِّل البت في الأمور بسبب ضيق الباب، لئلاَّ يفوت عليه الأوان ويحاول الدخول فيستحيل عليه بسبب تغيُّر الظروف وفقدان القابلية على احتمال المشقات والدخول في مناقص العمر الرذيل، أي الكبر.

علماً بأن الذين عزموا على الدخول يتحتَّم أن تكون لهم من الآن أخلاق بني الملكوت، لأنه لا يُزكَّى للدخول إلاَّ الذي أخلاقه مطابقة لوصايا الإنجيل مهما كلَّفه من تنازل وحرمان وبذل وتقشُّف واحتقار الذات والتشبُّث بالمتكأ الأخير، وأن يكون آخر الكل في كل شيء وعلى مدى الطريق الضيق الطويل.

فالكنز الذي سيحصل عليه يساوي مشقَّاته ألف ألف مرَّة. على أن يضع الإنسان الجاد في طلبه للملكوت أن المسيح نفسه هو الطريق وهو الباب، فالالتصاق بالرب يسوع بكل القلب والنيِّة هو الضمان الوحيد، لأنه هو الذي افتتح الملكوت بموته على الصليب وهو الذي يعبر بنا ضيقات الطريق.

وكثير من الذين يستطيعون أن يدخلوا الآن لن يستطيعوا بعد ذلك مهما حاولوا، إذ يكونون قد فقدوا قوة الاندفاع من الاستعداد لإنكار الذات.

فالملكوت يُكتسب بالنيَّة في القلب أولاً، ومتى استقر العزم على ذلك استطاع الإنسان أن يعبر الأهوال والمصاعب بقلب أسد، إذ يرى المعونة الإلهية حاضرة في

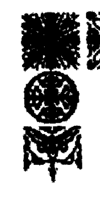
كل ضيقة لأن المسيح أمين على دعوته للنهاية.

أما الذين أهملوا الدعوة في وقتها وفضَّلوا العالم على المسيح، ويسألون الدخول فيستحيل عليهم لأنهم يكونون قد أخذوا شكل العالم وصاروا غرباءَ على الطريق الكرب والباب الضيِّق. لذلك مَنْ كان أمامه الفرصة مواتية ويتركها تتركه، سوف يطلبها بدموع فلا يحصل عليها، لأن الدعوة تأتِي ومعها القوة والبركة والعزيمة، فإن استصغرها أو أهملها الإنسان يطلبها فلا يجدها.

على أن خدمة الملكوت لكل قامة ولكل عمل ولكل مكان ولكل زمان، وهي تأتِي ومعها اختصاصها وتوجيهاتها ورجاؤها وآمالها الحلوة، ليستقبلها القلب المهيأ لها بثقة وإيمان وعزيمة وفرح لا يجعل الإنسان ينام أو يستريح حتى يتمِّم مقاصدها مهما كلَّفه الطريق.

أمَّا غلق الباب فهو للذين توانوا وأهملوا الصوت واستصعبوا الدعوة ثم عادوا يطلبون، فيجدون الباب قد أُغلق، بمعنى أنهم فقدوا مواصفات بني الملكوت من الحرارة والغيرة الملتهبة، فلم يعد قرعهم على الباب وتوسُّلهم يدخل قلب المسيح الذي دعاهم فرفضوا. وقوله: «لا أعرفكم» لأنهم تنكَّروا لحبِّه، أمَّا قوله: «من أين أتيتم» لأنهم تغرَّبوا عن بلده. والدعوة لا تأتِي مرتين.

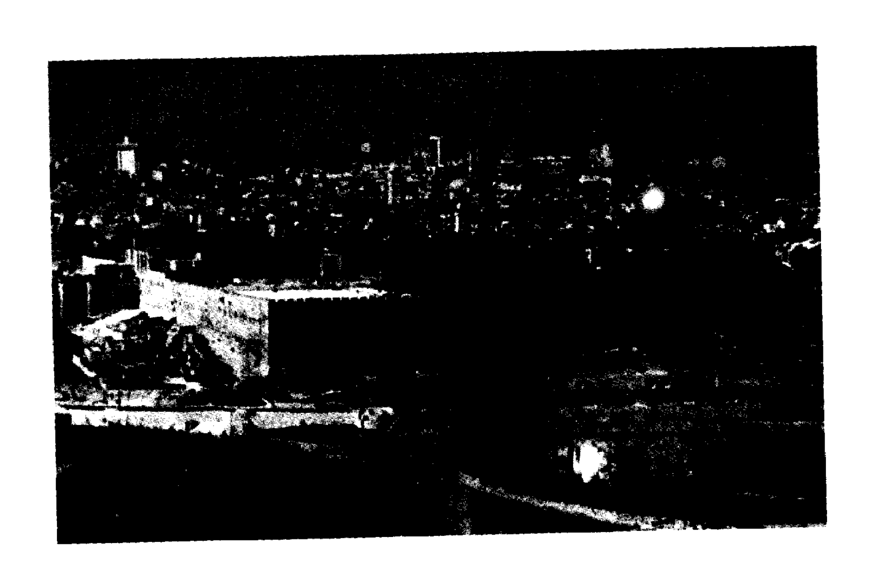





الساعة الثالثة من ليلة الثلاثاء

لو١٣: ٣١- الخ

[٣١] فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: «اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ هھُنَا، لأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ». [٣٢] فَقَالَ لَهُمْ: «امْضُوا وَقُولُوا لِهذَا الثَّعْلَبِ: هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ، وَأَشْفِي الْيَوْمَ وَغَدًا، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ. [٣٣] بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَدًا وَمَا يَلِيهِ، لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ! [٣٤] يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! [٣٥] هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا! وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتٌ تَقُولُونَ فِيهِ: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!».



أردت ولم تريدوا

يشير الرب بهذا القول إلى المرات الكثيرة التي حاول فيها الله أن يجمع شعب إسرائيل إليه بحبِّه وحنانه بواسطة الأنبياء الذين أرسلهم مُبكِّراً ومؤخِّراً. ولكن كانت النتيجة دائماً، كما في مَثَل الكرَّامين، أنهم رفضوه وأهانوا كل مَن أرسلهم.

كذلك فالرب يشير بهذا الكلام إلى تعاليمه وآياته ولطفه وإحسانه الكثير، الذي قصد به أن يجمع قلوبهم إليه بكل إشفاق ومودة، فكانت النتيجة أن رفضوه ورذلوه.

"أجمع أولادكِ": الرب هنا يُخاطب أورشليم، وأورشليم لم تكن في ذلك الوقت متفرِّقة، بل كانت مكتظة بأولادها من كل الأقاليم والأقطار، والهيكل يعجُّ بالصلاة وبالمصلِّين. إذن، فالرب هنا لا يقصد تكتُّل بني إسرائيل، لأنه لا اجتماعهم ولا تفرُّقهم أفادهم شيئاً أبداً، إذ أنهم في تفرُّقهم وذُلِّهم تركوه وجدَّفوا عليه، وفي تجمُّعهم وعزِّهم خانوه وأغاظوه.

الرب هنا يتكلَّم عن سرِّ مشيئته التي من أجلها جاء ليجمع المتفرِّقين إلى واحد، إلى صدره الحنون وتحت ستر جناحيه وفي ظل منكبيه. هذه التي طالما تغنَّى بها داود، وحنَّت روحه إليها، ولكن انظروا ماذا فعلوا فيه: عرُّوا صدره الحنون وطعنوه وفردوا ذراعيه الحانيتين وسمَّروها على الصليب، والأرجل التي كانت تجول تصنع خيراً دقُّوها بالمسمار على الخشبة!

وهكذا عِوَض أن يتجمَّع إلى صدره وتحت ستر جناحيه هؤلاء الأولاد الأشقياء بنو إسرائيل، تركوه: «تركوني أنا الحبيب مثل ميِّت مرذول»، وذهبوا وراء شهواتهم. وهكذا تركت الفراخ حضن الدجاجة ولم تعبأ بتوسُّلها وندائها، فوقعت في مخلب الصقر المتربِّص (الإمبراطورية الرومانية)، وانتهت إسرائيل إلى خرابٍ ولعنة.

ولكن الدعوة مجدَّدة لك هنا، أيها القارئ العزيز، فالجناحان مفرودان على الصليب، والجنب الحبيب يسيل بدم الشفاء والفداء. المسيح لا يزال يُنادي خرافه ويُرسل صوته مبكّراً كل يوم ليجمعهم تحت ظل جناحيه إلى أن يعبر الشر. هو لا يُنادي فقط، بل يجري وراء الخروف الضال ليُبطل جهالته، ولكن ليس إلى مالا نهاية. ففي لحظة نلقى جزاء عنادنا حينما يتوقَّف الرب عن النداء وعن الجري وعن التوسُّل ليقول مرثيته للنفوس الجاهلة: «كم مرة أردتُ... ولم تريدوا». يقولها الرب ويبكي على النفس التي «لم تعرف زمان افتقادها»، إذ يكون العدو قد اقتنصها ووقعت في شباكه.

"أردتُ، ولم تريدوا": تقول في نفسك إنه مجنون هذا الذي لا يريد ما يريده الله؟

ولكن رؤساء الكهنة لم يكونوا مجانين! بل كانوا متأكّدين أنهم حكماء وعلى حقٍّ، وأنهم على صواب كل الصواب حينما يحكمون بأن يُرفض المسيح بل ويُصلب!

وهوذا الصوت يأتينا اليوم مجدَّداً، والمسيح يسأل: هل تريدون ما أريد؟

+ أنا أريدكم من نصيبي وأن تكونوا دائماً حيث أكون، فهل تريدون؟

+ وأردتكم بقلبٍ وديع مثل قلبي، وأردتكم تطلبون ملكوتي وبرِّي، فهل تريدون؟

+ أنا أردتكم لا تهتمون بالدنيا، بل أن تحملوا نيري وأنا أحمل كل همكم، فهل تريدون؟

+ وأردتكم لا تُطالبون بحقكم ولا تنتقمون لظلمكم وأنا أردُّ لكم مئة ضعف، فهل تريدون؟

+ وأردتكم أن تحبوا أعداءكم، وتباركوا لاعنيكم، وتحسنوا إلى مبغضيكم، وتصلُّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم وأنا أُجازي، فهل تريدون؟

+أردتكم أن تحملوا الصليب ولا تجزعوا من الصَّلْب كما حملت أنا صليبي وصُلبت عليه، فهل تريدون؟

أنا جُزتُ هذا كله من أجلكم وغلبت العالم لتتشجَّعوا وتسيروا ورائي، فهل تريدون؟




الساعة السادسة من ليلة الثلاثاء



لو٢١: ٣٤- الخ

[٣٤]«فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ، فَيُصَادِفَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً. [٣٥]لأَنَّهُ كَالْفَخِّ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. [٣٦]اِسْهَرُوا إِذًا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَانِ». [٣٧]وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ. [٣٨]وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يُبَكِّرُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ.



اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين

هذا نداء من المسيح للسهر لاستقبال العريس بالمصابيح الموقدة والزيت في الأواني.

إن السهر والاستعداد دخل الكنيسة الأُولى بصورة عملية طاغية، فنشأت مجموعات من المؤمنين يعدُّون أنفسهم بالفعل لاستقبال العريس. واستلمته الحياة الرهبانية ونشأت الجماعات والمؤسسات الخاصة بالعبادة على مستوى السهر الدائم.

وينبغي أن نفهم السهر والاستعداد على أنه بانتظار لقيا المسيح وجهاً لوجه، حينما ينطلق المسيحي حاملاً مصباحه وإناء زيته ليقدِّمه إلى العريس. فمجيء ابن الإنسان هو خاص بجيل مَنْ سيسعد برؤياه آتياً في سحاب السماء مع ملائكته وأرواح القديسين. أمَّا لنا فنحن نسهر ونستعد للذهاب إليه.

والمسيح هنا يتكلَّم عن سهر الروح. وحينما يتكلَّم عن اللص، فاللص هو شيطان العالم الذي يأتي للإنسان ليزوره وفي يديه هدايا يشتهيها ليختار منها ما يشاء: أموالاً وأعمالاً واهتمامات كما يقول الرب، لا حدَّ لها حتى إذا استلم منه هدية أمدَّه بكل ما يلزمها حتى ينجح فيها ويبرع. وقليلاً قليلاً يسحب الإنجيل من يده ثم من قلبه. فالسهر هو سهر الروح واللص واقف لا يكف عن المحاولة. وسهر الروح دخول في أسرار الله والإنجيل والملكوت. والواحد من هذه الأسرار كفيل أن يملأ حياة الإنسان بعطايا الروح، يكتسب منها لحياته أينما كان وكيفما كان.

وسر الإنجيل والملكوت لا يراه ولا يحسّه أهل العالم فهو عندهم بلا ثمن ولا يُعتد به، ولكن يوم أن يُستدعى ليترك العالم لا يبقى له مما عمله واهتم به إلاَّ ما حصَّله من إنجيله وعرفه من سر ملكوت الله. فالسهر هنا هو السهر ضد العالم وأوهامه وهمومه، وعدم الوقوع في فخ الشيطان المزيَّن بالفوائد الكثيرة.

«اِسْهَرُوا إِذاً وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هـذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَانِ».

السهر معروف، أمَّا التضرُّع هنا فهو الشحاذة، حتى تنجوا من هذه التي تـأتي على غير الساهرين. فهنا التضرُّع بمفهوم الشحاذة يصوِّر الإنسان المـصلِّي وهـو يتوسَّل ويزيد التوسُّل، كمن يشحذ لنفسه لقمة يرد بها جوعه. لأن كل الذي نأخذه من الله ليس حقـاً لنا وإنما نشحذه. وعلى قدر توسُّلنا كما عرفنا من قصة قاضـي الظلم يُعطَى لنا، ليس لأننا نستحقه ولكن لأن الله يُغلب من تحننه. فالعطية هنا التي نطلبها عظيمة وتستحق الوقوف على باب الله الليالي والأيام، لأن خصمنا بالمرصاد. والذي نجمعه العمر كله يمكن أن يخطفه العدو من يدنا في ساعة. ونحن نطلـب أن نغلَب لنحُسب قادرين أن نقف قُدَّام ابن الإنسان.

وأقول لكم إننا علمنا، والله أعلم، أن الذي ينتقل منَّا تذهب روحه لتواجه المـسيح لتسمع منه كلمة القبول أو الرفض بعد أن يكشف لها حياتها كلها. هذا أقوله حـتى لا يطغى علينا العدو ويصوِّر لنا الوقوف أمام ابن الإنسان هناك بعد زمن طويل.

فأرجو من القارئ رجاءً قلبياً صادقاً أن يعتبر نفسه مطلوباً لمقابلة ابن الله في اليوم الذي ينتقل فيه. وهنا تظهر قيمة كلام المسيح: «فيصادفكم ذلك اليوم بغتة لأنـه كالفخ» هذا يشجِّعنا أن نقف أمامه الآن كشحَّاذين نطلـب أن نُعطـى مقابلتـه باستحقاق هناك بوجه غير مخزي.

عزيزي القارئ، الزمن مقصِّر والأيام رديئة، اكسب الوقت لحـساب الإنجيـل واحتمي فيه لأن فيه النجاة. وإلى أن نلتقي.




الساعة التاسعة من ليلة الثلاثاء

لو١١: ٣٧- ٥٢

[٣٧] وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. [٣٨] وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ. [٣٩] فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا. [٤٠] يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضًا؟ [٤١] بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ. [٤٢] وَلكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْل، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. [٤٣] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. [٤٤] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ!». [٤٥] فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا!». [٤٦] فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. [٤٧] وَيْلٌ لَكُمْ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. [٤٨] إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ. [٤٩] لِذلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ [٥٠] لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ، [٥١] مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هذَا الْجِيلِ! [٥٢] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ».

توجيهات روحية

غَيِّر نفسك ولا تُحاول بل ولا تُفكِّر في تغيير غَيْرك.

عدِّل نفسك لتلائم المكان الذي وضعك الله فيه، ولا تُحاول ولا تُفكِّر في كيف تُعدِّله ليلائمك، لئلاّ تظل طول حياتك تُعدِّل ولا تستريح.

لا تنظر للآخرين نظرة متحزِّبة، هذا يوافقك وهذا لا يوافقك، هذا تُكلِّمه وهذا تعبس في وجهه، هذا تضحك معه وهذا لا تُحاول حتَّى أن تبتسم في وجهه، هـــذا تُطيِّب خاطره وهذا تودّ لو ينكسر خاطره.

يا مرائي، يا كذّاب، تعلَّم كيف تعيش المسيحية ولا تتحزَّب لإنسان ولا لذاتك. عامِل الجَميع معاملة واحدة بالحب الصادق غَيْر المغشوش، وبالبذل الحقيقي الـــذي مصدره التقوى؛ ليست الاصطناعية بل الحقيقية.

لا تَملأ عينك من الأوضاع الخاطئة، ولا تفتح أذنك لكلام الانحلال، حتَّى تنجو من الدينونة ومذمَّة أفعال الناس. انسَ كل كلام الناس وأقوالِهم ومناظرهم قبل أن تدخل مخدعك لتعيش مع المسيح، لئلاّ يعشعش الـــشيطان في قلبـــك ويُحوِّلَـــه إلى جحيم.

لا تعُدْ تَجلس تتحدَّث بالفاضي والمليان، وتبدأ الحديث بالمديح لبعض الناس ثُمَّ تنهيه بالذمّ والنميمة. من الآن لا تعُدْ تَمدح أحداً، ولكن تشبَّه بِمَنْ يعجبك بدل أن تصف أعماله بالكلام الفارغ من التطبيق.

لا تضع مسؤولية خلاصك على أبيك الروحي، فأول ما يأتيك هذا الشعور فاعلم أنك متوانٍ وكسلان ومتهرِّب من قوانين العبادة والصلاة ومبتعد عن وجه المسيح.

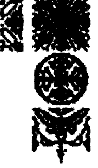
إذا أخلصتَ في عبادتك فلن تعُود تَجد أية حاجة إلى مساندة الآخرين، وعِشرة المسيح تغنيك وتَجعلك تُغنِي الآخرين.

إذا أهْملتَ مشورة أبيك الروحي وتَهاونتَ بتحذيراته ونصائحه التِي طالَما أوصاك بِها، فمصيرك أن تشرب عُكارة كأس الاعتداد بالذات. وفى الطريق تُصدِّق كلام الشيطان كأنه كلام المسيح، وتسير في التيه مسافات طويلة دون أن تنتبه.

اليوم الذي تَجد فيه حرارتك الروحية ضعيفة وقد بردت الصلاة من قلبك، وسلامك الداخلي تبدَّد، احذر ثُمَّ احذر بأن تَمسك عملاً عامّاً أو تعطي أوامر للآخرين أو نصائح، لأنَّها ستكون عديمة القيمة عديمة النعمة، والشيطان يستطيع أن يتكلَّم بفمك بسهولة في هذا اليوم، ويُوقِع بكَ في مَحظورات كثيرة. في ذلك اليوم الْزَمْ الصمت والحزن على روحك جاعلاً خطاياك أمام عينيك طول النهار.

هذا الكلام هو لكَ أنتَ ولا تُحوِّله لِغَيْرك، ولا تقول في نفسك أن البند الفلانِي ينفع فلان، فكل البنود لكَ أنتَ، فاعمل بِها لتحيا.

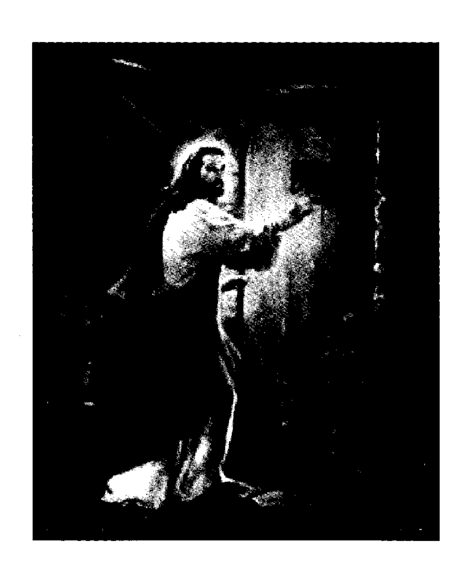


الساعة الحادية عشر من ليلة الثلاثاء

مر١٣: ٣٢- الخ، ١٤: ١، ٢

[٣٢]«وأمَّا ذلِكَ اليَوْمُ وتِلْكَ السَّاعَةُ فلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أحَدٌ، ولاَ المَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، ولاَ الابْنُ، إلاَّ الآبُ. [٣٣]اُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الوَقتُ. [٣٤]كَأنَّمَا إنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، ولِكُلِّ واحِدٍ عَمَلَهُ، وأوْصَى البَوَّابَ أنْ يَسْهَرَ. [٣٥]اِسْهَرُوا إذًا، لأنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَأتِي رَبُّ البَيْتِ، أمَسَاءً، أمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أمْ صِيَاحَ الدِّيكِ، أمْ صَبَاحًا. [٣٦]لِئَلاَّ يَأتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدكُمْ نِيَامًا! [٣٧]ومَا أقُولُهُ لَكُمْ أقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسْهَرُوا». [١]وَكَانَ الفِصْحُ وَأيَّامُ الفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. وكَانَ رُؤَسَاءُ الكَهَنَةِ وَالكَتَبَةِ يَطلُبُونَ كَيْفَ يُمْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُونَهُ، [٢]ولكِنَّهُمْ قالُوا: «لَيْسَ فِي العِيدِ، لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ».



هنا توجد استحالة لاهوتية في أن يكون الآب يعلم والابن لا يعلم! ولكن تفسير الآية هو أن نهاية العالم هو نهاية الزمن حتماً وبالضرورة، ويوم نهاية العالم أو الساعة التي تبتدئ فيها النهاية غير موجودة في الزمن قطعاً، لأنها هي نهاية الزمن، فحتماً لا تكون في الزمن ولا تُحسب منه ولا تُحسب بحسابه.

إذن، فيوم نهاية العالم وساعته هي فوق الزمن وغير موجودة فيه، هي من صميم اللاموجود الزمني واللامعروف الزمني. وبذلك امتنع على الإنسان كان مَنْ كان أن يدركها وهو المخلوق الزمني الخاضع للزمن. بالتالي هي ليست من رسالة الابن المتجسِّد ولا هي من عمله، لأن رسالته هي في الزمن وعمله ينتهي بانتهاء الزمن.

إذن، تحتَّم بكل يقين أن تكون في اختصاص الآب وعمله هو وحده. لذلك حينما قال إن الابن (المتجسد) نفسه لا يعرف ذلك اليوم وتلك الساعة، فالسبب أنها خارجة عن دائرة رسالته وعمله وخدمته، لأن غير الزمني صار زمنياً فلا يعود يهتم إلاَّ بكل ما هو زمني، تاركاً للآب كل ما هو غير زمني، وهذا هو التخلِّي أو الإخلاء الإرادي.

إذن، فالصعوبة البالغة في تفسير هذه الآية وشرحها هي في كونها أنها حُسبت في حيِّز الزمن وهي من صميم عمل الخلود. وكأنك تسألني: ما هو اليوم والساعة التي خلق فيها الله العالم؟ يكون الجواب هذا كان قبل الزمن، والذي فيه بدأ الزمن عندما بدأت أول حركة في العالم. كذلك بالمثل يكون رد الجواب على ما هو اليوم والساعة التي ينتهي فيها العالم؟ يكون الجواب هذا ليس فعلاً زمنياً ولا هو مضمون يحمل الزمن، بل هو خارج الأيام كلها والساعات، لأن فيه تكف الحركة وبالتالي يخمد الزمن، ويستحيل على أي عقل زمني أن يدركه أو يفهمه، فهو الصفر المطلق

بمفهوم الحركة أو الزمن أو الموت الكلي أو العدم الأبدي.

ولكن من مراحم الله العظمى أو من فعل كيانه الحي المحيي، أن الخليقة البشرية أو العالم استودع الله فيه بذرة الوجود الحي الأبدي، فحينما يبلغ الإنسان أو العالم إلى صفر الزمن أو الموت المادي الكلّي تنبثق منه حركة الحياة الجديدة، فتبدأ الخليقة الجديدة للإنسان ويبدأ معها العالم الروحي بسمائه الجديدة وأرضه الجديدة، بحركته الحيَّة الجديدة المستمدة من الله وليس من المادة بعد. والتي لا يكون لها نهاية، بل هي المعبَّر عنها بالخلود، لأن مع الله لا توجد نهاية.

ويتوافق مع هذه الآية، ما قاله المسيح أيضاً لتلاميذه لمّا سألوه في بداية سفر الأعمال: «هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل» . فهذا السؤال يكشف عن خطأ ظنهم أن مجيء المسيح وعودة إسرائيل وشيك على الأبواب. فرفع المسيح فكرهم نهائياً من محيط الزمن: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه». واضح أن الابن يتكلَّم هنا وهو في حالة تجلّيه المطلق وكمال تساويه مع الآب. ولكن لا تزال النهاية، نهاية العالم والزمن محسوبة أنها غير قائمة في اختصاص الابن بل هي من اختصاص الآب. لأن نهاية الزمن كما سبق وقلنا لا تخضع للزمن. ومعروف أن «إعادة المُلك إلى إسرائيل» يُكنى بها عن مجيء ملكوت الله. وواضح أن ذلك يعني بعد نهاية زمن العالم أي بعد أن يكف الزمن.

ومن هنا يتضح تماماً لدى القارئ حماقة أي إنسان كان مَنْ كان أن يتنبَّأ أو حتى يدَّعي معرفة النهاية وتحديد زمانها، لأن نهاية الزمن لا تدخل في الزمن ولا تطرأ على بال زمني ولا يدركها إنسان قط، لذلك فكل مَنْ يدَّعي معرفة نهاية العالم أو نهاية الزمن ينسب إلى نفسه حماقة النبي الكاذب مباشرة.




باكر يوم الثلاثاء

يو٨: ٢١- ٢٩

[٢١]قالَ لهُمْ يَسُوعُ أيْضًا: «أنَا أمْضِي وَستَطْلُبُونَنِي، وتَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أمْضِي أنَا لاَ تَقْدِرُونَ أنْتُمْ أنْ تَأتُوا» [٢٢]فقالَ اليَهُودُ: «ألعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حتَّى يَقُولُ: حَيْثُ أمْضِي أنَا لاَ تَقْدِرُونَ أنْتُمْ أنْ تَأتُوا؟». [٢٣]فقالَ لهُمْ: «أنْتُمْ مِنْ أسْفَلُ، أمَّا أنَا فمِنْ فوْقُ. أنْتُمْ مِنْ هذا العَالَمِ، أمَّا أنَا فلَسْتُ مِنْ هذا العَالَمِ. [٢٤]فقُلْتُ لكُمْ: إنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطايَاكُمْ، لأنَّكُمْ إنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أنِّي أنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطايَاكُمْ». [٢٥]فقالُوا لَهُ: «مَنْ أنْتَ؟» فقالَ لهُمْ يَسُوعُ: «أنَا مِنَ البَدْءِ مَا أكَلِّمُكُمْ أيْضًا بِهِ. [٢٦]إنَّ لِي أشْيَاءَ كَثِيرَةً أتَكَلَّمُ وَأحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لكِنَّ الَّذِي أرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذا أقُولُهُ لِلعَالَمِ». [٢٧]وَلَمْ يَفْهَمُوا أنَّهُ كَانَ يَقُولُ لهُمْ عَنِ الآبِ. [٢٨]فقالَ لهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإنْسَانِ، فحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أنِّي أنَا هُوَ، وَلَسْتُ أفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أتَكَلَّمُ بِهذا كَمَا عَلَّمَنِي أبِي. [٢٩]وَالَّذِي أرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ».



شهوة اشتهيت أن آكل الفصح معكم

فلأول مرَّة نسمع أن المسيح يشتهي، ويشتهي أن يأكل، لأن الخبزة التي كسر وأخذ منها وأعطى صارت هي عينها وفي هذه اللحظة الفريدة من يوم الخميس هي نفس الجسد المعلّق على الصليب يوم الجمعة. إذ لمّا كسر أعطى قائلاً هذا هو جسدي. وهكذا أعطى ليوم الخميس رهبة وجلال يوم الجمعة، وللخبزة المكسورة قوة وجلال الصليب والجسد المائت عليه والمطعون! وهتف بالتلاميذ والزمن يسجِّل: اصنعوا هذا لذكري. لا لتذكار المسيح؛ بل تذكار مسيح الصليب والجسد المكسور والعائلة الواحدة والحب وشهوة العبور!!

وحتى لا تضغط على مشاعرهم كلماته الوداعية بأحاسيسها السرِّية جداً، فيشعروا بالخسارة المريعة لذهابه، طمأنهم أنه سيشربها معهم جديداً في الملكوت. يشربونها ولها قوة النصرة ومجد القيامة وحضرة الآب وتسبيح يدوم!!

وَأَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: هذَا هُوَ جَسَدِي

هذا جبرؤوت المصلوب، كيف يَصْلِب نفسه بلا خشبة ولا مسمار، وبسكين سر الشكر الأعظم قسَّم جسده واستودعه خبزة، دفعها لهم خبزة وهي جسده مذبوحاً من أجلهم بفعل أبدي يأخذون منه كيفما شاءوا، خبزاً حيًّا ويذكرون ذبحه.

هكذا صنع المسيح من يوم الخميس تذكاراً ليوم الجمعة يدوم فوق الزمن.

هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ

بإرادة الفدية ذبح نفسه حيًّا، وملأ كأسه دماً، وأعطاه لتلاميذه ليشربوا عهده الجديد ويذكروه كلما شربوا، ويذكروا عهده ويعيشوا به جدة الحياة.

وهكذا بعشاء الخميس صنع فصحاً بدمه استودعه نفسه حيًّا ليسقيهم بيديه كلما صنعوا.

هكذا ضمن المسيح قبل صعوده أن يستودعنا جسده الخاص ودمه الحي تأكيداً لدوام حضوره وتحقيقاً لقوله لتلاميذه: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين»

وعندما قال: «هذا هو جسدي» و «هذا هو دمي» فهو يقدِّم نفسه حقيقة سريَّة منظورة وملموسة في الخبز والخمر ليبقى هو كما هو بعد صعوده بيننا حقيقة منظورة وملموسة بالإيمان في ذات الخبز والخمر الإفخارستي.

والكاهن يؤكِّد هذه الحقيقة عندما يقيم الإفخارستيا كالتدبير مشيراً إلى الخبز والكأس بعد تقديسهما صارخاً: [الجسد المقدَّس والدم الكريم اللذان لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا]، والشعب يصرخ ساجداً: [نسجد لجسدك المقدَّس ولدمك الكريم]. إنه سجود لحضور حقيقي للمسيح، إنها الوحدة الإلهية بين الكلمة اللوغس وجسده ودمه تماماً تماماً كما كان حاضراً وقت عشاء الخميس بشخصه كابن الله الكلمة المتجسِّد وبآن واحد في الإفخارستيا التي على يديه: الجسد المقدَّس والدم الكريم، وهكذا أصبحت الإفخارستيا تحقيقاً جوهرياً لحضور المسيح وتحقيقاً بالتالي لقوة وفعل الكلمة اللوغس في الجسد والدم.

فأكل الجسد وشرب الدم ليسا بعد أكلاً وشرباً ساذجاً بل هما أكل حق وشرب حق، أي أكل حقيقي وشرب حقيقي للوغس الكلمة، لأن الجسد كجسد بمفرده لا يفيد شيئاً كقول المسيح ولكن "الروح الله" أي اللاهوت في الجسد هو الذي يحيي. وهنا تبرز قوة المعنى لسر قول المسيح: «فمن يأكلني فهو يحيا بي» .

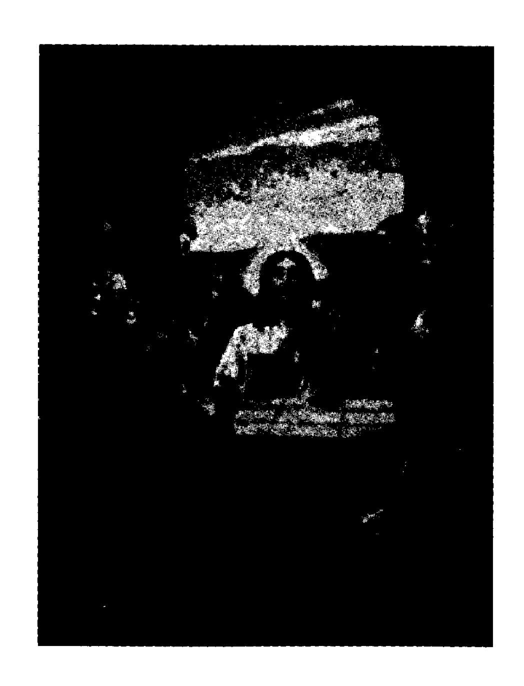
بهذا ننتهي بحقيقة لاهوتية غاية في الأهمية وهي أننا حينما نشترك في الجسد والدم نحن نأكل المسيح كقوله وبالتالي نتحد به بالسر الفائق: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه». هكذا أصبحت الإفخارستيا هي الواسطة السرية المقدمة بسخاء الله والمسيح لندخل في شركة مع المسيح واتحاد.




الساعة التاسعة من يوم الخميس

مت٢٦: ١٧- ١٩

[١٧] وَفِي أوَّلِ أيَّامِ الْفَطِيرِ تَقدَّمَ التَّلاَمِيذُ إلى يَسُوعَ قائِلِينَ لهُ: «أيْنَ تُرِيدُ أنْ نُعِدَّ لكَ لِتَأكُلَ الْفِصْحَ؟» [١٨] فقالَ: «اذْهَبُوا إلى الْمَدِينَةِ، إلى فُلاَنٍ وَقولُوا لهُ: الْمُعَلِّمُ يَقولُ: إنَّ وَقتِي قرِيبٌ. عِنْدَكَ أصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلامِيذِي». [١٩] فَفعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأعَدُّوا الْفِصْحَ.



اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد

كان دم العهد القديم لم يكن ليَرْفع إلاَّ خطايا السهو فقط، أمَّا خطايا العمد فلم يكن لها ذبيحة. أمَّا ذبيحة المسيح فهي لرفع ليس كل الخطايا فحسب بل لإبطال الخطية ذاها، وهي التي نص عليها إرميا النبي في نبوَّته: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا "عهداً جديداً"، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر». لذلك أعطى المسيح في دمه الذي سكبه على الصليب وسقاه لتلاميذه ليلة العشاء "عهداً جديداً"، فصار العشاء وبالتالي الإفخارستيا في الكنيسة هي قوة العهد الجديد بدم المسيح، عهداً أقامه الله الآب وابنه معاً: أن طالما أُقيمت هذه الذبيحة المقدَّسة قام عهد الله والمسيح مجدداً بينه وبين المؤمنين باسمه.

أما القصد من «اصنعوا هذا لذكري» هو تحقيق وجود الرب بسر الإفخارستيا حضوراً إلهياً بحالته كمسفوك دمه، أي في حالة كفَّارة وغفران وخلاص دائم.

فالتذكار هنا ليس لذكر إنسان مات وانتهى، حاشا، بل هو ذكر وجودٍ حي بالروح دائم، عوض وجود كان بالجسد. فالرب غير منظور وليس ميِّتاً، غير منظور بالجسد ولكنه حاضر بالروح وبلاهوته وقوة دمه الفادي في الإفخارستيا. لذلك يذكرها ق. بولس بصورها الأقوى: «اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري» ولماذا كلما شربتم؟ لأنه موجود في قوله: «هذا هو دمي اشربوا منه كلكم» فالرب واقف في كل إفخارستيا يعطي بيده الخبز المكسور ويسقي بيده الدم المسفوك!! والذي يشك في هذا فليسأل تلميذي عمواس اللذين عرفاه وقت كسر الخبز، لأنه تواجد بنفسه حسب الوعد لما كسر وأعطى!! فالإفخارستيا تعويض عن عدم رؤية المسيح بالجسد المنظور بحضوره إلهياً. لذلك حينما يخطئ البعض ويقول: إن الإفخارستيا ليست سرًّا إلهياً بل مجرَّد ذكرى يكشفون عن عجز فاضح في فهم حضور الرب في الإفخارستيا حضوراً إلهياً فعَّالاً غافراً ومعطياً حياة.

وقول ق. بولس: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب» يكشف هنا عن كرازة حيَّة دائمة بسر موت المسيح على الصليب، وهو سرّ الفداء والكفَّارة. فكيف يمكن وبأي عقل نفهم أننا نقيم سرّ فداء وسرّ كفَّارة بدون المسيح نفسه قائماً؟

أليس هذا هو بعينه ما عمله المسيح على مائدة الفصح يكمِّل ما سيعمله على الصليب قبل أن يُصلب؟ فإن كان في استطاعة المسيح أن يحقِّق بالفعل الموت في نفسه قبل أن يموت، ويقول لهم خذوا هذا هو دمي المسفوك وهو لم يُصلب بعد، ألا يحقِّق بالفعل سر موته بعد أن قام حينما نقيم الإفخارستيا باسمه لنحقِّق فعل موته!؟

فالذبيحة التي حقَّقها المسيح في نفسه بنفسه في سر الإفخارستيا يوم الخميس بالخبز المكسور والخمر المسكوب المتحوّلَيْنْ إلى جسده الأقدس ودمه الكريم:

– هي بعينها التي أكملها المسيح بأيدي صالبيه على الصليب يوم الجمعة.

– وهي بعينها التي صعد بها المسيح إلى الآب ليقدِّم نفسه: «كخروف قائم كأنه مذبوح» أمام الآب ذبيحة شفاعة دائمة لحسابنا.

– وهي نفسها التي تركها للكنيسة لتقيمها باسم الآب والابن والروح القدس لتحقِّق بها الكنيسة حضوره الدائم وشركتها فيه لتكميل وعده الصادق: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.»

◆ على أن الكنيسة تؤمن أن المسيح نفسه لا يزال هو الذي يعطي جسده ويسقي دمه بيده سرًّا في الإفخارستيا لكل متناول من خلال سر كهنوته الفائق والدائم.

◆ ثم تؤمن الكنيسة أن الإفخارستيا بحد ذاتها مع كل ما يشمله طقسها من قراءات وتسابيح تعتبر قلب العبادة النابض بحب المسيح وعبادة الآب بالروح والحق، وأنها عمل تقديسي يتقدَّس به كل مَنْ يشترك فيه.





لقان خميس العهد

يو١٣: ١- ١٧

[1] أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى. [2] فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ، وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ، [3] يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، [4] قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، [5] ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا. [6] فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!» [7] أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ». [8] قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». [9] قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي». [10] قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اَلَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ». [11] لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ». [12] فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضًا، قَالَ لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ [13] أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ. [14] فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، [15] لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. [16] اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. [17] إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ».

اليوم، يا أحبائي، هو خميس العهد، فإن كنا نحيا الآن في العهد الجديد؛ فهذا هو اليوم الذي تأسس فيه هذا العهد. هذا السر، يُدعى في الطقس: ميغالي، أي عظيم، وهو بالحق عظيم، هو القوة المحركة في الكنيسة وحتى نهاية الدهور. هذا السر، سر التناول، يسمونه سر الإفخارستيا، أي الشكر، وكان سابقاً يُسمى سر كسر الخبز. وفي الحقيقة إنه يوجد ارتباط وثيق بين مفهوم سر الإفخارستيا، أي سر الجسد والدم؛ ومفهوم سر الصليب، أي الفداء والغفران والكفارة.

هذا السرُ هو الأساس لكل المفاهيم اللاهوتية الخلاصية. واللاهوت كله لا يمكن أن يُفسر إلا على أساس الإفخارستيا. ولولا الإفخارستيا لبقى الصليب غير معروف أو واضح في أذهاننا كمسيحيين. ولولا قول الرب خذوا اشربوا هذا دمي المسفوك عنكم وعن كثيرين لظل دم المسيح شيء غير مفهوم ولا يُعلم لماذا سُفك. ولكن الآن نحن نحيا في ملء الفهم بسبب الإفخارستيا.

في هذا اليوم، يا أحبائي، تنتقل الحياة الأرضية من حبة حنطة، وخبز الأرض إلى حياة أبدية، اُستودعت في سر الجسد المهيب.

كان عشاءَ يومٍ؛ فصار عشاءَ الدهورِ. كان عشاءً عادياً محدوداً يبتدئ بطقس وينتهي بتسبيح وما يلبث أن يُنسى في عداد الأيام؛ وإذا بالمسيح يُحوِّله إلى عشاءٍ سري يظل ينبع من على كل مذبح، يستمد وجوده وكيانه من المسيح القائم على المذبح إلى جيل الأجيال.

كان عشاءً يربطُ بين جماعة متعصبة مربوطة بالميراث الجسدي، والجنسية المختارة، والإحساس بالأفضلية، ولكن إذ بالرب يفكُ كل هذه الأوصال والقيود الحديدية، ويستعلن ملكوته والذي لا يجمع متعصبين فيما بعد، بل جسد واحد وروح واحد، من كل لسان وشعب وأمة، يجمعُ السودِ مع البيض، الحُمر مع

الصُفر، يجمعُ بلا مانعٍ الفقراءَ مع الأغنياءِ، كل الطبقات معاً. ففي الإفخارستيا ليس هناك إلا إنسان واحد فقط.

نعم، اُستُعلن الملكوت في هذا المساء، ليكون هذا العشاء فيما بعد مسرة الأجيال بلا مانع، فيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في حضن إبراهيم، أو كما يقول في سفر الرؤيا: رأيت عدداً مهولاً من كل الشعوب والأمم، كانت الإفخارستيا، سر الجسد وسر الدم، هي التي جمعهتم، فالإفخارستيا رفعت الحاجز المتوسط بين الفرقاء، جمعت القريبين والبعيدين في واحد.

المسيح قال لتلاميذه: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي وأنا اجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» (لو٢٢: ٢٩، ٣٠). إياكم أن تظنوا، يا أحبائي، أن هذا الكلام يخص أياماً قادمة أو سنيناً ستأتي، لا. المسيح وقتها كان يتكلم عن هذه الأيام، أيامنا تلك التي نعيش فيها الآن. فنحن هم الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته، حسب تعبير التلاميذ. فالإفخارستيا استمرت. وها نحن نأكل ونشرب على مائدة المسيح؛ هنا ملكوت الله يُستعلن، هنا ملكوت المسيح.

المسيح، في هذا العشاء، وحسب الطقس القبطي، حوّله من مجرد وجبة محبة، هابوراه، ووليمة بين أصدقاء، ومن بركات وشكر تُقدَّم لله على عطاياه المادية، بركات سرعان ما تلبث أن تزول، وخبز لابد له أن يفسد؛ إلى بركة من نوع جديد تماماً.

المسيح أخذ أيضاً نفس الخبزة، ولكنه قال أشياءً مختلفة عما اعتادوا أن يسمعوه في هذه المناسبة؛ فبدلاً من أن يبارك الله على خيرات الأرض المادية، إذا به يبارك الله، ويقول أن هذا هو جسدي، ثم يأخذ الدم ويبارك وقال هذا هو دمي لمغفرة الخطايا. انتقال جذري في مفهوم البركة.

المسيح، في الإفخارستيا، استودع في الخبزة المادية سر الحياة الإلهية، انتقل من المادة الجامدة لشيء أعلى، كَسَرَ حاجز الأرقام، فك المادة من عقالها، ألغى الحدود والصفات

الطبيعية للمادة. باختصار إنه استودع المادة حياة الله، الخبزة العادية حمَّلها حياة أبدية: «هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت» (يو٦: ٥٠).

كذلك نفس كأس الخمر الذي كانوا يشربونه، لكي تطيب أنفسهم، كذباً، للحظات؛ استودعه المسيح سر حياته الخاص، بنويته للآب، نشربه، فننال حياة الابن. نشربه فتُرفع الخطية إلى الأبد، وينال الإنسان ضميراً مغتسلاً مُبرَّئاً من كل إثم. وهو قالها بصراحة ووضوح: «خذوا اشربوا هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا».

هذا الانتقال والتحول العجيب وقف أمامه التلاميذ مُنذهلين ومتحيرين، والمسيح يرد على بطرس أثناء غسيل الأرجل ويقول له: نعم، أنا أعلم أنك الآن غير فاهم، ولكنك ستفهم أخيراً.

لاحظ أن الفعل الإلهي لا يُستوعب أو يُفهم بالعقل؛ ولكن من القلب ينضح قليلاً قليلاً.

المسيح استودع تلاميذه هذا السر، بكل أسرار آلامه وموته وقيامته ومجيئه الثاني وضعه فيهم، غرسه داخلهم، وكأنه عمل فيهم عملية نقل دم أو زرع قلب جديد.

صحيح أنهم لم يستوعبوا أو يفهموا ما قيل لهم، ولكن المسيح سبق وأن تنبأ بما سيكون: «لقد قلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون». وهذا ما حدث بالفعل عندما انفتحت أعين تلميذي عمواس عندما عرفوه مباشر بعد كسر الخبز.

لاحظوا، أن المسيح لم يقدم منهجاً لاهوتياً عنوانه الكفارة بقلم يسوع المسيح! أبداً لم يحدث هذا. ولا قدَّم موضوع غفران الخطايا ولا أي عقيدة لاهوتية، ولكن كل ما قاله هو أن ابن الإنسان سيُصلب ويُضرب ويُتفل عليه، لم يقل لهم أن الصليب عظيم ومجيد، أبداً أبداً؛ ولكن الكنيسة فهمت الصليب جيداً بعد الإفخارستيا، والرسول بولس يقول إنه لا يفتخر في حياته بشيء سوى بصليب المسيح.

ثم من أين جاء الرسول بقوله إن الصليب هو حكمة الله وقوته؟ المسيح وضع لهم الأساس اللاهوتي عندما قدّم لهم كأس الإفخارستيا، لا كتعليم أو نظرية عقائدية؛ بل كفعل إلهي سرائري، كقوة إلهية خفية غير مُدركة، ولكنها محسوسة مُعاشة في خبز مكسور يحمل سر الجسد الإلهي الحي، وكأس فيه دم المسيح المسفوك يحمل سر الحياة لابن الله.

صـــــــلاة

يا ربنا يسوع المسيح، يا رب خميس العهد،

يا ضيف المحبة على مائدة المحبة، التي ذبحت فيها ذاتك،

لا بسكين، يا ربي، ولا بخروف، ولكن بيمينك العالي،

ذبحتَ المحبة ذاتها؛ فكانت هي الكاهن، وهي الذبيحة معاً،

وأشبعت العالم كله من الحب الذي ينبع في قلبنا حينما ينسكب فيه، في سر الجسد والدم إلى حياة أبدية،

يا عريسنا اليوم، أيها المذبوح بالإرادة، قبل أن تُذبح بغير إرادتك،

اليوم ذبحت نفسك بإرادتك وحدك، لكي ما تُعلمنا أن لك سلطان أن تضعها، ولك سلطان أن ترفعها؛ فارفعنا اليوم معك، يا ابن الله، ارفعنا عالياً جداً لنتحسس مكاننا من جسدك ودمك لنستمد حياتنا ومفهوماتنا كل يوم من فعلك الإلهي الحي فينا، وليس من كتاب، انت هو كتابنا.

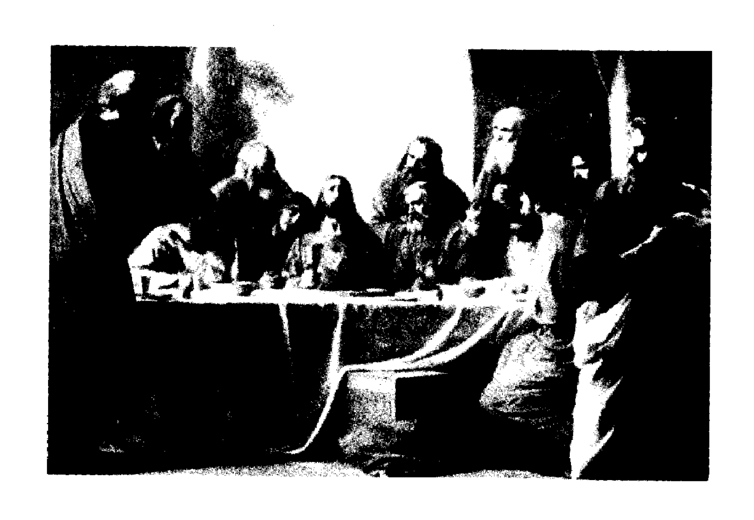
فاعطنا، يا رب، أن نأخذ بإيمان وأمانة، لتتفتح عيوننا وآذاننا، فنعرفك ونتبعك في كل أيام الحياة.




قداس خميس العهد

مت٢٦: ٢٠ - ٢٩

[٢٠] ولَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. [٢١] وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». [٢٢] فَحَزِنُوا جِدًّا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَارَبُّ؟» [٢٣] فَأَجَابَ وَقَالَ: «الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! [٢٤] إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!». [٢٥] فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ». [٢٦] وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». [٢٧] وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، [٢٨] لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. [٢٩] وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي».



هذا هو جسدي .. هذا هو دمي

هذا هو اليوم الفاصل بين عهدين، الذي أسَّس فيه المسيح سرَّ التناول.

يومان في تاريخ البشرية هما كل التاريخ:

اليوم الأول: كان بعد الطوفان الذي أهلك كل بني البشر إلاَّ نوحاً وأولاده، يوم أن عاهده الله أنه لا يعود يلعن الأرض أو يميت كل حيٍّ فيها. وكانت علامة العهد قوساً يظهر في السماء بعد كل مطر شديد علامةً لرضا الله.

والثاني: هو الذي نصنع تذكاره اليوم، وفيه جلس يسوع مع تلاميذه وكشف لهم عن سرِّ العهد الجديد في مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية.

كان العهد الأول ضماناً لاستمرار الحياة البشرية على الأرض.

وكان العهد الثاني ضماناً لنوال الحياة الأبدية بعد الموت!

"خذوا كلوا... اشربوا منها كلكم":

ما أعظم هذا النداء، ليس هو رجاء ولا دعوة، ولكنه أمرٌ.

ليس لنا أن نقول: لا، مهما كنا خطاة أردياء، لأننا كلنا خطاة أردياء.

وليس ولا واحد بمستحق هذه العطية التي يصير بها واحداً في المسيح.

أراد بطرس أن يرفض غسل رجليه بيدي المسيح تواضعاً منه، فانتهره المسيح قائلاً: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب.»

أقول إنها ليست دعوة ونحن أحرار في قبولها أو رفضها. كلا، لأن في قبولها حياة وفي رفضها موتاً، والرب لا يشاء موت الخاطئ بل بالأحرى أن يرجع ويتوب إليه.

لقد جاء المسيح ليعطينا جسده ودمه، فكل مَن لا يأخذ من جسده ومن دمه، فالمسيح ليس له. وإن كان المسيح ليس لنا فليس لنا رجاء، بل ونكون أشقى الناس.

أَلاَ تريد أن تتخلَّص من خطاياك، أَلاَ تريد أن تحيا حياة مقدسة، أَلاَ تريد أن يستضيء ذهنك بالمعرفة الروحية؟ ليس من سبيل إلاَّ أن تأخذ المسيح فيك لتحيا به لأننا لسنا كُفاة من أنفسنا.

إني متعجِّب من ذاتي، كيف أُعطِيَ لي أنا الإنسان الحقير الترابي الخاطئ أن آخذ المسيح فيَّ! آخذه كله في داخلي؟ لستُ أستطيع ولا واحد بمستطيع أن يُفسِّر هذا لأنه فوق الفهم والتفسير. ولكني أومن به فهو إنجيلي، وهو نفسه قال: «خذوا، كلوا، هذا هو جسدي»!!

إني لستُ أجترئ على شيء ليس هو لي، ولكنه هو الذي قال لي: "خُذ، كُلْ".

آدم أخذ من الشجرة التي قال له الرب لا تأكل منها، فأكل ومات!

وها هو المسيح يقول لي: "خُذ كُلْ لتحيا"، فكيف لا آكل؟؟

"كلوا... اشربوا": ليست هناك عملية يمكن أن نتحد بها مع المسيح مثل أن نأكله ونشربه! فيتحد الجسد بأجسادنا والدم بدمائنا، وبعدئذ لا شيء في الوجود بمستطيع أن يفصلنا عنه، إذ يكون المسيح قد دخل إلى أعماقنا.

«لمغفرة الخطايا»: هذا هو الجسد والدم الذي حَمَل جميع خطايا العالم، فذابت وتلاشت كما تذوب أوساخ الناس في البحر، والبحرُ كما هو لا يتسخ؛ وكما تموت الميكروبات في أشعة الشمس، والشمسُ باقية لا تتلوث!

إن خطية واحدة قادرة أن تحطِّم حياة الإنسان إلى الأبد، ولكن جميع الخطايا التي اقترفتها البشرية في الأجيال السالفة والتي ستقترفها في الدهور القادمة وُضعت كلها على المسيح، فذابت وتلاشت كما تتلاشى قطرة الماء على قطعة حديد مُحماة بالنار.

هَلُمَّ يا خطاة، يا مَن أثقلتكم الخطية بقيودها وعاداتها المُرَّة.

هلموا إلى بحر رحمة المسيح وشمس طهارته لتغتسلوا وتتطهَّروا.





الساعة الحادية عشر من خميس العهد

يو١٣: ٢١- ٣٠

٢١لَمَّا قالَ يَسُوعُ هذا اضْطرَبَ بالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقالَ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أقولُ لَكُمْ: إنَّ واحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!». ٢٢فَكَانَ التَّلاَمِيذُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ فِي مَنْ قالَ عَنْهُ. ٢٣وَكَانَ مُتَّكِئًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ. ٢٤فَأَوْمَأَ إلَيْهِ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أنْ يَسْأَلَ مَنْ عَسَى أنْ يَكُونَ الَّذِي قالَ عَنْهُ. ٢٥فَاتَّكَأَ ذَاكَ عَلَى صَدْرِ يَسُوعَ وَقالَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ؟» ٢٦أجَابَ يَسُوعُ: «هُوَ ذَاكَ الَّذِي أغْمِسُ أنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ!». فَغَمَسَ اللُّقْمَةَ وَأعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الإسْخَرْيُوطِيِّ. ٢٧فَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطانُ. فَقالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَا أنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأكْثَرِ سُرْعَةٍ». ٢٨وَأمَّا هذا فَلَمْ يَفْهَمْ أحَدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ لِمَاذَا كَلَّمَهُ بِهِ، ٢٩لأنَّ قَوْمًا، إذْ كَانَ الصُّنْدُوقُ مَعَ يَهُوذَا، ظَنُّوا أنَّ يَسُوعَ قالَ لَهُ: اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ إلَيْهِ لِلْعِيدِ، أوْ أنْ يُعْطِيَ شَيْئًا لِلْفُقَرَاءِ. ٣٠فَذَاكَ لَمَّا أخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. وَكَانَ لَيْلاً.



جثسيماني: ÷ بستان معصرة الزيت ×

أكتب إليكم، أيها الأحباء، عن واجبنا إزاء المقيَّدين والمذلّين في العالم والسائرين في طريق الموت باعتبار أهًا رسالة حياتنا، لأن هذا قد وُضِع علينا بإرادتنا، ولأن لا خلاص لنا إلاَّ بقدر ما نرى أنفسنا مسئولين عن خلاص الآخرين، أو كيف نرتاح في أنفسنا وإخوتنا لا راحة لهم.

أكتب إليكم عن سرٍّ مخْفَي من أسرار المسيح فات علينا أن نتعمَّقه ونعيشه، وهو سر جثسيماني، سر الصلاة التألمية التي أسَّسها المسيح لتكون الخلفية الحيَّة لحَمْل الصليب؛ إذ لا يمكن أن يكون هناك صليب بدون جثسيماني. فكل مَن ارتضى أن يكون تلميذاً للمخلِّص ووضع في قلبه أن يحمل الصليب، فعليه أولاً أن يقتني "جثسيماني"، ليُمارس صلاة العَرَق الذي يتصبَّب كقطرات دم، ليكون على مستوى الصليب.

كلنا، أيها الإخوة، ذُقنا صلاة التوبة بدموعها الحارقة، وارتوينا من صلاة المزامير حتى الشبع، ومنا مَن اختبر صلاة المناجاة توسُّلاً أو تشفُّعاً أو حباً خالصاً؛ بل ومنا مَن تكرَّم بأن أُنعِمَ عليه بصلاة الرثاء، صلاة إرميا النبي عن قتلى الشعب (الخطاة)، والقليل جداً مَن وُهِب دموع راحيل (الكنيسة) وبكاءها المُرّ على أولادها الذين أُخذوا من حضنها وماتوا بعيداً عنها (المرتدِّين). ولكن بقيت صلاة لم ينفتح سرُّها بعد أمام قلوبنا، صلاة جثسيماني، بأعماقها وأحزانها. فلقد أبقاها المسيح للنهاية لتكون جزءاً لا يتجزَّأ من الصليب، ابتدأها يسوع لما دَنَت الساعة، لما أكملوا المشورة عليه واتفقوا على الثمن وقبض الخائن وتحرَّك الشامتون والحاقدون، فدخل المسيح جثسيماني ليسكب نفسه في جهاد الصلاة ليواجه الصليب والصالبين.

دخل يسوع جثسيماني، وأبقى الثمانية عند الباب وأوصاهم بالسهر والصلاة لأن التجربة عليهم بالمرصاد، ثم أخذ الأخصاء الثلاثة: بطرس ويعقوب ويوحنا، ليشهدوا ويُسجِّلوا أروع مواقف الرب وأعمق آلامه: «وابتدأ يحزن ويكتئب»، وكأنه يدخل

الصليب مُسْبقاً ويغرس المسامير في جسـده بيديـه! عجيبٌ هـذا المخلِّص الذي يُعلِّمنا كيف ندخل الموت طواعية بالصلاة النازفة!! «نفسي حزينة جداً حتى الموت»، «وإذ كان في جهاد كان يُصلِّي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض!»

لقد دخل المسيح في صلاة جثسيماني كما يدخل الإنسانُ المعصرةَ، وقـد شـاهد التلاميذ الأخصاء كيف انعصرتْ بالفعل نفسه وصار عرقه ممزوجاً بالدم يتقطَّر علـى الأرض! ولثلاث مرات، تماماً كالتجربة على الجبل، واجه الرب هذه التجربة أيـضاً في صراعٍ مرّ وجثو الرُّكب حتى التراب، وفي كل مرة يقوم ليوصـي تلاميـذه بالـسهر ليستلموا سر الفداء بكل ما فيه من أوجاع وعناء! ولكنه في كل مرة كان يجدهم نياماً.

لهفي على بطرس النائم، والمعلِّم أمام عينيه يجوز غُصة الموت، والمشورات قد وُضعت من بعيد، والخطط أُحكِمَت على التنفيذ، والمال دُفِع، والشهادة أُعـدَّت والـشهود، والقتل حلَّلوه بالقوانين والبنود، وتبارَى القاتلون وكأنهم يُقدِّمون خدمة لله!!

«لأنه إن كانوا بالعُود الرَّطْب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس؟» وكلنا يابسون، فهل نقوى على التجربة ونحن نائمون؟ أيمكن أن نحتمل يوم الصليب وعنف الـصالبين ونحن لم ندخل جثسيماني، ولا سهرنا في جهاد الصلاة ولا «ساعة واحدة»؟

يا أحبائي، انتبهوا، لقد أسَّس المسيح لنا في "جثسيماني" مدينة ملجأ بـــ "صـلاة المعصرة"، بصلاة الصراع على مستوى الموت لغلبة الموت! اسمعوا القـول: «نفـسي حزينة جداً حتى الموت». لقد دخل المسيح بالصلاة الحزينة إلى عمق الصليب، وبالعناء و"الصراخ الشديد والدموع" حوَّل العرق المتصبِّب إلى قطرات دم تتساقط!!

إن الصلاة في جثسيماني هي سر النصرة على التهديد بالموت، إذ كيف يخشى الموت مَن بلغ الموت بصلاته، أو كيف يهاب نزيف الموت على الصليب مَـن بلـغ بأحزانه نزيف الدم في قيامه وسجداته؟

كنت أميناً في القليل

القليل هنا هو كل العطايا والمواهب التي تُعطى للإنسان المؤمن ليتاجر بها. ويفرح ويفرِّح الآخرين، مهما كانت قوتها وقدرتها وعظمتها. لأنها هي بوضعها الحالي صورة لعطايا الله في السماء التي لا يمكن أن توصف أو يدركها عقل. وواضح من هذا الكلام أن المسيح إنما يهب لنا هذه المواهب والعطايا لنتاجر بها لحساب الملكوت، فهي الطريقة الوحيدة التي يدرِّبنا بها لكي نرتقي إلى ما هو أعلى وأعظم وأمجد – وما الدينونة الأخيرة أو الوقوف أمام المسيح إلاَّ لكي نسمع منه هذا الصوت الذي سوف يملأ أسماع السمائيين: نعمَّا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك.

«ثُمَّ جَاءَ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ».

العبد هنا بدأ يدين السيد على سلوكه وأخلاقه ويلصق به بناءً على ذلك تهمةً أنه السبب في كونه مضى وأخفى الوزنة في الأرض، فلا هو انتفع بها ولا نفَّع أحداً.

واضح لنا جداً أن غياب المحبة في قلب هذا العبد هي التي فصلت قلبه وذهنه عن سيِّده، كذلك عدم الأمانة وعدم الثقة جعلت الخوف يطغي على الطاعة ويضحِّي برضا السيد. ووصفه للسيد بالقسوة هو مجرَّد تبرير لسلوكه غير الأمين وشعوره غير المحب ولا الخاضع لأوامر السيد. فهو اتهام جزافي ليس عنده ما يبرِّره إلاَّ عجزه عن أن يكون خاضعاً وأميناً ونشيطاً.

ونحن يستحيل أن نبرِّر هذا العبد في قوله عن السيد أنه قاسٍ مهما كانت الأسباب التي يتذرَّع بها، لأن سيده علم أولاً أن لديه الطاقة والإمكانية والقدرة

على تحمُّل مسئولية إدارة وزنة واحدة، ثم هو أُعطي بالفعل وزنة تساوي طاقته وإمكانياته تماماً. فهو محاصر بين دراية السيد بإمكانياته وطاقته وبين عطية الوزنة التي تساوي طاقته وإمكانياته.

ومهلاً عزيزي السامع، فلا تتحامل كثيراً على هذا العبد الشرير الكسلان فهو أنا وأنت!! لأن قضية العبد الذي خبَّأ وزنته في التراب، وعاد فاستذنب الله ليتبرَّر هو، هي قضية كل خاطئ يرفض الاعتراف بخطيته أو التوبة عمَّا يصنع، لأنه يقتنع أن الحياة بلا خطية مطلب إلهي غير عادل، فإن كان الله لم يزرع في الجسم الطهارة والتقوى فكيف يطالب أن يحصد ما لم يزرعه؟ وإنها قسوة من الله أن يطالبنا أن نرتفع فوق طبيعتنا التي صنعها لنا. بهذا نكون قد وضعنا أنفسنا موضع العبد الشرير الكسلان الذي لم يتاجر بموهبة النعمة من أجل الطهارة بل طمرها في الجسد (التراب) وعاد يبرِّر نفسه أمام الديَّان.

«فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ».

واضح الآن أن عين المسيح مسلَّطة على العمل والجهاد والنشاط والربح فيما يخص المواهب التي سكبها على التلاميذ والكنيسة. فغياب المسيح هو فترة العمل والجهاد العظمى لتكميل الخدمة والبلوغ بالفداء والخلاص إلى أقصى طاقة البشرية في الخدَّام الذين سيسكب المسيح عليهم مواهبه باستمرار، وبقدر طاقتهم وإمكانياتهم في الخدمة. والذي يُبدي نشاطاً أكثر سينال مواهب أكثر، والذي يتراخى ويهمل تُسحب منه المواهب. والمسيح يركِّز على أن فترة انتظار مجيء الرب هي فترة العمل بالمواهب. فالسهر ينبغي أن يكون سهراً عمَّالاً ومنتجاً.

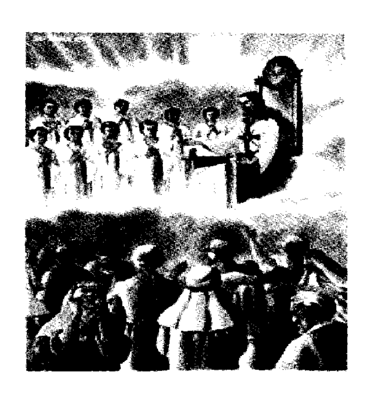
يوم الأربعاء




الساعة الأولى من ليلة الأربعاء

مت٢٢: ١- ١٤

[1] وَجَعَلَ يَسُوعُ يُكَلِّمُهُمْ أَيْضًا بِأَمْثَال قَائِلاً: [2] «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ، [3] وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا. [4] فَأَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ قَائِلاً: قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ! [5] وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ، [6] وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عَبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ. [7] فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. [8] ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ. [9] فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ، وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ. [10] فَخَرَجَ أُولئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَارًا وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ. [11] فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْسِ. [12] فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. [13] حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. [14] لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ».



الدعوة إلى عُرس ابن الملك

المسيح هنا يعطي المَثَل على المستوى الإنساني، ولكن المقصود هنا هو الله الآب السماوي، الملك السماوي الذي يحب رعيته، وعمل حفلة كبيرة للرعية، وأرسل ليدعو رؤساء الشعب والوجهاء ووكلاء الشعب وكل مَنْ له استطاعة أن يلبِّي الدعوة ليحضروا وليمة عرس ابنه. أمَّا ابنه فمعروف وهو المسيح، أمَّا عروسه فهو الشعب المختار الذي أحبَّه وجاء بنفسه ليعقد قرانه به لشركة أبدية وحياة مقدَّسة في ملكوته.

ولم يكن هذا إلاَّ رؤية بعيدة ونبوَّة صادقة عن مجيء زمان الخطوبة الحقيقية، بل وشركة زيجة مقدَّسة، "بالتجسُّد"، حيث اتحد الابن بالبشرية اتحاداً لا انفصام فيه إلى الأبد، وقدَّسه يوم صليبه بدم نفسه فصبغ الزيجة ووثَّقها بالدم وبالروح.

في هذا كله ينبغي أن يتضح أمامنا أن وليمة العُرس هي وليمة المسيح. فأول درجات وليمة الملكوت تمَّت والمسيح يدعو ويختار بنفسه أركان الكنيسة وأعمدتها. وكان ينبغي أن يكونوا هم حكماء إسرائيل ورؤساء الشعب الشيوخ السبعين الموهوبين للقيادة ولكنهم استعفوا جميعاً، فاكتفى المسيح بالاثني عشر ليمثِّلوا الأسباط جميعاً، والسبعين تلميذاً ليمثِّلوا شيوخ الشعب السبعين.

هذه هي صورة عقد قران العريس مع العروس التي خُتمت بدم العريس على الصليب في غياب كل المدعوين من الشعب المختار. هنا انتهت **الدعوة الأولى** التي ظلَّ المسيح والتلاميذ يخدمونها ثلاث سنوات ونِصْفاً.

الدعوة الثانية:

ولكن الدعوة للملكوت لم تكن تقفل أبوابها بهذا الإخفاق، فقد استعاض المسيح عن غيابه بمجيء الروح القدس بفاعلية قوية في التلاميذ وكل الشعب ليعطي فرصة

أخرى لدعوة الشعب المحبوب أصلاً، والمختار، والذي كان مَعْنياً أن يكـون هـو العروس. وهنا أرسل خدَّاماً آخرين وهم من جاء بعد الرسل مـع البـاقي منـهم، وأرسل بدعوة فيها ترغيب من أطايب الروح القدس التي ظهرت وانتشرت لتحكي عن الملكوت وقوات الملكوت.

لا يُخفَ عليك، عزيزي القارئ، كَمْ كلّف الآب السماوي هذه الوليمة. كلّفهـا بأمرِّ الآلام التي جازها ابنه وحيده مع غصَّة الموت على الصليب. نعم هـذه الـصورة مصغَّرة مخفية وراء «ثيراني ومسمَّناتي قد ذُبحت» كان هذا هو الوسيلة الوحيدة لكـي يفسح لهم الطريق إلى الأقداس العليا بدم ابنه، وطريقاً حيًّا حديثاً بجسده المكسور على الصليب. ليست هي دعوة كلامية منمَّقة بل بدعوة دبَّرها الآب مع ابنه منذ الأزل بثمن باهظ لا تقوى عليه الملائكة ولا بنو البشر مجتمعين، بدم كريم أثمن من كل ذهـب الدنيا ! فالوليمة غالية جداً وعزيزة للغاية. فالملك في شخص المسيح يعبِّر عـن دعـوة الآب بقلب مجروح، وهو عارف الثمن الباهظ الذي حلَّ زمن دفعه وشـيكاً. ولكنـه يتكلَّم عنه كيف سيتم بعد ذهابه إلى السماء. ولكن كانت استجابتهم طبق الأصل من إجابتهم الأُولى. وانقسموا إلى فئتين: فئة تهاونوا بالـدعوة والـداعي وانهمكـوا في زراعاتهم وتجارتهم وصمُّوا آذانهم عن الدعوة، والفئة الثانية كانت فظَّـة، ورثـت الجريمة عن أجيالها الأُولى القاتلة للأنبياء، هؤلاء مسكوا الداعين وشتموهم وأقاموهم أمام المحاكم وقتلوهم.

وانتهت الدعوة الثانية، وقُفل باب الوليمة في وجه الشعب المختار. وتمَّت النبوَّة التي اشترك رؤساء الكهنة في نطقها: « إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطـى لأمـة تعمل أثماره». أمَّا تعليق المسيح الإلهي المنطبق عليهم أشد المطابقة فكان كما قال في المَثَل: «أمَّا العُرس فمستعد وأمَّا المدعوون فلم يكونوا مستحقين».

الدعوة الثالثة:

هنا الدعوة الثالثة خرجت عن التقليد القديم في الدعوتين الأُولى والثانية، لأن المختارين فقط كانوا هم المدعوين بتعيين من المسيح والروح القدس. ولكن الآن ضاع التمييز، فهناك بحكم الواقع أصبح من المستحيل أن يعرف المُرسَلون المدعو من الله أو المسيح أو الروح القدس من غير المدعو. فالدعوة للصالح والشرير ليدخلوا البيت ويسمعوا ويتعلَّموا ما هي الدعوة إلى ملكوت الله ومدى قدراتهم لاستيعابها. والمسيح حلَّ هذا اللغز في آخر آية في المَثَل: «لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون». إذن، فالدعوة عامة بدون تمييز لغياب عامل التمييز، وهو عامل الروح القدس الذي ضعف عمله واختياره بصورة واضحة. وبعد ذلك من واقع سلوك المدعوين ومدى إدراكهم لواجبات الملكوت يُختارون. ولكن من الواضح والمؤكَّد أنه لم يُعطَ المُرسَلون أن يميِّزوا في دعوتهم بين الأشرار والصالحين، فهذا ليس عملهم، وقد تركه الملك لنفسه لأنه هو الذي سيميِّز ويختار. إذن، وبصورة واضحة لا لَبس فيها، تكون الدعوة للملكوت بالنسبة للأُمم منذ أن نُحِّي شعب إسرائيل وانتُزع منه الملكوت وأُعطي للشعب الجديد وهو الكنيسة، تكون دعوة عامة لا تمييز فيها، هي للجميع للأشرار والصالحين، ويُترك الاختيار والتمييز للمسيح وحده.

إنساناً لم يكن عليه ثياب العرس

إذن، فهناك تفتيش دقيق وتمييز شخصي من الملك بنفسه، وفحص دقيق في الوجوه والأشخاص واللباس. ولكن السؤال الذي شغل بال كل مَنْ قرأ وشرح هذا المَثَل ما هو لباس العُرس الذي سأل عنه المسيح ذلك الإنسان باعتباره أمراً معروفاً له وللجميع؟ في حين أن الأمر للرسل أن كل مَنْ وجدوه يدعونه إلى العرس، أشراراً وصالحين! إذن هذا اللباس للعرس لا دخل له على الإطلاق بصلاح الشخص أو سيرته الرديَّة، إذ الفحص والتمييز الآن هو بالنسبة للعرس نفسه والعريس الذي يتحتَّم أن يكون لباس العرس لكل مَنْ يقف في حضرته باعتباره أنه يخصَّه هو كتذكرة عليها إمضاؤه.

أما العرس والعروس هنا هو شركة المسيح مع المؤمنين واتحاده معهم، الذي يتم بالمعمودية التي يعبَّر عنها دائماً بلباس الإنسان الجديد، أو لبس الروح القدس، أو لباس المسيح الذي صنعه المسيح للمؤمن من برِّه الشخصي، وألبسه إيَّاه يوم المعمودية، الذي يعطي صاحبه حق الدخول إلى الملكوت مباشرة. فهو لباس البر الذي ألبسه لنا المسيح بنفسه بقيامته من الأموات في المعمودية، فهو ختم المسيح وصورته، فهو لا علاقة له بالأعمال والسلوك إطلاقاً، لأنه برّ مجَّاني ممنوح من الآب مجاناً لكل مَنْ يؤمن بابنه. فاللباس ليس له ثمن، بل مُهدى من الملك نفسه وهو من صنع يديه وتعب نفسه ودم صليبه، لذلك كل مَنْ يلبسه يدخل العرس بلا قيد ولا شرط. هنا وضح المعنى جداً، فالإنسان هذا الذي ليس عليه ثياب العرس ليس حائزاً على معمودية الإيمان ولا بر المسيح المجاني وبالتالي شركة المسيح.

أمَّا السؤال الذي يتبادر الآن لذهن القارئ فهو: هل كل مَنْ يعتمد مؤمناً بالمسيح وموته وقيامته يخلص؟ الجواب على هذا واضح وصريح "نعم"! ولكن السؤال الذي يحرج هذا "الجواب بنعم" هو: وهل الذي يسيء إلى الإيمان بسلوك مشين يخلص؟ هنا أيضاً الجواب واضح وصريح: إذا اعترف وتاب غُفرت خطيته ويدخل. والسؤال الأخير: وإذا لم يعترف ويتب؟ الجواب: يؤدَّب.

أمَّا قول المسيح بخصوص الذي ليس عليه لباس العرس: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» فهي المقولة التي تُعبِّر عن الحرمان من النور الأبدي، والطرح خارج الملكوت حيث الحزن والندم.

ولأن «كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون» فهذه تصوِّر الدعوة الآن « كثيرون يُدعون»، وفي الدينونة في النهاية «قليلون يُنتخبون».




الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء

مت٢٤: ٣٦ الخ

[٣٦]«وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ. [٣٧]وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. [٣٨]لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ، [٣٩]وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. [٤٠]حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. [٤١]اِثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى، تُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى. [٤٢]«اِسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ. [٤٣]وَاعْلَمُوا هذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. [٤٤]لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ. [٤٥]فَمَنْ هُوَ الْعَبْدُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ؟ [٤٦]طُوبَى لِذلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا! [٤٧]اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ. [٤٨]وَلكِنْ إِنْ قَالَ ذلِكَ الْعَبْدُ الرَّدِيُّ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ. [٤٩]فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رُفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى. [٥٠]يَأْتِي سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا، [٥١]فَيُقَطِّعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمُرَائِينَ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ.



اسهروا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم

انتظار مجيء المسيح والسهر والاستعداد والصلاة تأخذ جزءاً كبيراً من حيز الإنجيل، ولكن ليس بمفهوم انتظار مجيئه الثاني الذي هو يفوق المكان والزمان المحدود بساعاته وأيامه وسنيه، ولكن ينصبُّ بالأكثر على مجيء المسيح في حياة الإنسان، حيث ينتقل مفهوم الانتظار والسهر بالترقُّب إلى طلب المجيء والشوق إليه والحنين الذي يزداد بالحب والصلاة والعبادة. وحينئذ يسهل أن نفهم لماذا هذا الإلحاح الشديد جداً على انتظار العريس وسهر الليل والزيت والمصابيح ومراقبة الساعة في تحركها من المحرس الأول إلى الأخير برجاء مجيء الرب!

إنه انتظار ورجاء اللقيا: متى، ومتى يجيء وتكتحل عيناي برؤية مَنْ تحبه نفسي؟ من إشعياء سمعنا هذا الحنين والشوق والشهوة العارمة: «بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» . من الليل إلى فجر النهار والشهوة تحرق قلبي متى يأتي وأنظره؟ هذا التوتر البالغ الحساسية بين شهوة التمنِّي والتمادي في غياب الحبيب، هو محسوب جزءاً حياً من اللُّقيا، إذ في كل مرَّة تنتشي النفس وفي توترها البالغ العنف تحس بالراحة وكأنها رأته. ثم لجوع الروح التي لا تشبع تعود وتكرِّر المحاولة، وكأنها لم تَرَ مع أنها رأت!

فالمسيح المحبوب هو في حقيقته غائب حاضر للنفس التي تبحث عنه. إذا حضر، نسيت النفس كل دموعها وتوسلاتها؛ وإذا غاب، تنسى حضوره البديع! لا يمكن أن يغيب المسيح عن محبيه، كما لا يمكن أن يوجد بالدرجة التي يفكر بها الإنسان ويتمنَّى، ومهما رأته العين لا تقنع، ومهما أكلت وشربت تعود إليه جائعة عطشانة. «وأنتم مثل أُناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس (السماوي)، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين ... وإن أتى في الهزيع الثاني أو أتى في الهزيع الثالث ووجدهم هكذا، فطوبى

لأولئك العبيد . فكونوا أنتم إذاً مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان.»

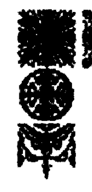
فلو تأمل معي القارئ يجد أن الطوبى كلها في السهر!! وكلما طال الغيبة، طالت الطوبى!! فالمسيح يرتاح في الساهرين له، وكأن نقطة التلاقي هي في قمة السهر!!

وَاعْلَمُوا هذَا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ

السهر الذي يطلبه المسيح لنكون على استعداد قلبي وروحي لِلُقياه، يحتاج منَّا بالتالي للسهر على مقتنياتنا الروحية وذخيرة إيماننا، التي هي أغلى من الذهب الفاني. فهنا السهر لمنع السارق غير السهر للُقيا المسيح، الذي سيأتي في ميعاد غير معروف، لأن سهر اللُّقيا بالنسبة للمسيح سهر مفرح ومملوء رجاءً وفرحاً وتهليلاً، ولسان حالنا هو لسان حال الكنيسة التي تدعو عريسها بعد كل قدَّاس: أمين تعالَ سريعاً أيها الرب يسوع، ليزول العالم وليأتِ الرب.

أمَّا سهر الحراسة ضد السارق الذي ينقب البيت فهو سهر الغيرة والحرص الشديد من العدو الذي يودّ أن يقتحم بيت إيماننا ويسلب أعز مقتنياتنا: الإيمان والرجاء والمحبة والفرح الإلهي، وهي رأس مالنا الذي سنقدِّمه إلى الرب في مجيئه الثاني، بل سيقدِّمنا إليه لنجد عنده راحتنا العليا التي أعدّ.

عزيزي القارئ، الذي يتحتَّم أن نفهمه ونؤمن به، أنه يلزمنا الآن وفي هذه اللحظة مراجعة حياتنا ككل، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، والانتهاء من وضع قانون للإرادة يحكمها بحق الإنجيل، وأن نكون على استعداد لمقابلة المسيح الآن، وبناءً على هذا الحكم نبدأ فوراً في تصفية حساب الضمير كما صفَّى زكَّا حسابه أمام المسيح وكل الشهود. أمَّا علامة استعدادنا العملي لملاقاة المسيح الآن فتكون هي حالة الفرح والسلام القلبي.



الساعة السادسة من ليلة الأربعاء

مت٢٥: ١- ١٣

[1] «حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. [2] وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. [3] أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، [4] وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. [5] وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. [6] فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! [7] فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. [8] فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. [9] فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلاَتٍ: لَعَلَّهُ لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. [10] وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ. [11] أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا! [12] فَأَجَابَ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ. [13] فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ.



العشر العذارى

انتظرت العذارى معاً طويلاً، ولم يكن أحد يستطيع أن يُفرِّق بين الحكيمات منهن والجاهلات، فالمصابيح كانت في أيديهن موقدة وظلَّت موقدة طويلاً حتى منتصف الليل.

وقبيل منتصف الليل بقليل ظهرت علامات التعب عليهن جميعاً فتثقَّلن بالنوم. غير أن خمساً منهن هامسن مع بعضهن أنه لا فائدة من السهر، فالعريس لن يحضر، لقد أتعبنا أنفسنا وخسرنا زيتنا عبثاً. وحينئذ اتفقن معاً في جهالة أن يُطفئن مصابيحهن ويَنَمْن، وكان نومهن عميقاً كمَن ينام نوم الموت.

أما الخمس العذارى الأُخريات فكُنَّ قد تعبن بالجسد فقط، أما الروح فكان نشيطاً. فجمعن زيتاً في أوانٍ تكفيهن، ونمن، ولكنهن كُنَّ مستعدَّات وصحَّ فيهن قول الكتاب: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ.»

جاء العريس بالرغم من الانتظار الطويل، وبعد أن انتصف الليل سمعن صوته وصوت المهلِّلين لقدومه. فيا لحسرة الجاهلات، ويا لخيبة أملهنَّ، ويا لفرحة المستعدَّات ويا لسعادهن!

قامت الجاهلات وحاولن عبثاً أن يشعلن مصابيحهن، فوجدن الزيت قد فرغ.

وقامت الحكيمات وأخذن من مخازن زيتهن وأشعلن مصابيحهن فأضاءت، ووجوههن أضاءت من الفرح.

سيأتي المسيح ومجيئه أشدُّ تأكيداً لنا من مجيء العريس عند الحكيمات. نعم، سيجيء بعد منتصف الليل، بعد انتظار طويل، بعد أن يفرغ علمنا وفهمنا وتقديرنا؛ عندما نستسلم له بقلوبنا فقط، عندما نُهدئ هذا العقل ونشفق على هذا التفكير ونَدَعُه جانباً. هذا هو النوم الحقيقي، نوم اليقظة، الذي فيه تكون الروح نشيطة،

عندما نهمل كل أمور هذا الجسد وننتظر بالروح مجيء العريس السمائي.

المستعدُّون:

إن مجد المستعدِّين سيبدأ عندما يظهر العريس لأن وجهه سيُشرق لهم فيجعل وجوههم تضيء بالمجد، حينئذ سيكونون معه حيث يكون هو، لن يفرقهم عنه زمان أو مكان. فعندما يظهر سيكونون معه في الحال، ولن يفصلهم عنه شيء: «أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني.»

نعم، سيقود المسيح الذين اشتركوا معه في آلامه، وصبروا واحتملوا وخرجوا من ضيقة هذا العالم ظافرين، إلى السعادة الأبدية، سيقودهم بنفسه ليشتركوا معه في مجده لأنهم ذاقوا آلامه وغسلوا خطاياهم بدمه واستحقوا أن يعيشوا معه إلى الأبد، ومصدر سعادتهم أن يروا وجهه كل حين ويفرحوا معه في وليمة عيد الأبدية!

ما أجمل حفلة العُرس الأرضية، وما أبهج أعياد الناس، فكم وكم تكون حفلة عُرس السماء وعيد الله في الأبدية! مَن يستطيع أن يتصوَّر مقدار سعادة المدعوين إليها؟ وإن كان الفكر يعجز عن وصف هذه السعادة، فكيف أستطيع أن أتكلَّم عن العلاقة السرِّية الإلهية التي سنربط العريس بعروسه! وعروسه هم المدعوُّون الذين خطبهم لنفسه وطهَّرهم جداً حتى يتحدوا به إلى الأبد بلا مانع.

مَن هم المستعدُّون:

هم الذين تعبوا وأشقاهم الحاضر ولبسوا عُدَّة الجندية وانجرحوا، ولكنهم جاهدوا حتى الدم ولم يلقوا السلاح، فدافعوا عن إيمانهم وعقيدتهم واعترفوا بسيدهم ولم ينكروه، ولما طلب العدو رقابهم قدَّموها بفرح ثم دخلوا مع السيد إلى العُرْس.

هم الذين أبغضوا أنفسهم وازدروا بالعالم، فتركوه وراء ظهورهم مستهينين

بمجده، وعاشوا «مُعتازين، مكروبين، مُذلّين، وهم لم يكن العالم مُستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض»؛ وذلك من أجل عِظَم محبتهم في الملك المسيح، ولما دعاهم دخلوا معه إلى العُرس.

هم الذين تعبوا في الكرم وخدموا بأمانة، رعوا الرعية وسهروا عليها، ولم يتركوا خروفاً واحداً ليخطفه الذئب بل كانوا مستعدِّين أن يفتدوه بأنفسهم. أطعموا المسكين، وسندوا الضعيف، وحاموا عن الأرملة واليتيم، وأشبعوا الخراف من التعاليم الحيَّة، ورووها بمعرفة القدوس ومحبته، وكانوا قدوة للخراف في العفة والطهارة والقناعة وإنكار الذات. وحينئذ دعاهم وأعطاهم الأُجرة أن يدخلوا معه إلى العُرس.

هم الذين جاهدوا ضد الخطية، ولم يكن في فمهم غش، وحفظوا أجسادهم بلا دنس، وعاشوا أطهاراً فاستحقوا أن يدخلوا معه إلى العرس.

هم الذين أخطأوا وزلُّوا وسقطوا، في جهلٍ وفي ضعف، ولكنهم بشجاعة قاموا وتابوا وغسلوا ذواهم بدموعهم، وبيَّضوا ثياهم في دم الخروف؛ فولدهم التوبة الأُم الجديدة، ولدهم أبكاراً بتوليين من جديد كما خرجوا من بطون أُمهاهم. وحينئذ صاروا أهلاً أن يدخلوا معه إلى العُرس.

«وقال لي: اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرس الخروف.»

نعم، طوبى لمن كان نصيبه مع هؤلاء، لأنه سيكون مع المسيح إلى الأبد.

وأُغلِق الباب:

ما أصعب هذه العبارة وما أقساها! ليس لهم نصيب مع المسيح لأهم سيُحرمون منه إلى الأبد. ولكنها في ذات الوقت حلوة عند المدعوين لأها تفيد أهم لن يُحرموا منه أبداً.

فالباب أُغلق في وجه المطرودين حتى لا يرَوْا وجهه، وأُغلق أيضاً حتى لا يخرج

المدعوون من حضرة العريس إلى أبد الآبدين.

هؤلاء يذهبون إلى الظلمة الخارجية حيث الندم والحزن والكآبة وصرير الأسنان، وهؤلاء يدخلون إلى فرح سيدهم ينعمون ويُعيِّدون عيد الأبدية.

المطرودون:

هم الذين لم يجدوا زيتاً في مصابيحهم عندما أقبل العريس، فذهبوا يبحثون عن الزيت في غير وقته، فلم يجدوا زيتاً ولم يجدوا وقتاً، فعادوا ووجدوا الباب مُغلقاً.

هل ستكون من بين المطرودين، أيها السامع، وأيها القارئ؟

يا لأسفي ويا لحزني إن كنتَ قد وضعتَ في نفسك أن تستهين بالدعوة. إني أُصلي من أجلك وأطلب من الله أن لا يكون نصيبك في الظلمة الخارجية بين المحرومين من نعمة الوجود مع الله؛ بل ينسكب روح الله فيك ليُغيِّر قلبك لتقدِّر أهمية الدعوة التي دُعيت إليها مع المسيح.

يا ليت للمطرودين شكلاً خاصاً حتى نعرفهم ونميِّزهم، أو حتى نتوسل إليهم ونرجوهم أن لا يختاروا هذا النصيب المشئوم.

ولكن ليس تفرقة قط ولا تمييز بين المدعوِّين وبين المطرودين حتى مجيء العريس، إذ هم عذارى ولهم مصابيح واحدة، وساروا معاً في ذات الطريق وسهروا معاً وناموا معاً واستيقظوا على صوت العريس معاً، وقاموا ليُصلحوا المصابيح معاً. ولكن، يا للحسرة، لم يكن لبعضهم زيت ليُنيروا به، هنا ابتدأ المصير يتقرَّر، فالنعمة العاملة في القلوب هي التي تشملنا لنضيء وتؤهِّلنا للقاء العريس. هذا هو الزيت الذي أهَّل العذارى الحكيمات للدخول مع العريس. وهو الذي افتقدته العذارى الجاهلات فلم يجدنه.

اجمعوا لكم زيتاً قبل أن ينتصف الليل فلا تجدونه، يا أحبائي.





الساعة التاسعة من ليلة الأربعاء

مت٢٣: ٢٩- ٣٦

[٢٩] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، [٣٠] وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ. [٣١] فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. [٣٢] فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. [٣٣] أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ [٣٤] لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، [٣٥] لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. [٣٦] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ!



طوبى لمن وضع الموت بين عينيه

ساعة الموت رهيبة، والبعض منّا يظنون أنّهم قادرون على مقابلة الموت بنفسٍ هادئة، ولكن فِي الحقيقة الواقع غير ذلك. نقرأ عن الشهداء أنّهم قابلوا الموت بشجاعة وثبات وفرح، ونَحن نظنّ أنه يُمكن ذلك لنا عندما تأتي ساعة الشهادة.

لا تظنّ أن الشجاعة تسندك فِي تلك الساعة أو الغيرة أو الإقناع العقلي أو حتَّى الإيمان. الذي يسندك هو حياتك حسب الروح وعلاقتك بشخص الرب يسوع حتَّى ولو لم يكن لك أي شجاعة أو اقتناع عقلي.

الذي يعيش حسب الجسد وليس حسب الروح تنهار قواه الإيمانية فِي تلك الساعة وتقابله رُعبة الموت ويتبخَّر إيمانه ويبحث عن شجاعته وغيرته واقتناعه فلا يَجد شيئاً يسنده.

نقرأ عن قصة راهب اعتاد أن يكرِّر على الأنبا باخوميوس أنه يريد الاستشهاد، وكان القديس يرفض ويقول له أنه ليس أهلاً لذلك. وذات مرَّة أرسله القديس مع ركوبة مُحَمَّلة بطعام للرهبان فِي البريّة، وفِي الطريق قابله الوثنيون ومسكوه وأرغموه على السجود للأوثان وإلا قتلوه، فرضخ المسكين وسجد للأصنام بالرغم من غيرته الشديدة، وقد كان يظنّ فِي نفسه أنه قادر على الاستشهاد.

لو تأمّلنا هذه اللحظات الرهيبة التِي فيها نرى إنساناً ميتاً بِحيث نكون غير متأثّرين عاطفياً بِموت هذا الإنسان، سوف نَحصل على معارف روحية حقيقية تقدِّمنا في الروح خطوات واسعة. فالذي يرَى الموت أمامه متشخِّصاً في جثة إنسان مثله تَماماً يدرك في الحال أنه هو أيضاً ميت لا محال مثل هذا الإنسان الذي أمامه، ويستطيع في تلك الساعة أن يتذوّق – بعمل النعمة – لحظات الموت عن العالَم والجسد، ويستطيع أن يُدرِك في الحال حقيقة الإنجيل والمسيح، والجسد، وكذب

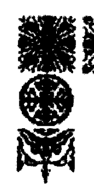
العالَم وزوال أمجاد الدنيا.

ساعة الموت تستطيع بالنعمة أن تُحقّق لنا فِي الحال كل آيات الإنجيل الخشنة الصعبة، وتُظهِرها أنّها ضرورة هامة واجبة. لذلك استطاع أنطونيوس الفتَى الغنى أن يفهم الآية القائلة: "مَنْ أراد أن يكون لِي تلميذاً فلينكر نفسه ويَحمل صليبه ويتبعنِي"، واستطاع أن يفهم الآية القائلة: "ماذا يستفيد الإنسان لو رَبِح العالَم كله وخَسِر نفسه"، واستطاع أيضاً أن يفهم الآية القائلة: "كل ما فِي العالَم: شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتَعظُم المعيشة". نعم، استطاع أن يفهم الإنجيل عملياً.

نعم، إنك ملقًى على الأرض تلفظ أنفاسك الأخيرة، وقيل لك الوصية القائلة: "مَنْ سألك فأعطه"، فهل ستعارض؟! كلا، بل ستقول: خذ كل ما لِي على الأرض، فأنا ميت وماذا أنتفع أنا به. وإذا قيل لك: "مَنْ ضربك على خدك الأيْمن حوِّل له الآخر أيضاً"، هل ستعارض؟ طبعاً كلا، بل ستقول: خذ الخدَّين واضربْهما، فأنا بعد قليل أتَحوَّل إلى تراب. وقِسْ على ذلك كل وصية من وصايا الإنجيل ستصير سهلة ومُمكنة بل وضرورة حتمية لازمة.

ساعة الموت هي أسعد ساعة للإنسان الذي تَمَّم وصايا المسيح، عندما يقابلها بإيمان وثقة فِي مواعيده، لأنَّها الحقيقة التِي يعيشها كل يوم بتتميمه الوصايا. أمَّا الذي لَم يُتمِّم وصايا المسيح فساعة الموت لديه رُعبة ومصيبة وكارثة حلَّت بالجسد والذات، وإذ ما يزال العالَم والذات كلاهُما حيّاً فيه إذ به يُطالَب فِي الحال بترك كل شيء. هذه هي الصدمة المفاجئة المرعبة للإنسان البعيد عن وصايا المسيح عندما تباغته ساعة الموت.

طوبَى لِمَنْ وضع الموت بين عينيه. هذا سيصير له الإنجيل حقيقة، ووصاياه العسرة سهلة واضحة ولازمة.

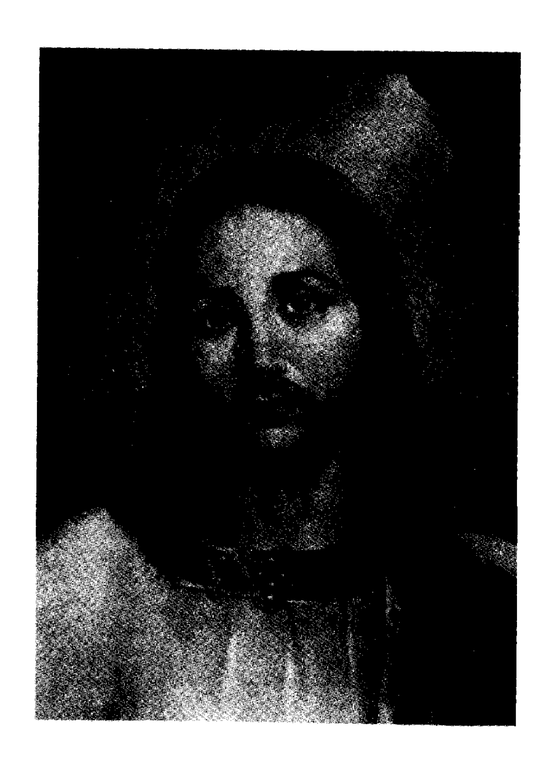




الساعة الحادية عشر من ليلة الأربعاء

يو١١: ٥٥- الخ

٥٥وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا. فَصَعِدَ كَثِيرُونَ مِنَ الْكُوَرِ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الْفِصْحِ لِيُطَهِّرُوا أَنْفُسَهُمْ. ٥٦فَكَانُوا يَطْلُبُونَ يَسُوعَ وَيَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُمْ وَاقِفُونَ فِي الْهَيْكَلِ: «مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَلْ هُوَ لاَ يَأْتِي إِلَى الْعِيدِ؟» ٥٧وَكَانَ أَيْضًا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ فَلْيَدُلَّ عَلَيْهِ، لِكَيْ يُمْسِكُوهُ.



الصليب عطية الله للإنسان

لم تخطئ عينا المسيح قط في التعرُّف على اليد التي تُقدِّم له الآلام. فالمسيح لم يَعتبـر قط أيدي الأشرار الممدودة بالمطرقة والمسمار، ولا وجوه رؤساء الكهنة الحاقدة وهـي تصرخ: «اصْلِبْهُ، اصْلِبْهُ»، بل ولم يَعتبـر بيلاطس كحاكم أو كناطق بحُكْم الصليب، ولم تُعِر أُذُنا المسيح سمعاً إلى الشتائم وألفاظ التشفِّي من الفرِّيسيين؛ بل كانت عينه مُثبَّتة على يد الآب وحدها باعتبارها هي الماسكة بالمطرقة والمسمار، وأُذُنه تصغي بوضوح إلى فم الآب وحده وهو يتلو منطوق العقوبة من جَلْد وصلب. وقد قالها المسيح بوضوح ما بعده وضوح: «لم يكن لك عليَّ سلطان البتة، لو لم تكن قد أُعطِيتَ من فوق.»

لقد ظن بيلاطس أنه كان بسلطانه أن يُطلِق سراح الرب ولا يحكـم بـصلبه، فراجعه المسيح في ذلك ، وصحَّح له مسار القضية كلها من اتهام ودفاع وقـضاء. فبيلاطس كان ينطق بما تمليه عليه السماء!! لا بمقتضى الحُكْـم الـسنهدريمي، ولا بمقتضى الحُكْم الروماني! فالحُكْم بالآلام والموت على الصليب كـان أولاً وأخـيراً ممزوجاً حبًّا بيد الآب الذي أحبه من قبل إنشاء العالم؛ بل ومن أجل حب الله للعالم!!

ولكي نستسيغ هذا النموذج العالي، علينا أن نعود إلى النماذج الـصغرى المُبدعـة للصلبان الصغيرة، مثل نموذج يوسف الشاب المبارَك الذي لم يحقد على إخوته الـذين ألقوه في البئر، ثم باعوه بالفضة ليمضي بعيداً في الغربة إلى مصر وحيداً؛ بل كان رافعاً عينيه نحو الله مُعتبراً أن هذا نصيبه من يد الله مباشرة، فلم يرَ يوسف يد "أخيه" الخائنة التي أدْلته بالحبال إلى هاوية البئر، ولا انغلق قلبه من نحو إخوته وهم يقبضون ثمن عبوديته وهم يبيعونه للإسماعيليين، بل في كل هذا كان ينظر ليد الله نفسه وهي تـصيغ هـذه الحوادث معاً. فنسمعه في النهاية يُطمئن إخوته عند افتضاح كل شيء ويقول: «ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله.. أنتم قصدتم لي شرًّا، أما الله فقصد بي خيراً.»

لقد جاء المسيح ليرفع هذه الخبرات الصغرى، وهذه النماذج الفردية إلى منهج عام،

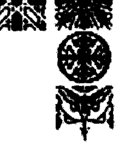
وقانون إلهي، وصليب فادي كبير، ودستور عهد الله مع الإنسان الذي ختمه بدمه وضمنه بروحه القدوس، قوامه أن ما من ألم وضربة تصيب خيمتنا الأرضية إلاَّ ووراؤها أحنُّ يد في الوجود، يدُ الله، تلعب دورها بالحب الخالص!! فيدُ المسيح المثقوبة والتي عليها نُقش اسمنا مُسْبقاً، قد ضمنت خلاصنا جاعلة من آلامنا اليومية وأتعابنا التي تبدو جزافية – مع اضطهاد ظالمينا وجحود الذين يتعاملون معنا كل يوم – صليباً جميلاً غاية الجمال يحمل لنا بذرة الحياة الأبدية، وله رائحة المسيح الزكية بشبه صليبه في المجد!!

وليس أَدَلّ على قبول المسيح لكأسه من يد الآب، بكل ما فيه من المهانة والفضيحة والعار والألم حتى الموت، وكأنه الحب كل الحب دون تشكُّك أو تبرُّم أو حتى مُعاتبة أو أنين، من قوله: «يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».

فلو لم تكن عينا المسيح مثبَّتة على يد الآب الممدودة بكأس الألم والموت، ما استطاع المسيح أن يتجاوز المرارة المحيطة به، والعداوة الجاهلة، والأحقاد والتشفِّي، والظلم الفادح، وكل الحماقات التي أملاها الشيطان على الرؤساء ومُقدِّمي الشعب وعلى التلميذ الخائن!!

لذلك، حينما طلب المسيح مِنَّا أن ندعو في صلواتنا اليومية بالغفران للذين أساءوا إلينا، لم يكن طلبه هذا من فراغ، ولا كفرائض الناموس العاجزة عن الفداء والخلاص؛ بل على أساس خلفية الصليب القائم على الطاعة لمحبة الله، والذي طالبنا أن نحمله على شبهه ومثاله.

فالحياة الأبدية بكل أمجادها الباهرة كامنة في سرِّ الصليب الصغير الحلو الذي وضعه الرب على أكتافنا!!

باكر يوم الأربعاء

يو١١: ٤٦- الخ

[٤٦] وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. [٤٧] فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. [٤٨] إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا». [٤٩] فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، [٥٠] وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!». [٥١] وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، [٥٢] وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ. [٥٣] فَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ. [٥٤] فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضًا يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ عَلاَنِيَةً، بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ، إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا أَفْرَايِمُ، وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ. [٥٥] وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا. فَصَعِدَ كَثِيرُونَ مِنَ الْكُوَرِ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الْفِصْحِ لِيُطَهِّرُوا أَنْفُسَهُمْ. [٥٦] فَكَانُوا يَطْلُبُونَ يَسُوعَ وَيَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُمْ وَاقِفُونَ فِي الْهَيْكَلِ: «مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَلْ هُوَ لاَ يَأْتِي إِلَى الْعِيدِ؟» [٥٧] وَكَانَ أَيْضًا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ فَلْيَدُلَّ عَلَيْهِ، لِكَيْ يُمْسِكُوهُ.



ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد

الاتحاد أو الوحدة التي يطلبها لنا المسيح فيما بيننا، ثم فيما بيننا وبين الآب، هي وحدة تتناسب قبل كل شيء مع تفرُّدنا واختلاف أجناسنا وتباين طبائعنا. فنحن لسنا متساويين في كياننا الداخلي، في أي شيء البتة، إلا في الخطية والعجز والقصور الروحيين!!

لذلك فالوحدة التي يطلبها لنا المسيح لا تقوم البتة على ماهية أشخاصنا أو ما هو لنا؛ بل على أساس أن نتساوى فيه والآب، وليس تساوينا في ذواتنا. فبقدر ما تنسكب فينا قوة وحدة المسيح في الآب، سواء من جهة الحب بينهما أو من جهة الحق والقداسة؛ بقدر ما نبتدئ نحن نتساوى ونتقارب ونتحد بهذه القوة الخارجة عنا والآتية إلينا من لَدُن الله. فمحبة الله تحصرُنا، فتلغي عداواتنا وتُنهي على انقساماتنا؛ وحق المسيح والآب يصهر أفكارنا وقلوبنا فيُبدد جهالاتنا ويوقف حماقاتنا ويقدس أرواحنا وأجسادنا.

ولاحظ أن وحدة المسيح مع الآب هي طبيعة جوهرية، تقوم على التساوي كلياً وفي كل شيء؛ أما وحدتنا التي لنا في المسيح والآب فهي نعمة ورحمة، هي تفضل وهبة، هي مجرد إشعاع فعَّال لوحدة المسيح مع الآب.

وقد صوَّر المسيح في سفر الرؤيا هذه الوحدة التي يسعى إليها من نحونا بدخوله بابنا ليتعشى معنا. فهو يتعشى من صحن هموم الإنسان وأوجاعه وأنينه، يتعشى متقاسماً معه لُقمة الشقاء والتغرب. والإنسان يتعشى معه- بالنعمة- من صحن أفراحه وبهجة خلاصه، ويتناول من يده خُبز حبه وخَتْم استيطانه.

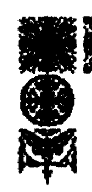
هذه هي دعوة وطلبة المسيح التي يطلبها المسيح لنا جميعاً، لكل إنسان، لكل كنيسة، ولكل من يريد أن يكون في مرمى دعاء المسيح هذا، أو تحت طاعة دعوته، أو بالحري مستجيباً لوصيته العظمى هذه.

إنها وحدة سرية للغاية، لا يستطيع العقل البشري أن يستنفد كل شروطها، أو يضع بنودها، أو يتصور حدودها.. لذلك علينا أن نتأكد جميعنا جيداً أن أي محاولة من هذا القبيل كفيلة أن تُفوِّت علينا سر المسيح، بل سر المسيحية. لأنها على مستوى قيام المسيح في الآب وقيام الآب في المسيح؛ ليس من جهة الكلمة الأزلية وحسب؛ بل من جهة الإنسان يسوع المسيح. هذه الوحدة التي جعلت الله يرتضي بدم المسيح المسفوك على الصليب ثمناً لها.

المسيح يضع أبعاد قوة اتحاده بالآب واتحاد الآب به نموذجاً وهوية لوحدة يطلبها لنا فيه ولبعضنا بعض. وهو إذ يراها تفوق قدراتنا وتصوراتنا عاد ويطلبها ويلح في طلبها من الآب نفسه! ولا يزال متوسلاً بدمه!!

إذن، فاتحادنا ككنائس ليس هو اتحاداً ذا أبعاد زمنية أو جغرافية أو يمكن أن يُبنى على أي أساس بشري أو فكري مهما كان. لأنه مطلوب أن يكون اتحاداً بالآب عبر المسيح أولاً، ثم تظهر أفعاله وقوته فينا على مستوى الزمن والعالم بعد ذلك.

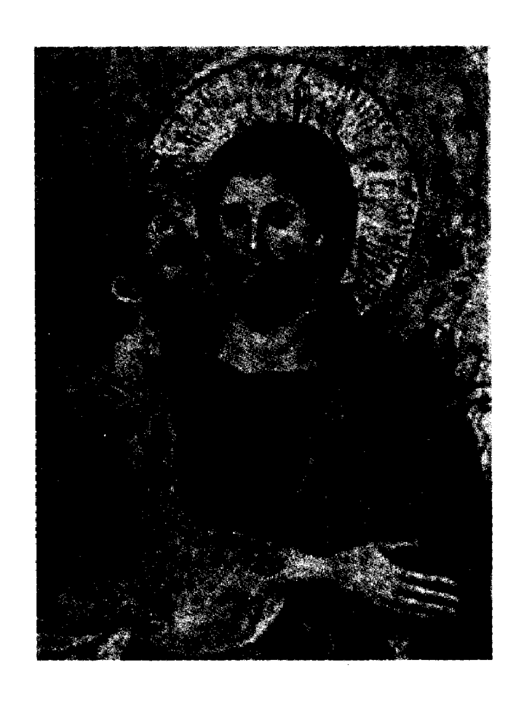
لن تكتمل وتتم هذه الوحدة دون موت ذات كل كنيسة لتحيا ذات المسيح وحدها، وحينئذ: «يؤمن العالم أنك أرسلتني».




الساعة الثالثة من يوم الأربعاء

لو٢٢: ١- ٦

[١]وَقَرُبَ عِيدُ الْفَطِيرِ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفِصْحُ. [٢]وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ، لأَنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ. [٣]فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الاثْنَيْ عَشَرَ. [٤]فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. [٥]فَفَرِحُوا وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. [٦]فَوَاعَدَهُمْ. وَكَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ خِلْوًا مِنْ جَمْعٍ.



الصليب شهوة المسيح العظمى

لقد بلغت شهوة الفداء في قلب يسوعنا الحبيب ذروتها في هذا الأسبوع، فرأى الصليب وكأنه يوم عرسه. لقد كان حبّ أبيه يُحرِّك قلبه ولسانه ويقود قدميه إلى الجلجثة. لقد ذهب خلسةً من وراء تلاميذه وعاين رابية الجلجثة دون أن يراه أحد، فسُرَّ بِها جداً واستحسن المكان وكأنه الفردوس الجديد. وكتب اسْمه هناك على الجمجمة للتذكار:

'أنا يسوع حضرتُ وعاينتُ المكان، إنه أشهَى بقعة وجدتُها على الأرض العتيقة لأزرع فيها حبِّي! لقد صعدتُ إلى المرتفع فرأيتُ مشورة قلب أبِي من وراء الأرض والزمان فوجدتُها تَماماً حسب قلبِي'.

'إن ذبيحة نفسي صارت موضوع سروري أمامي. من هنا سأُعلن للعالَم كله عن أعظَم هدية حَملتُها من عند أبِي لبنِي الإنسان: آلامي التي هي سرّ الصعود إلى المَجد. نعم سأجعل صليبِي في متناول كل إنسان، حتَّى إذا انفتحت عيناه على سرّ آلامي ورأى وعاين وصدَّق وشاركنِي في ذبيحة حبِّي ولو بألَمٍ يسير يدخل إلى مَجدي؛ عيد صليبِي؛ عيد جسدي المكسور، ليعاين سرِّى وسرَّ أبِي؛ سرّ الحبّ الذي يَجمع المتفرقين إلى واحد'.

'لقد غرستُ أمْجادي في آلامي وأخفيتُها فيها جداً بكل حكمة وفطنة، حتَّى لا يستطيع أحد أن يُفرِّق أبداً بينهما، فلا يأخذ الواحدة ويترك الأخرى! لقد صمَّمتُ أن أهب آلامي لكل إنسان حتَّى لا يُحرَم أحد قط من مَجدي؛ كل مَنْ ذاق ألَماً باسْمي'!

'المَجد الذي أعطيه هو صليبِي؛ عاري مع خزيِي، مُرِّي مع خَلِّي، جسدي مع دمي. وآلامي الظاهرة مُخفى فيها مَجدي الذي لا يُنطق به! كل مَنْ يتشجَّع ويذوقه يتحوَّل تَحت لسانه إلى بذرة حيَّة، بذرة تسبيح وتَمجيد لا يَهدأ، لا يسكنها خوف ولا ألَم ولا وجع ولا موت، تظل تعطي المَجد لله أي مع السبح والكرامة والسجود لأبد الآبدين'.

'أنا يسوع، أعطيتُ آلامي لتكون لَحن الخليقة الجديدة، سأضع هذه البذرة في كل لسان يتحدَّث باسْمي ويشهد لآلامي'.

يا يسوع، لقد أحببتَ صليبك جداً، وكلنا نُحبّك، نُحبّك كثيراً يا يسوع من أجل صليبك. لقد أسَرْتنا جلجثتك جداً، وسنذهب جَميعاً وسنمضى كلنا كل واحد باسْمه تَحت إمضائك. لقد عشقنا صليبك بشهوة وأحببنا موتك، فكلاهُما قد صار لنا ينبوعاً من الدموع أحلَى وأشهَى لنا من كل أمْجاد الدنيا. سوف نَحيا في الجلجثة، سنصنع فيها خَيْمتنا، سننتظرك هناك حتَّى تأتي حسب الوعد.

لقد بكيتُ بلا وعى، بكيتُ حتَّى لَم تعُد في داخلي قوَّة على البكاء.

أُسْكُتْ لا تبكِ كثيراً، هكذا سَمعتُ صوتاً من داخل أعماقي. هو ذا المسيح قادم من وراء القبْر الفارغ، هو سيمسح دموعك. ولكنني ظللتُ أبكى وجريتُ نَحوه.
هل رأيتني يا ربِّى وأنتَ على الصليب؟ لقد كنتُ أنظر آلامك فتسيح الدموع من عينَىّ بلا كيل، كنتُ أستمد دموعي من مَحبَّتك وليس من يأسى؛ ليس من يأسى أبداً يا ربّ.

أنا أحبّ صليبك يا رب، لأنّي أرى كل آلامي منقوشة عليه ومعها اسْمي – الذي تعرفه أنتَ يا رب، الذي قد غيَّرته لِي حين وجدتَني تائهاً في دروب العالَم – مَحفوراً على الخشبة ومطبوعاً على يدك! الدم رسَمه رَسْماً على كفِّك كختم. فكيف إذاً لا يُمكنني أن أحب صليبك يا رب؟ إنه صليبي ويَحمل اسْمي.

آه، يا ويْحي من وجهك الشاحب الذي لَمحتُه حين أنْزلوك من على الخشبة! عندما سكنت خفاقات آلامك لَمّا توقف قلبك. لقد خَفَقَ الحزن داخلي وسَرَتْ فِيَّ غُصَّة ربطتني بِموتك إلى الأبد. فأقسمتُ بِحبِّك ألا أحب أي وجه غَيْر وجهك. وأحسستُ أن خَفَقَات آلامي داخلي تشدّني إليك وقد تَحوَّلت إلى خَفَقَات الحياة! آه! لقد تَحوَّل موتك إلى حياتي يا ربِّى. أنا أحبّ موتك جداً، أحسّه في داخلي حياةً، وعبيقه أشهَى من رائحة لبنان.





الساعة السادسة من يوم الأربعاء

يو١٢: ١- ٨

[١]ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. [٢]فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ، وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. [٣]فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ. [٤]فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: [٥]«لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هذَا الطِّيبُ بِثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟» [٦]قَالَ هذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. [٧]فَقَالَ يَسُوعُ: «اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ، [٨]لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ».



تذكار المحبة

«فأخذت مريم مَناً من طِيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قَدَمَيْ يسوع، ومسحت قدميه بشعرها.»

هناك خدمات وأعمال نعملها باسم الله نحو الفقراء والمحتاجين. وهذه الأعمال ممدوحة ومشكورة لأنها صادرة من شعور بالرحمة والتضحية.

وهناك أعمال نعملها مع الله مباشرة، وهذه لا تُرى ولا يسمع بها الناس، وهي أعظم من أن تُمدَح أو يُشكر عليها، لأنها صادرة عن حبٍّ داخلي من القلب نحو الله.

الأعمال الأولى نُمدح عليها من الناس، وربما لا نُمدح عليها من الله، إذا كانت قد عُملت من أجل مديح الناس وشكرهم وتعظيمهم لنا. أما تقدمة قلوبنا لله بأعمال المحبة المباشرة نحوه، فهذه تكون صادقة ليس فيها غش أو رياء، يَقْبلها الله كما قَبِلَ الطيب المسكوب على جسده من مريم. هذه إذا رآها الناس أو شعروا بها فإنهم يرذلونها أو على الأقل يغتاظون: «وكان قومٌ مُغتاظين في أنفسهم، فقالوا: لماذا كان تلف الطِّيب هذا؟»

محبة التمجيد:

ما أقل الصادقين في حبهم نحو المسيح الذين يعملون ويخدمون، لا من أجل الناس ولا من أجل أنفسهم، وإنما بدافع الحب العميق للمسيح المتأجِّج في قلوبهم.

حينما تقدِّم صدقتك للمسكين، أتشعر أنك تقدِّمها للمسيح بدافع الحب له؟

حينما تصلِّي وتسبِّح مع المصلِّين، أتشعر أنك تخاطب الله بقلبك؟

حينما تحب أهلك وأصدقاءك، هل تشعر أن دافع المحبة مصدره حبك للمسيح؟

حينما تتقدَّم على المذبح للتناول من جسد الرب ودمه، هل تشعر أنك له وهو لك، يربطكما رباط المحبة الخالدة؟

إن كانت أعمالك مصدرها حبك للمسيح، فثق أنك تمجِّد الله بمحبتك وأعمالك، وقد صارت لك هذه كلها بخوراً زكياً أمام الله كل حين.

أما إذا كانت أعمالك بدافع الواجب أو المجاملة للناس أو الفخر، فثق أنها كلها خسارة وقد صارت كالسِّقط الذي يولَد ميتاً.

تمجيد المحبة:

تقدَّمت المرأة الخاطئة بقارورة طيب كثير الثمن وسكبته على رِجليْ المسيح ومزجته بدموعها ومسحت قدميه بشعر رأسها، فقال عنها المسيح إنها أحبت كثيراً، ولذلك غُفِرت لها خطاياها الكثيرة.

وتقدَّمت مريم أخت لعازر بقارورة طيب كثير الثمن أيضاً ودهنت به قدميْ المسيح ومسحت قدميه بشعر رأسها، فقال عنها إنها كفَّنت بالطيب جسده.

ما أكثر الحب الأول، فقد استطاع أن يُكفِّر عن كل الذنوب والخطايا السالفة.

وما أروع الحب الثاني، فقد استطاع أن يُكفِّن جسد المسيح ذاته!

الحب الأول عاد بالخير على صاحبته، والحب الثاني كان للمسيح بلا مقابل.

ما أمجد الحب الخالص الذي بلا مقابل وبلا ثمن!

جيد أن نحب المسيح لأنه افتدانا من اللعنة والخطية وسلطان الموت.

وجيد أن نحب المسيح لأنه فتح لنا باب الفردوس الذي كان قد أُغلِق في وجوهنا.

جيد أن نحب المسيح الذي أهَّلنا أن نشترك معه في مجده إلى الأبد.

ولكن أعظم من هذا كله أن نحب المسيح «لأنه هو أحبنا أولاً.»

محبة غالية:

مَن هي مريم التي قدَّمت قارورة طيب بثلاثمائة دينار؟ لم تكن ملكة ولا أميرة أو حتى ذات أموال؛ بل امرأة فقيرة، ولكنها جمعت كل أموالها واشترت زجاجة طيب. إنه جنون المحبة الذي هزأ به يهوذا اللص الخائن، وقال عنه إنه إتلاف، أما المسيح فمدحه جداً. يهوذا قدَّره بالمال وثـمَّنه كخبير في الأسعار بثلاثمائة دينار، أما المسيح فقدَّر المحبة التي فيه فوجدها تفوق الأرض وما عليها.

إن كل خدمة نؤدِّيها أو عطية نعطيها أو كلمة نقولها سوف يَزِنُها المسيح بميزان الحب. وحينئذ تكون المكافأة والمجازاة، لا عن مقدار الخدمة أو عِظَم العطية أو قوة الكلمة؛ وإنما عن صِدق المحبة التي دفعتنا إلى ذلك.

محبة ناضجة:

لم يكن شعوراً طارئاً ذاك الذي دفع مريم لتقديم هديتها، ولكنه شعور بدأ عندما كانت تجلس عند قدميه، وعلمت منه سرًّا أنه سيموت بأيدي رؤساء الكهنة واليهود، وأيقنت من كلام السيد أن هذا لابد أن يكون. حينئذ ابتدأ حبها ينفعل فيها لتُقدِّم له شيئاً يليق بموته!!

ومنذ تلك اللحظة وهي تجمع كل ما لديها حتى اشترت قارورة الطيب التي أذابت فيها كل مشاعر المحبة، وحفظتها عندها إلى أن يحين الوقت: «فقال يسوع: اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته.»

هذه هي المحبة التي محَّصها الزمن، فقويت. وهاجمتها شكوك النفس، فثبتت. وقامت ضدها حاجة المعيشة، فغلبت!

كثيراً ما نتقدَّم بعمل من أعمال المحبة وإذ تُترك لنا الفرصة قليلاً نتردَّد، وإذا طال الزمن نبرد، فإذا طولبنا بوعدنا نرفض!

يا ليت حبنا يكون ناضجاً عنيداً نحفظه في قلوبنا لوقته فلا تزيده الأيام إلاَّ قوة وتأكيداً.

قدَّمت مريم هديتها في اللحظة المناسبة، إذ بعد أن دهنت رجليه بالطيب، قام وذهب ليُصلب، وترك بيت عنيا ولم يَعُد بعد إليها.

الفرص أمامك، يا أخي، ولا تستشِرْني: ماذا أُقدِّم للمسيح؟ لأن مريم لم تستشِرْ أحداً إلاَّ قلبها.

محبة صامتة:

مريم حفظت الطِّيب عندها سرًّا، وقدمته صامتة، ولم تتحدث عنه بعد ذلك لأحد.

يا مَن تحب المسيح، تعلَّم من مريم.






الساعة التاسعة من يوم الأربعاء

مت٢٦: ٣- ١٦

[٣] حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا، [٤] وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ. [٥] وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: «لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ». [٦] وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الأَبْرَصِ، [٧] تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، فَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ. [٨] فَلَمَّا رَأَى تَلاَمِيذُهُ ذلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ: «لِمَاذَا هذَا الإِتْلاَفُ؟ [٩] لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا الطِّيبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ». [١٠] فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُزْعِجُونَ الْمَرْأَةَ؟ فَإِنَّهَا قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَنًا! [١١] لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. [١٢] فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي. [١٣] اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا». [١٤] حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ [١٥] وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟» فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. [١٦] وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ.



مَسحة الموت المعطِّرة للجسد

كان الطيب المسكوب على الجسد الحي من أجل تكفينه في بيت عنيا أول شركة مقدَّسة صادقة في موت المسيح. كانت هذه المسحة الأخيرة أول عبادة مقدَّسة للجسد الإلهي الذي ارتفع إلى السماء حيًّا ليحيي جسم البشرية ويبرِّرها. لقد رد المسيح طيب الناردين مضاعفاً باقياً أبداً لجسد البشرية الذي اتحد به ومنحه روحه وحياته وبنوَّته، بأن أجلسه عن يمين أبيه. وارتد تذكار هذه المحبة الخالصة الكثيرة الثمن لصاحبته من دور فدور وفي كل كنيسة وقلب كل عابد في العالم كله. ولقد صار ناردين البشرية المسكوب على جسد المسيح مدخلاً بديعاً للآلام ونبوَّة عن قيامة عتيدة تعطِّر تاريخ الإنسانية!

القديس متى عاشق للمقارنات، يضع قصة العطر والمسحة في بيت مريض شفاه المسيح، في مقابل بيت رئيس الكهنة الذي تفوح منه رائحة الدم والنتانة تتصاعد من أفواه وبطون الكبراء والرؤساء والمرؤوسين والمأجورين.

«فَلَمَّا رَأَى تَلاَمِيذُهُ ذلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ: لِمَاذَا هذَا الإِتْلاَفُ؟ لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا الطِّيبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ».

هنا اغتاظ التلاميذ غيظاً بدعوى بيع الطيب وإعطائه للفقراء، لأنه في دهنه الجسد كان إتلافاً. وهكذا لم يقيِّموا المحبة في سخائها إذ حسبوها إتلافاً، ولم يفرِّقوا بين مسرَّة الفقير ومسرَّة النفس التي بلغ منها الحزن حتى الموت؟! لم يروا ولم يحسُّوا ولم يفهموا أن المسيح، ونفسه تواجه الخيانة من أحدهم، وكانت كالغصة في حلقه وأشد مرارة من علقم الصليب؛ كان في حاجة إلى بهجة هذا العطر الذي يهوِّن عنه ظلمة القبر القادمة، ويذكِّره بالقيامة في اليوم الثالث أو الصعود في الأربعين. لقد

فات على التلاميذ أن يقدِّموا له كلمة واحدة تسند قلبه، فلمَّا قدَّمت امرأة كل ما عندها تَرْضِيةً لقلبه المكسور اغتاظوا، فكان غيظهم جحوداً مباشراً لفعل المحبة.

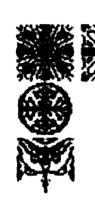
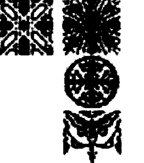
لماذا تزعجون المرأة؟ فإنها قد عملت بي عملاً حسناً

هم قالوا هذا التصرُّف فيه إتلاف فردّ الرب عليهم وقال هذا الرد فيه إزعاج. هم قالوا أن يُباع أحسن، والمسيح قال إنها عملت الأحسن. هم قالوا الفقراء أفضل والمسيح ردَّ عليهم بل أنا الأفضل!

تبًّا للمبادئ والأصول وقياس الأفضل مالياً إن كان فيها احتقار للمحبة، ويا ليتها محبة مقدَّسة لإنسان محتاج ولكن لمسيح قادم على الصليب.

على أن الدرس الأكبر الذي نخرج به من قول المسيح إنها عملت بي عملاً حسناً وإن الفقراء معكم كل حين، هو أن العبادة لله بالروح أعلى شأناً من إعطاء الحسنات، وتوقير شخص المسيح بالحب أرفع من خدمة الفقير.

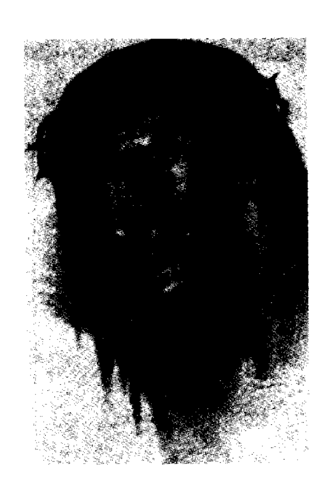
لذلك تجدنا أيها القارئ العزيز أمام لغز هذه المرأة – التي نعرف بحسب تأكيد إنجيل ق. يوحنا أنها مريم أخت لعازر – التي لفتت نظر الكنيسة بقوة نحو حياة الجلوس تحت قدمي الرب باعتباره اختيار النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها، أفضل مما اختارت مرثا بالارتباك والاهتمام بأمور الخدمة الكثيرة. ثم تعود هنا وتظهر بقارورة طيبها التي لم تكن إلاَّ حياتها تكسرها وتدهن بها الجسد لتطيِّبه حبًّا فأراحت نفسه، وردَّ جميلها بأجمل منه إذ جعل حياتها هذه سواء بجلوسها تحت قدميه تسمع وتتأمَّل فيما تسمع، أو بتحويشة العمر لتسكبها على رأسه والجسد وتبل رجليه بدموعها كعهد تقوى، وتمسحهما بشعرها لترتد لها مسحة قداسة، جعل حياتها في الكنيسة عملاً وذكرى وتذكاراً حسناً.

الساعة الحادية عشر من يوم الأربعاء

يو١٢: ٢٧- ٣٦

[٢٧]اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هذِهِ السَّاعَةِ؟. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ [٢٨]أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!». فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ:«مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضًا!». [٢٩]فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ، قَالَ: «قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ!». وَآخَرُونَ قَالُوا: «قَدْ كَلَّمَهُ مَلاَكٌ!». [٣٠]أَجَابَ يَسُوعُ وقَالَ: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هذَا الصَّوْتُ، بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ. [٣١]اَلآنَ دَيْنُونَةُ هذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجًا. [٣٢]وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ». [٣٣]قَالَ هذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ. [٣٤]فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ: «نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوسِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟ مَنْ هُوَ هذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟» [٣٥]فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. [٣٦]مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ». تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ.



وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع

هذه هي غاية المسيح التي من أجلها قَبِل أن يدخل إلى "ساعة" الصراع مع "هذا العالم" ومع رئيس هذا العالم، هذا الذي طرحه أرضاً ليرتفع هو عن الأرض إلى أعلى. لأنه ماذا بعد أن يكون دان عالم الشر وفضح مداخل الظلمة والشر فيه، وحكم عليه، وأعلن الحق عالياً فوق الكذب والخداع؛ إلا افتتاح عالم النور ونقل مركز الجذب من الأرض إلى السماء؟ ثم ماذا بعد أن يكون قد طرح رئيس هذا العالم من دائرة نفوذه وسلطانه المتعالي فوق أفق الإنسان، وبعد أن حطَّه إلى أسفل تحت موطئ قدميه، إلا أن يرفع الإنسان فوق هامة الشيطان ليتسامى بروحه إلى حيث المسيح؟

المسيح بموته مرتفعاً على الصليب رفع الإنسان معه من داخل الموت إلى القيامة والحياة، فتحرر الإنسان من جذب الأرض المستمر والمستبد المؤدي إلى الموت الأبدي. ولأن المسيح، بموته، قد ظفر بالشيطان على الصليب وفضحه جهاراً؛ صار الصليب هو مركز الجذب الأقوى والأعلى للإنسان. وهذا هو المعنى المباشر الذي يتضمنه موت المسيح "مرتفعاً" على الصليب، ومرتفعاً فوق هامة الشيطان.

وقد سبق أن ركَّز إنجيل يوحنا على معنى ارتفاع المسيح بالموت على الصليب بقوله: «وكما رفع موسى الحية في البرية؛ هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية». حيث "رفع ابن الإنسان" هنا يتضمن القيامة بالموت أو الحياة من داخل الموت. فالحية النحاسية المرفوعة بواسطة موسى، كان مجرد النظر إليها يُحيي من الموت أولئك الذين عضَّتهم الحية وسكبت سُمَّها في أجسادهم.

والتطبيق هو أن المسيح ألغى على الصليب فِعل الحية، أي الشيطان، وأبطل الموت المتحصل منها؛ إذ عِوض سُم الحية المميتة، أعطانا دمه ترياق الأبدية. فكل من نظر نظرة الإيمان إلى المسيح مرفوعاً على الصليب، تبطل فيه قوة الخطية التي هي

سُمُّ الموت أو شوكته القاتلة: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد (على الصليب) لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية».

كذلك يعود إنجيل القديس يوحنا في موضع آخر ليركز على ارتفاع المسيح على الصليب كونه يتضمن استعلان حقيقة المسيح: «متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو»، لأنه بصلب المسيح استعلنت قيامته: «وتعيَّن ابن الله بقوة .. بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤).

وهكذا يُصرُّ إنجيل يوحنا دائماً على أن لا يفصل الموت عن القيامة عن المجد، ويجعل مفهوم الارتفاع على الصليب هو ارتفاع القيامة أيضاً، بل ارتفاع الصعود.

لذلك فقول المسيح: «وأنا إن ارتفعت .. أجذب إليَّ الجميع»، يشير إلى الموت على الصليب وما يتبعه من قيامة وصعود ومجد، وأيضاً جذب المؤمنين واتحادهم بجسده.

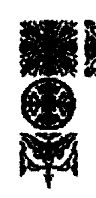
ولاحظ أن الارتفاع عن الأرض ليس هو الارتفاع فوق الأرض بالمعنى الوضعي فقط، بل وبالمعنى الروحي، فهو ارتفاع عن مستوى الفكر والجذب الأرضي.

أجذب إليّ: المعنى هنا يتضمن شيئاً من العنف بسبب الجذب المضاد من الأرض ومن العدو، وهذا المعنى نراه في العهد القديم: «كنت أجذبهم بحبال البشر، بربط المحبة، وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم، ومددت يدي مطعماً إياه» (هو ١١: ٤).

+ عملية الجذب هي عملية روحية بحتة، تدخل في وظيفة الروح القدس مباشرة.

+ وعملية الجذب لا تقتصر على التقريب للمسيح؛ بل وتمتد إلى داخل المسيح، كعملية تجميع في شخص المسيح، في جسده السري الذي يملأ السماء والأرض.

يوم الخميس





الساعة الأولى من ليلة الخميس

يو١٠: ١٧- ٢١

[١٧] لِهذا يُحِبُّنِي الآبُ، لأنِّي أضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أيْضًا. [١٨] لَيْسَ أحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أضَعُهَا أنَا مِنْ ذاتِي. لِي سُلْطَانٌ أنْ أضَعَهَا ولِي سُلْطَانٌ أنْ آخُذَهَا أيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أبِي». [١٩] فَحَدَثَ أيْضًا انْشِقَاقٌ بَيْنَ الْيَهُودِ بِسَبَبِ هذا الْكَلامِ. [٢٠] فقالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: «بِهِ شَيْطَانٌ وَهُوَ يَهْذِي. لِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ؟» [٢١] آخَرُونَ قالُوا: «لَيْسَ هذا كَلامَ مَنْ بِهِ شَيْطَانٌ. ألَعَلَّ شَيْطَانًا يَقْدِرُ أنْ يَفْتَحَ أعْيُنَ الْعُمْيَانِ؟».



لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً

الآب يحب الابن، هذه حقيقة أزلية، وإنما يذكرها هنا المسيح ليؤكد لتلاميذه أنه إنما يُقدِّم نفسه للموت على الصليب بإرادته وسلطانه وحده. فإن كان للمسيح سلطان أن يسلِّم حياته للموت، فهذا باختياره وإرادته. وإن كان المسيح يُقبِل إلى الموت بإرادته، يكون من الواضح وبالضرورة، أن له سلطاناً للقيامة من الموت.

فهو كما يقول تماماً، إنما يضع نفسه لهوان الصليب وعاره على أساس أنه سيقوم من موت الصليب بقوة واقتدار. وإن كانت هذه حقيقة كائنة، ولكنه إنما يعلنها للتلاميذ لكي يكون لهم إيمان بموته وإيمان بقيامته من الموت.

كما يُعرِّف التلاميذ أن الآب يعلم ما يعمله الابن، وأن ما يعمله الابن هو بعلم الآب ومسرته. بل يتمادى المسيح بالإعلان عن العلاقة التي تربطه بالآب، بأن يقول أن ما يعمله الابن يُفرِّح قلب الآب، وهو يُقيِّم الحب الذي يحب الآب به الابنَ كونه يضع نفسه لهوان الصليب.

وتعبير المسيح عن الصلْب أنه "وضْعُ" الذات، أي تنازل حتى الموت موت الصليب، فهنا نوع من إخلاء الذات، لذلك لزم أن يكون هذا الإلغاء للذات يوازنه قبول ورضا من جهة الآب، وإلاّ يُجرَح اللاهوت أو يُمَسُّ الوجود الإلهي. فهنا حرص المسيح على ذكر حب الآب لعملية الصلب والموت للابن لسلامة الوضع الإلهي للمسيح. صحيح أن المسيح وضع ذاته حتى الموت ولكن هذا الموت للابن لا ينقص من وجود الابن شيئاً، فلاهوت الابن مُصان لا يؤثِّر فيه الموت بشيء.

فالمسيح كان ميتاً بالجسد، ولكنه موجود بلاهوته. لذلك حُسِبَ الموت للمسيح أنه فعلٌ كفَّاري. لذلك يُقال، وهذا صحيح، أن المسيح دخل الأقداس أو تراءى

أمام الله أبيه كرئيس كهنة يحمل دم ذبيحة جسده، فأكمل فكَّ أسر الموت عن البشرية إذ فداها بدمه، أو بتعبيرٍ آخر، وضع حياته ثمناً لرفع الموت عن الإنسان.

وهنا يقول المسيح أنه وضع ذاته ليأخذها، أي يُقيمها من الموت. واعتبرها بالرغم من أنه بإرادته مات وقام، إلاّ أنها وصية خاصة أخذها من الآب، وهذا في غاية الحبك اللاهوتي.

لذلك يُحسب الصليب أنه عمل الآب والابن، أو عمل الابن برضا الآب ومسرته. لذلك قيل أن الآب سُرَّ أن يسحقه بالحزن.

وهذه كلها تعابير لاهوتية غاية في الدقة والحبك، حتى يتم تكميل موت الابن على الصليب وهو كما هو الإله ابن الإله.

أما آلامه وتعاذيبه وصلبه، فهذه كلها شهدتها العذراء مريم أمه، وكأن السيف يجوز في أحشائها، حسب قول الإنجيل، وأصبحت بذلك شاهدة لآلام ابنها وموته على الصليب وهي واقفة بجوار يوحنا أمام الصليب، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة مستودعاً نفسه في يدي الآب.

وأصبح قول المسيح أنه كان له سلطان أن يضع نفسه للموت وسلطان لكي يقيمها ويرفعها من الموت، من أقوى التعابير عن موت المسيح وقيامته، التي جعلت لموت المسيح رهبة وفاعلية اللاهوت، ولقيامته قوة اللاهوت. كذلك وبآن واحد، أصبح موت المسيح قوة إلهية ممتدَّة تسري في كل من يؤمن بموت المسيح، وصارت قيامته سبب تهليل السمائيين والأرضيين، وشملت كل من آمن بموت المسيح وقيامته.




الساعة الثالثة من ليلة الخميس

مر١٤: ٣- ١١

[٣]وَفِيمَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنْيَا فِي بَيْتِ سِمْعَانَ الأَبْرَصِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ، جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ. فَكَسَرَتِ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ. [٤]وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: «لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ الطِّيبِ هذَا؟ [٥]لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ». وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا. [٦]أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «اتْرُكُوهَا! لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا؟ قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَنًا!. [٧]لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. [٨]عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ. [٩]اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ، تَذْكَارًا لَهَا». [١٠]ثُمَّ إِنَّ يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَاحِدًا مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، مَضَى إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ. [١١]وَلَمَّا سَمِعُوا فَرِحُوا، وَوَعَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. وَكَانَ يَطْلُبُ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ فِي فُرْصَةٍ مُوافِقَةٍ.



المرأة صاحبة الطيب الكثير الثمن

نحن قادمون توًّا إلى الصليب، وقبل الصليب ضُربت الرأس بالقصبة، فكان لابد للبشرية أن تقدِّم مسحة من أغلى ما عندها لهذه الرأس التي هي رأس البشرية المُفَدَّاة.

وق. مرقس هو الوحيد الذي قيَّم الناردين بأكثر من ثلثمائة دينار، فلمَّا طفحت نفس يهوذا، الذي يبدو أنه قادَ فرقة النقد عن ادعاء الإتلاف، فما كان من المسيح إلاَّ أن زجر ذوي النفوس الحاقدة، ودعا للمرأة بالكرامة والتكريم والتذكار الدائم على مدى كل أجيال الكنيسة حيثما يُقرأ إنجيل المرأة صاحبة الطيب.

والقصد الوحيد في فكر المسيح أنها نبوَّة عملية عن الموت والدفن الذي سيجوزه بإرادته. ولكن من الأمور المفرحة في تقليد الكنيسة أن الأطياب والحنوط التي وُجِدَت في لفائف الأكفان بعد أن تركها المسيح كما هي وقام، أخذتها الكنيسة وصنعت بها زيت الميرون الذي تستخدمه في دهن المعمَّدين، تعبيراً عن اجتيازهم الموت مع الرب والحصول على القيامة! وإلى الآن هو محفوظ في كل كنيسة.

ولم يعتنِ ق. مرقس أن يذكر اسم المرأة لكي يركِّز فكر القارئ على كلام المسيح، وهذا كان همَّه الأكبر دائماً. وربما يقصد أن يجعل اسمها موصولاً بدهن المسيح وحسب.

«وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ..... وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا».

كان رد المسيح عليهم فيه نقد لاذع. فهي أولاً لم تُخطئ ولم تُتلف شيئاً، بل عبَّرت أحسن تعبير عن مشاعر الإنسانية كلها، فاعتبرها المسيح قد عملت عملاً حسناً لمشاعره، كَمَنْ يقدِّم جسده ذبيحة خلاص عن العالم كله، فكان سكب الطيب على رأسه بمثابة رد جميل من البشرية التي تمثَّلت في هذه المرأة ففازت باستحسان الرب. أمَّا احتجاج يهوذا ومَنْ معه بأن الفقراء أَولى من المسيح ففي ذلك وقاحة، فالعمل

التكريمي للمسيح لا يُقارن بملء البطن عند الفقراء. ولكن استطاع المسيح وهو بصدد الدخول إلى آلامه وموته أن يسبق ويتنبأ أيضاً أنه لن يكون معهم بعد ذلك، أمَّا الفقراء فأمامهم كل حين. وتكريم المسيح هو بحد ذاته تكريم لكل فقراء العالم الذين يعتبرهم المسيح إخوته. "فالمسيح هو الفقير الأعظم" وسط أغنياء هذا الدهر، وهو يمثّل فقراء الدنيا والحامل لهمّهم وآلامهم وخلاصهم وعزائهم.

عملت ما عندها: تُذكّرنا بالمرأة التي أعطت فلسين هما كل ما عندها، كذلك بأرملة بيت صيدا التي قالت لإيليا: «حيٌّ هو الرب إلهك إنه ليست عندي كعكة ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز، وها أنذا أقش عودين لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ثم نموت». وها إله إيليا هنا، فهل كثير عليه قارورة طيب تدهن بها جسده!

إنها فرصة العمر بل فرصة الأبدية أن تستحوذ هذه المرأة المحظوظة على لمس رأس فادي البشرية، وهو ابن الله، وتسكب عليه طيباً. وليس غريباً أن يقرن المسيح سيرها بسيرة الكنيسة في الأرض كلها، فقد سكبت الطيب على رأس الكنيسة لتفيح رائحة الكنيسة بالحب إلى مدى الأجيال. وما درت هذه المرأة أنها كفّنته لندفنه اليوم، وغداً يقيمنا معه.

«تذكاراً لها»:

التذكار هو لعملها الحسن، لأنها أول من اشترك في تكفين الجسد كأول عمل مهِّد للصليب والقبر. وكون تذكارها يبقى هكذا إلى الأبد، لأن الجسد لا يزال في السماء يحمل عطر هذه المرأة الذكية التي اشترت بعطرها مكاناً في السماء. ولماذا خُلِّد عملها في الإنجيل والكنيسة إلاَّ لأنه أصبح لها فعلاً حسناً دائماً بدوام الإنجيل والجسد!

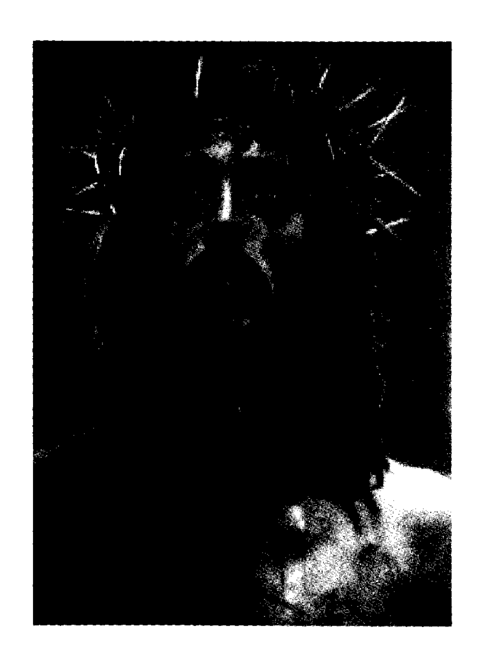




الساعة السادسة من ليلة الخميس

يو١٢: ٣٦- ٤٣

تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ. [٣٧] وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هذَا عَدَدُهَا، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، [٣٨] لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَهُ:«يَا رَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟» [٣٩] لِهذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضًا: [٤٠] «قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». [٤١] قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ. [٤٢] وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضًا، غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ، لِئَلاَّ يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ، [٤٣] لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ.



الخطية والظلمة صنوان لا يفترقان

الخطية تُظلم الفكر، لماذا؟ لأن هبة العقل والفكر والتأمل هي هبة إلهية اختص بها الإنسان المخلوق على صورة الله. فالإنسان مخلوق عاقل فهيم مسبح. وهذه الموهبة ليست من التراب الذي خُلق منه، بل عطية من الله لتربطه بالله، فبالفكر وعن طريق الفكر يتكلم الله مع الإنسان والإنسان مع الله.

والفكر أو العقل مرتبط بالقلب، أي الإنسان الباطني الذي هو مركز الشعور والإحساس والعطف والحب والمعبِّر عن الشخصية. والعقل والقلب معاً صنوان عزيزان لا يفترقان، لا يمكن أن يعمل الواحد منهما بدون الآخر، لذلك فلأن العقل (والقلب) هبة إلهية متصلة بالله؛ لذلك فكل ما يأتي من الله ينير الفكر والقلب، وكل بُعد عن الله يطمس معالم العقل ويضعف من عمله لإدراك ما هو لله.

الله نور ولا يُعرف النور إلا بالنور، وعقل الإنسان هو مصباحه، هو نوره، لذلك يقول: «بنورك يا رب نرى النور» (مز٣٦: ٩). فإذا زادت الخطية اظلمَّ الفكر، وبالتالي يعجز عن أن يقترب من الله، لذلك يتجنَّب الله بإرادته ورغماً عنه. وطالما تستبد به الخطية فهو يرتاح في الظلام: «وأحب الناس الظلمة أكثر من النور» أي أحبوا الخطية أكثر من النور (الله).

كل إنسان، حتى ولو كان أعظم قديس ، إن هو أخطأ أحسَّ في الحال أن سحابة ظلمة خيَّمت على عقله. لذلك فأولاد الله أسرع ما يكونون للاعتراف بالخطية وطلب التوبة، لأن التوبة عطية أيضاً من الله.

كل من يحيا حياة الله لا يطيق الإثم، وكل من أحب العالم دخل مع الله في عداوة وابتعاد. ولسان حال الله دائماً ما قاله: «قد جعلت قدامك الحياة والموت.. فاختر الحياة

لكي تحيا» (تث٣٠: ١٩). هنا الحياة وُضعت في مقابل الموت، أي ظلمة الخطية.

كل إنسان تتمثل الخطية أمامه؛ فإن صوت الله في القلب يرن حالاً كناقوس: لا تخطئ لئلا تموت! نعم، فكل ابتعاد عن الله هو موت.

والخاطئ يتجنب الله ما أمكن، ولكن هيهات! فعيناه تخترقان أستار الظلام.

الخاطئ في البداية يلومه قلبه بشدة مريعة، يفقد فيها الراحة والهدوء والسلام والمحبة حتى النوم، ولا يرتاح أبداً أبداً إلا إذا اعترف وتاب بالحق! ولكن إن هو داس على صوت القلب ومشاعِره وتغاضى عن صراخه في الداخل ويُخطئ أيضاً؛ هنا يبدأ القلب يتقسَّى ويضعف صوته وتخمد ثورته، وبعد مزيد من الخطية يجف جفافاً، وهذه هي غلظة القلب. القلب الغليظ هو قلب فَقَد الإحساس والشعور واللطف والحب والرقة والعواطف.



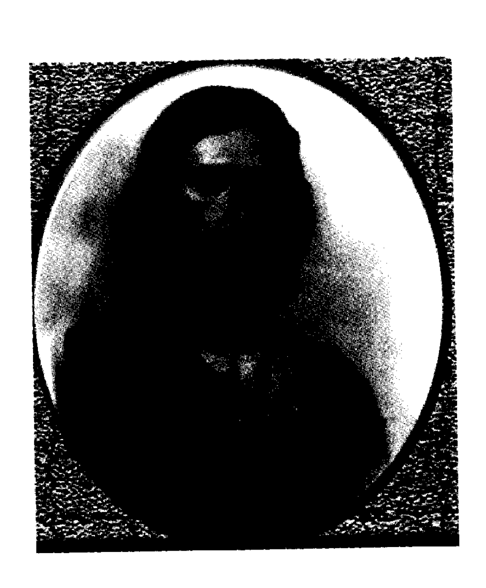




الساعة التاسعة من ليلة الخميس

يو١٠: ٢٩ - ٣٨

[٢٩] «أبي الَّذِي أعْطَانِي إيَّاهَا هُوَ أعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أحَدٌ أنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أبي. [٣٠] أنَا وَالآبُ وَاحِدٌ». [٣١] فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. [٣٢] أجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أبي. بِسَبَبِ أيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» [٣٣] أجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لأجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإنَّكَ وَأنْتَ إنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إلهًا» [٣٤] أجَابَهُمْ يَسُوعُ: «ألَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أنَا قُلْتُ إنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ [٣٥] إنْ قَالَ آلِهَةٌ لأولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، [٣٦] فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأرْسَلَهُ إلَى الْعَالَمِ، أتَقُولُونَ لَهُ: إنَّكَ تُجَدِّفُ، لأنِّي قُلْتُ: إنِّي ابْنُ اللهِ؟ [٣٧] إنْ كُنْتُ لَسْتُ أعْمَلُ أعْمَالَ أبي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. [٣٨] وَلكِنْ إنْ كُنْتُ أعْمَلُ، فَإنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أنَّ الآبَ فِيَّ وَأنَا فِيهِ».



ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي

الذي يؤمن بالمسيح عليه أن يعرف أن اسمه مسجَّل في ذاكرة المسيح. ومعرفة المسيح لأشخاص المؤمنين به، تعني معرفة إلهية يدخل فيها المؤمن في دائرة نور المسيح الكاشف، فلا يَعُد يغيب عن المسيح أي حركة أو كلمة أو حتى تفكير في كلمة، فكل كيان المؤمن المحبوب يدخل في كيان نور لاهوت المسيح، فتصير حياته كلها مكشوفة، وبالتالي مصانة ومُعانة.

والمؤمن يشعر بانجذاب نحو المسيح، انجذاب صادر أصلاً من الآب فوق، لأن الآب محسوب أنه هو الذي أعطى ويعطي المسيح المختارين. وعلى هذا الأساس بعد أن يكون تعرَّف تماماً على من يؤمن به، وصار المؤمن يتبع الرب عن أمانة وصدق وحب، يقرر المسيح مصير مؤمنيه إذ يجعلهم من الذين أُعطى لهم الحياةُ الأبدية ومُلْكُ الآب السعيد، ويصير مؤَمَّناً على النفس بدم المسيح وختم الصليب، فلا يأتيها سوءٌ ولا ضرٌّ، فلن تهلك قط وإلى الأبد.

وبهذا تصير النفس التي أمَّنها المسيح بدمه بعيدة جداً عن متناول يد الشيطان فلا يقوى عليها مهما كان، إذ صارت ممسوكة بيد المسيح كما يحتضن الواحد صاحبه ويمسكه بكلتا يديه. لأنه صار معروفاً أن النفس مِلْكٌ للآب الذي يعطيها أمانةً للابن، فأصبح من المستحيل أن يسلبها الشيطان من يد الآب. وهكذا تصير النفس مصانة من الآب والابن.

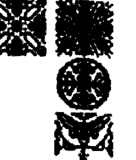
هذه الصورة هي دستور الأمانة بالمسيح، فهي أمانة مسلَّحة بقوة الآب والابن معاً، إنها دستور حياة كل مؤمن اتَّبع المسيح وأرضى قلب الآب، حيث تصبح حياة الإنسان مصونة لحساب الملكوت المُعَدّ.

ومن الأمور الهامة جداً أن يعرف الإنسان المؤمن حقيقة أن المسيح يعرفه، وأن الآب أيضاً يحيط به، ويستعلن ما في قلبه وروحه. فيلزم للإنسان المؤمن أن يدرك دور الآب في معرفته بالمسيح وفي اختياره للحياة الأبدية، لأن معرفة الآب والابن هي رأس مال أمانة المؤمن الذي يمدُّه بالقوة والصبر والأمانة ومعرفة الحق معرفة استعلانية بالروح والحق، فيتبع المسيح كجندي صالح في جيش الخلاص المهيَّأ لكل حرب تأتيه من العدو.

فقول المسيح لا يستطيع أحد أن يخطف المؤمن بالمسيح من يده ولا من يد الآب، يكون التأكيد هنا لطمئنة قلب الإنسان أن الحرب التي تواجهه لن يقابلها بإمكانياته الضعيفة، فيد الآب والابن محيطة به سرّاً، يستحيل معها أن العدو يقترب من الإنسان. وهذا هو سرّ هدوء النفس جداً، لأنها محفوظة بقوة من فوق، فنحن لسنا وحدنا في العالم نلاطم فيه وهو فينا بدون العين الناظرة من فوق واليد الحافظة والمحيطة بالإنسان.

وعندما تنتهي الحرب نكلل نعم نُكلّلُ في الموطن السعيد



الساعة الحادية عشر من ليلة الخميس

يو١٢: ٤٤- ٥٠

[٤٤]فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. [٤٥]وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. [٤٦]أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ. [٤٧]وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. [٤٨]مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، [٤٩]لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. [٥٠]وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ».



أنا قد جئت نوراً للعالم

من أعمق الأوصاف التي أعطاها المسيح لنفسه قوله إنه النور الحقيقي الذي ينير العالم، لأن صفة العالم الطاغية أنه الظلمة وعالم الظلمة، وهي ليست صفة مجازية ولكن صفة تكاد تكون أنها تستبطن العالم في عمق حقيقته. ولا يخفى علينا أن العالم استمدَّ صفة الظلام من الشيطان، لأن العالم وُضِع في الشرير وتملّك عليه عَلَناً، وصار بذلك كل أولاد العالم أبناء ظلمة وظلام، لا يرتاحون للنور ولا يأتون إليه لئلا تُوبَّخ أعمالهم. فأبناء الظلام يرتاحون للظلام لأنه يتناسب مع سلوكهم.

وكان الظلام يَلِفُّ العالم كله؛ إلى أن نادى منادٍ من السماء مُعطياً المجد لله، لأن النور جاء للعالم ليبيد الظلمة.

المسيح الرب من السماء، نورٌ من نور، وكما تُشرق الشمس فينتهي الليل بظلمته الكئيبة وينتشر النور ليضيء العالم كله، هكذا أشرق علينا يسوع المسيح من السماء ليجعل العالم عالم نهار لا ليل، وعالم يضيء للقلوب بنور سماوي. ولأول مرة يدرك الإنسان الحق وينجذب إليه ويسير في هداه، والحق هو جوهر الوجود الإلهي، ومن عَرِفَ الحق تحرر في الحال من كل أعمال الظلمة وغَلَبَ العالم.

وعندما قال المسيح أنتم أبناء، أبناء الحق والله، لأني أعلمتكم بكل ما عند الله؛ وعندما خاطب المسيح الفريسيين قائلاً إن من يتبعني يعرف الحق ويصير ابناً لله، ولمّا حاجُّوه أنهم أبناء وليس عبيد، أبناء إبراهيم، قال لهم إنهم عبيد لأنهم يعملون الخطية، ومن يقترف الخطية يكون عبداً للخطية.

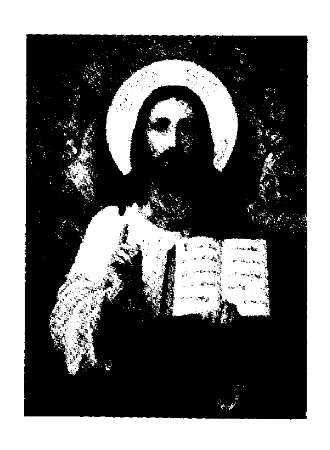
وهكذا فإن ميزة النور أنه السير في نور الله، فنور الله هو معرفة الحق والمسير على هداه. لهذا جاء المسيح ليعلّم بالحق ويشرق على القلوب التي أحبَّت الله

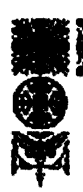
وسارت في نور وصاياه. هنا ينادي المسيح عن حقٍ وجدارة: آمنوا بالنور لكي تكونوا أبناء النور، فكل من آمن بالنور انكشف الحق في قلبه وتَبِعَ النور والحق.

وعدو النور الوحيد هو الخطية، فالخطية هي جوهر الظلمة، إن صحَّ هنا التعبير، لأن الظلمة ليس لها جوهر فهي كذب وخيال، وليس لها وجود إلاّ عند الشيطان، والشيطان غريب عن الحق والنور، بل إن الحق والنور إذا أشرق ينصعق الشيطان ويتلاشى. لأن الشيطان ينسج وجوده من سُدَّة الظلمة ولُحمَة الكذب، والكتاب يُعرِّف الشيطان بأنه الكذاب وأبو كل كذاب.

فالخطية هي أكبر خدعة دسَّها الشيطان في حياة الناس، وهي لا وجود لها، وكل من يقترفها يلغي وجوده بيده. أما من آمن بالنور فقد آمن بالحق وصنع له وجوداً في المسيح والله.

فيا إخوة، النور هو المسيح، ومن آمن بالمسيح يكون آمن بالنور والحق والحياة، وصنع له وجوداً في حضرة الله والقديسين والملائكة. فالنور والظلمة هما الوجود والضياع، فالخيار هنا علقم لأنه إمّا وجود وإمّا ضياع. فيا حبيبي اِخْتَرْ الوجود والحياة، ويقول المسيح محذراً إن "النور معكم زماناً قليلاً".






باكر يوم الخميس

لو٢٢: ٧- ١٣

[٧] وَجَاءَ يَوْمُ الْفَطِيرِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْبَحَ فِيهِ الْفِصْحُ. [٨] فَأَرْسَلَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا قَائِلاً: «اذْهَبَا وَأَعِدَّا لَنَا الْفِصْحَ لِنَأْكُلَ». [٩] فَقَالاَ لَهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ؟». [١٠] فَقَالَ لَهُمَا: «إِذَا دَخَلْتُمَا الْمَدِينَةَ يَسْتَقْبِلُكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ حَيْثُ يَدْخُلُ، [١١] وَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: يَقُولُ لَكَ الْمُعَلِّمُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟ [١٢] فَذَاكَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً. هُنَاكَ أَعِدَّا». [١٣] فَانْطَلَقَا وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا، فَأَعَدَّا الْفِصْحَ.



الافخارستيا ترياق عدم الموت

سر الإفخارستيا هو خلاصة الإيمان المسيحي وهو محور الإيمان بالمسيح، والمنطلق العملي للحياة مع المسيح أو بالمسيح لنكون شعباً مبرراً وأمة مقدسة.

والرب لم يؤسس هذا السر في بداية خدمته، لا بعد المعمودية مباشرة مثلاً، ولا بعد صوم الأربعيني، ولا كنهاية تعاليمه، ولكنه أخَّره متعمداً حتى ميعاده المضبوط تماماً «في الليلة التي أُسلم فيها». فحينما انتهى من كل تعاليمه، وحينما أكمل حبه، وحينما سلَّم لتلاميذه كل أسرار علاقته بالآب، ثم دخل بالفعل في ساعة الصفر وتقرر البدء في تنفيذ الصلب ودُفع للخائن الثمن وتعيَّن زمان ومكان التسليم، وأحس المسيح بدنو ساعة الموت؛ حينئذ أخذ خبزاً وباشر تأسيس أعظم أسرار الوجود الإنساني على الأرض؛ بل وأعظم أسرار الحياة قاطبة، هذا الذي صار للإنسان المائت ترياق عدم الموت، وقوة القيامة ومفتاحاً للخلود.

«في الليلة التي أُسلم فيها» في هذه المناسبة التاريخية القائمة بين تأسيس السر وليلة التسليم للموت، أصبحت بعد تحول الخبز والخمر مناسبة كرازية فائقة للزمان تستغرق كل الزمان ثم تتخطاه إلى الأبدية اللانهائية: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء».

فهناك سر يجمع بين المسيح الجالس مع تلاميذه والمتحد معهم بسر الحب ساعة العشاء يوم الخميس، وبيننا نحن في كل الأجيال وعلى مدى كل الزمان، والموت يداهمنا يوماً بعد يوم. هنا سر الإفخارستيا هو هو سر المسيا الكائن الذي كان والذي يأتي، المتحد بأولاده بجسده السري عبر الزمان كله يحييهم بسر موته المحيي.

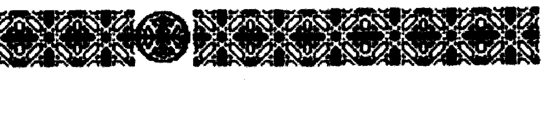
ونحن نأكل الآن وكل يوم جسد الرب ونشرب دمه، كتحقيق على مستوى

الكرازة العملية أن المسيح مات وقام وإنه آت حيث يُستعلن يومئذ اتحادنا معه الذي أكملناه في سر الإفخارستيا، وينكشف علانية كيف عشنا وسنعيش إلى الأبد بموته.

بشارتنا الآن بموت الرب كلما أكلنا من الخبز وشربنا من الكأس هي واقع حال السر الإلهي، فهي لازمة وحتمية إلى أقصى حد، لأن اعترافنا بموت الرب الذي نأكله ونشربه يلغي موتنا كل يوم الذي نموته بالخطية، يلغي فُرقتنا، يلغي عداوتنا، يلغي كبرياءنا...حياتنا الأبدية تنبع لنا من حيث نشهد بموت الرب الذي نأكله ونشربه في هذا السر. لذلك كان الجسد المكسور والدم المهرق في الإفخارستيا نبْع حياة أبدية لنا منذ عشاء يوم الخميس حتى اليوم وإلى نهاية الدهور كلها.

سر عشاء الخميس نواة الكنيسة كلها: تكريم الكنيسة لتأسيس سر الإفخارستيا يوم خميس العهد سنوياً ليس مجرد تذكار تاريخي. المسيح وجماعة الرسل المجتمعين في ذلك المساء حاضرون معنا الآن بجملتهم في الكنيسة هنا عندما يُقام هذا السر، وليسوا هم وحدهم، بل وأيضاً كل الذين ضمتهم الكنيسة إلى جسد المسيح. السر في جوهره يضم باستمرار كل الذين يخلصون.

فإذا تصورنا سحابة هائلة تمتد حتى عنان السماء ثم فحصنا كل نقطة ونقطة فيها من ذرات الماء الكثيف، واكتشفنا أن كل نقطة عبارة عن وجه قديس أو روح بار مُكمَّل بالمجد، فهذه ربما تعطي صورة تقريبية للكنيسة. ولكن إذا دققنا وجدنا أن قوة تجمُّع وانجذاب كافة النقط معا بهذه الصورة تنبعث من الوسط، حيث توجد مائدة صغيرة في وسطها الرب وحولها التلاميذ؛ فتكون هذه هي الصورة التقريبية لسر عشاء الخميس.

الساعة الثالثة من يوم الخميس

مت٢٦: ١٧- ١٩

[١٧]وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» [١٨]فَقَالَ: «اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلاَنٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي». [١٩]فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ.

المسيح هنا يرفع الأكل من الجسد المقدس والشرب من الدم المقدس من حالة الاختيار الحرّ والإرادة الحرة، إلى التزام، يُحسَب التخلّي عنه موتاً أبدياً وحرماناً أبدياً من المسيح، وبالتالي حرماناً أبدياً من الحياة الأبدية.

لأن أكل الجسد وشرب الدم، مع الإيمان الصادق بالمسيح، هو بمثابة كل ما عمله المسيح لخلاصنا بالفداء الذي أكمله على الصليب، والقيامة المجيدة. فالذي يأكل جسد المسيح ويشرب دمه الأقدسين، يكون صدَّق وشهد وآمن بكل ما عمله المسيح للخلاص المجاني. فأكل الجسد وشرب الدم مصادقة إيمانية خالصة وكاملة، ولها كل ما عمله المسيح في نفسه لأجلنا.

إنها بمثابة إعلان ونطق إيماني باتخاذ المسيح رباً وإلهاً. لذلك تدخل الشركة المقدسة في جسد المسيح ودمه، جزءاً لا يتجزّأ من إعلان الإيمان بالمسيح والشهادة له. فهي عملية إيمانية ذات أثر روحي يلازم المتناول من الجسد والدم، يهبه شركة واقعية في المسيح.

ليس في جميع الأسرار التي تصادفنا في حياة المسيح وأقواله ومعجزاته ما يُعادل هذا السر الرهيب، سر الخلود، الذي أبقى المسيح إعلانه حتى آخر ساعة من حياته. ففي الليلة التي كان مزمعاً أن يسلّم فيها نفسه للموت من أجل حياة العالم، جلس مع تلاميذه ومهَّد للسر بإعلان حبِّه لخاصته الذين في العالم، حبًّا وصفه الإنجيل أنه حتى المنتهى.

والمسيح لم يكن مغالياً حينما قال: " أنا هو خبز الحياة ". إذ في العشاء الفصحي الأخير، لما أخذ الخبز على يديه ونظر إلى فوق، بثّه روح

الحياة الأبدية التي فيه. فحمَّل الخبز ذات الحياة الأبدية التي في جسده، فصار الخبز الطبيعي معادلاً لجسده الإلهي الحي، أي خبزاً للحياة. وتمادى المسيح في إجراء السر على السر، إذ كسر الخبز من واقع ما سيتم على الصليب. وهكذا بثَّ الخبز الحي موته المحيي، أي حمَّله قوة الفداء والغفران بآن واحد. وهكذا أصبح كل مَنْ يأكل من هذا الخبز يعْبُر – كما عَبَرَ المسيح – بالجسد من الموت إلى الحياة، أي صارت في هذا الخبز الحي قوة القيامة من الأموات.

وهكذا حمَّل المسيح الخبز كسر الجسد، كما حمَّل الكأس سفك الدم وغفران الخطايا: «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلُّكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». وهنا بقوله "شكر" وهو رافع عينيه إلى فوق، يكون قد استودع الدم روح الحياة الأبدية التي فيه.

وهكذا حمَّل المسيح الخبز والكأس، سر كسر الجسد وسفك الدم على الصليب، ومغفرة الخطايا. ومن مضمون مغفرة الخطايا تُستعلن الحياة الأبدية. وإذ عبَّرهم الموت بأكلهم الجسد المكسور وشربهم الدم المسفوك للفدية، فنالوا مغفرة الخطايا وقاموا معه لحياة أبدية، يكون قد سلَّمهم "سر الخلود" الذي سمَّاه القديس إغناطيوس "ترياق عدم الموت". وبقول أوضح، ولكن أكثر سرِّية، يكون قد سلمهم ذاته ووجوده: جسد ودم، وروح وحياة!!




الساعة السادسة من يوم الخميس

مر ١٤: ١٢- ١٦

[١٢] وَفِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْفَطِيرِ. حِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ الْفِصْحَ، قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنُعِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» [١٣] فَأَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيُلاَقِيَكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ. [١٤] وَحَيْثُمَا يَدْخُلْ فَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: إِنَّ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟ [١٥] فَهُوَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً مُعَدَّةً. هُنَاكَ أَعِدَّا لَنَا». [١٦] فَخَرَجَ تِلْمِيذَاهُ وَأَتَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. فَأَعَدَّا الْفِصْحَ.



شهوة اشتهيت أن آكل الفصح معكم

فلأول مرَّة نسمع أن المسيح يشتهي، ويشتهي أن يأكل، لأن الخبزة التي كسر وأخذ منها وأعطى صارت هي عينها وفي هذه اللحظة الفريدة من يوم الخميس هي نفس الجسد المعلّق على الصليب يوم الجمعة. إذ لمَّا كسر أعطى قائلاً هذا هو جسدي. وهكذا أعطى ليوم الخميس رهبة وجلال يوم الجمعة، وللخبزة المكسورة قوة وجلال الصليب والجسد المائت عليه والمطعون! وهتف بالتلاميذ والزمن يسجِّل: اصنعوا هذا لذكري. لا لتذكار المسيح؛ بل تذكار مسيح الصليب والجسد المكسور والعائلة الواحدة والحب وشهوة العبور!!

وحتى لا تضغط على مشاعرهم كلماته الوداعية بأحاسيسها السرِّية جداً، فيشعروا بالخسارة المريعة لذهابه، طمأنهم أنه سيشربها معهم جديداً في الملكوت. يشربونها ولها قوة النصرة ومجد القيامة وحضرة الآب وتسبيح يدوم!!

وَأَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: هذَا هُوَ جَسَدِي

هذا جبرؤوت المصلوب، كيف يَصْلِب نفسه بلا خشبة ولا مسمار، وبسكين سر الشكر الأعظم قسَّم جسده واستودعه خبزة، دفعها لهم خبزة وهي جسده مذبوحاً من أجلهم بفعل أبدي يأخذون منه كيفما شاءوا، خبزاً حيًّا ويذكرون ذبحه.

هكذا صنع المسيح من يوم الخميس تذكاراً ليوم الجمعة يدوم فوق الزمن.

هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ

بإرادة الفدية ذبح نفسه حيًّا، وملأ كأسه دماً، وأعطاه لتلاميذه ليشربوا عهده الجديد ويذكروه كلما شربوا، ويذكروا عهده ويعيشوا به جدة الحياة.

وهكذا بعشاء الخميس صنع فصحاً بدمه استودعه نفسه حيًّا ليسقيهم بيديه كلما صنعوا.

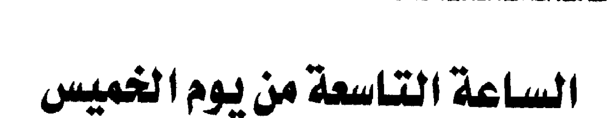
هكذا ضمن المسيح قبل صعوده أن يستودعنا جسده الخاص ودمه الحي تأكيداً لدوام حضوره وتحقيقاً لقوله لتلاميذه: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين»

وعندما قال: «هذا هو جسدي» و «هذا هو دمي» فهو يقدِّم نفسه حقيقة سريَّة منظورة وملموسة في الخبز والخمر ليبقى هو كما هو بعد صعوده بيننا حقيقة منظورة وملموسة بالإيمان في ذات الخبز والخمر الإفخارستي.

والكاهن يؤكِّد هذه الحقيقة عندما يقيم الإفخارستيا كالتدبير مشيراً إلى الخبز والكأس بعد تقديسهما صارخاً: [الجسد المقدَّس والدم الكريم اللذان لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا]، والشعب يصرخ ساجداً: [نسجد لجسدك المقدَّس ولدمك الكريم]. إنه سجود لحضور حقيقي للمسيح، إنها الوحدة الإلهية بين الكلمة اللوغس وجسده ودمه تماماً تماماً كما كان حاضراً وقت عشاء الخميس بشخصه كابن الله الكلمة المتجسِّد وبآن واحد في الإفخارستيا التي على يديه: الجسد المقدَّس والدم الكريم، وهكذا أصبحت الإفخارستيا تحقيقاً جوهرياً لحضور المسيح وتحقيقاً بالتالي لقوة وفعل الكلمة اللوغس في الجسد والدم.

فأكل الجسد وشرب الدم ليسا بعد أكلاً وشرباً ساذجاً بل هما أكل حق وشرب حق، أي أكل حقيقي وشرب حقيقي للوغس الكلمة، لأن الجسد كجسد بمفرده لا يفيد شيئاً كقول المسيح ولكن "الروح الله" أي اللاهوت في الجسد هو الذي يحيي. وهنا تبرز قوة المعنى لسر قول المسيح: «فمن يأكلني فهو يحيا بي» .

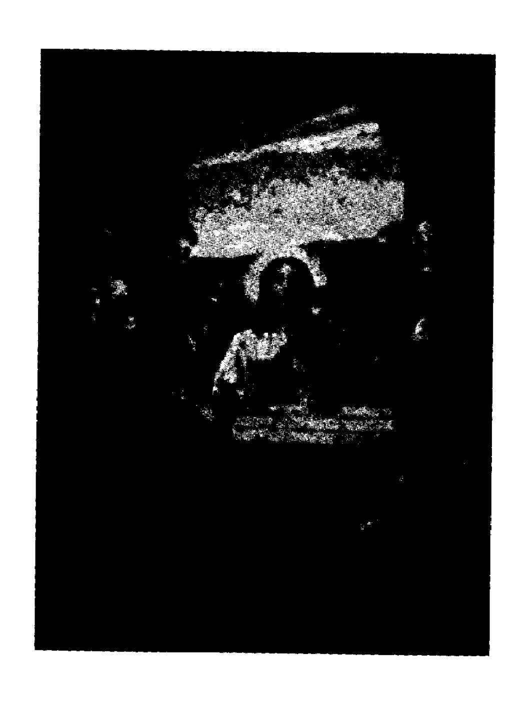
بهذا ننتهي بحقيقة لاهوتية غاية في الأهمية وهي أننا حينما نشترك في الجسد والدم نحن نأكل المسيح كقوله وبالتالي نتحد به بالسر الفائق: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه». هكذا أصبحت الإفخارستيا هي الواسطة السرية المقدمة بسخاء الله والمسيح لندخل في شركة مع المسيح واتحاد.


الساعة التاسعة من يوم الخميس

مت٢٦: ١٧- ١٩

[١٧]وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ:«أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» [١٨]فَقَالَ: «اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلاَنٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي». [١٩]فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ.



اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد

كان دم العهد القديم لم يكن ليَرْفع إلاّ خطايا السهو فقط، أمَّا خطايا العمد فلم يكن لها ذبيحة. أمَّا ذبيحة المسيح فهي لرفع ليس كل الخطايا فحسب بل لإبطال الخطية ذاها، وهي التي نص عليها إرميا النبي في نبوَّته: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا "عهداً جديداً"، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر». لذلك أعطى المسيح في دمه الذي سكبه على الصليب وسقاه لتلاميذه ليلة العشاء "عهداً جديداً"، فصار العشاء وبالتالي الإفخارستيا في الكنيسة هي قوة العهد الجديد بدم المسيح، عهداً أقامه الله الآب وابنه معاً: أن طالما أُقيمت هذه الذبيحة المقدَّسة قام عهد الله والمسيح مجدداً بينه وبين المؤمنين باسمه.

أما القصد من «اصنعوا هذا لذكري» هو تحقيق وجود الرب بسر الإفخارستيا حضوراً إلهياً بحالته كمسفوك دمه، أي في حالة كفَّارة وغفران وخلاص دائم.

فالتذكار هنا ليس لذكر إنسان مات وانتهى، حاشا، بل هو ذكر وجودٍ حي بالروح دائم، عوض وجود كان بالجسد. فالرب غير منظور وليس ميِّتاً، غير منظور بالجسد ولكنه حاضر بالروح وبلاهوته وقوة دمه الفادي في الإفخارستيا. لذلك يذكرها ق. بولس بصورها الأقوى: «اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري» ولماذا كلما شربتم؟ لأنه موجود في قوله: «هذا هو دمي اشربوا منه كلكم» فالرب واقف في كل إفخارستيا يعطي بيده الخبز المكسور ويسقي بيده الدم المسفوك!! والذي يشك في هذا فليسأل تلميذي عمواس اللذين عرفاه وقت كسر الخبز، لأنه تواجد بنفسه حسب الوعد لما كسر وأعطى!! فالإفخارستيا تعويض عن عدم رؤية المسيح بالجسد المنظور بحضوره إلهياً. لذلك حينما يخطئ البعض ويقول: إن الإفخارستيا ليست سرًّا إلهياً بل مجرَّد ذكرى يكشفون عن عجز فاضح في فهم حضور الرب في الإفخارستيا حضوراً إلهياً فعَّالاً غافراً ومعطياً حياة.

وقول ق. بولس: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب» يكشف هنا عن كرازة حيَّة دائمة بسر موت المسيح على الصليب، وهو سرّ الفداء والكفّارة. فكيف يمكن وبأي عقل نفهم أننا نقيم سرّ فداء وسرّ كفّارة بدون المسيح نفسه قائماً؟

أليس هذا هو بعينه ما عمله المسيح على مائدة الفصح يكمّل ما سيعمله على الصليب قبل أن يُصلب؟ فإن كان في استطاعة المسيح أن يحقّق بالفعل الموت في نفسه قبل أن يموت، ويقول لهم خذوا هذا هو دمي المسفوك وهو لم يُصلب بعد، ألا يحقّق بالفعل سر موته بعد أن قام حينما نقيم الإفخارستيا باسمه لنحقّق فعل موته!؟

فالذبيحة التي حقّقها المسيح في نفسه بنفسه في سر الإفخارستيا يوم الخميس بالخبز المكسور والخمر المسكوب المتحوّلَينْ إلى جسده الأقدس ودمه الكريم:

- هي بعينها التي أكملها المسيح بأيدي صالبيه على الصليب يوم الجمعة.
- وهي بعينها التي صعد بها المسيح إلى الآب ليقدِّم نفسه: «كخروف قائم كأنه مذبوح» أمام الآب ذبيحة شفاعة دائمة لحسابنا.
- وهي نفسها التي تركها للكنيسة لتقيمها باسم الآب والابن والروح القدس لتحقِّق بها الكنيسة حضوره الدائم وشركتها فيه لتكميل وعده الصادق: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.»

◆ على أن الكنيسة تؤمن أن المسيح نفسه لا يزال هو الذي يعطي جسده ويسقي دمه بيده سرًّا في الإفخارستيا لكل متناول من خلال سر كهنوته الفائق والدائم.

◆ ثم تؤمن الكنيسة أن الإفخارستيا بحد ذاتها مع كل ما يشمله طقسها من قراءات وتسابيح تعتبر قلب العبادة النابض بحب المسيح وعبادة الآب بالروح والحق، وأنها عمل تقديسي يتقدَّس به كل مَنْ يشترك فيه.




لقان خميس العهد

يو١٣: ١- ١٧

[١] أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى. [٢] فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ، وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ، [٣] يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، [٤] قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، [٥] ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا. [٦] فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!» [٧] أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ». [٨] قَالَ لَهُ بُطْرُسُ:«لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». [٩] قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي». [١٠] قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ». [١١] لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ». [١٢] فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضًا، قَالَ لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ [١٣] أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ. [١٤] فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، [١٥] لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. [١٦] اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. [١٧] إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ».

محبة إلى المنتهى

اليوم، يا أحبائي، هو خميس العهد، فإن كنا نحيا الآن في العهد الجديد؛ فهذا هو اليوم الذي تأسس فيه هذا العهد. هذا السر، يُدعى في الطقس: ميغالي، أي عظيم، وهو بالحق عظيم، هو القوة المحركة في الكنيسة وحتى نهاية الدهور. هذا السر، سر التناول، يسمونه سر الإفخارستيا، أي الشكر، وكان سابقاً يُسمى سر كسر الخبز. وفي الحقيقة إنه يوجد ارتباط وثيق بين مفهوم سر الإفخارستيا، أي سر الجسد والدم؛ ومفهوم سر الصليب، أي الفداء والغفران والكفارة.

هذا السرُ هو الأساس لكل المفاهيم اللاهوتية الخلاصية. واللاهوت كله لا يمكن أن يُفسر إلا على أساس الإفخارستيا. ولولا الإفخارستيا لبقى الصليب غير معروف أو واضح في أذهاننا كمسيحيين. ولولا قول الرب خذوا اشربوا هذا دمي المسفوك عنكم وعن كثيرين لظل دم المسيح شيء غير مفهوم ولا يُعلم لماذا سُفك. ولكن الآن نحن نحيا في ملء الفهم بسبب الإفخارستيا.

في هذا اليوم، يا أحبائي، تنتقل الحياة الأرضية من حبة حنطة، وخبز الأرض إلى حياة أبدية، اُستودعت في سر الجسد المهيب.

كان عشاءَ يومٍ؛ فصار عشاءَ الدهورِ. كان عشاءً عادياً محدوداً يبتدئ بطقس وينتهي بتسبيح وما يلبث أن يُنسى في عداد الأيام؛ وإذا بالمسيح يُحوِّله إلى عشاءٍ سريٍ يظل ينبع من على كل مذبح، يستمد وجوده وكيانه من المسيح القائم على المذبح إلى جيل الأجيال.

كان عشاءً يربطُ بين جماعة متعصبة مربوطة بالميراث الجسدي، والجنسية المختارة، والإحساس بالأفضلية، ولكن إذ بالرب يفكُ كل هذه الأوصال والقيود الحديدية، ويستعلن ملكوته والذي لا يجمع متعصبين فيما بعد، بل جسد واحد وروح واحد، من كل لسان وشعب وأمة، يجمعُ السودِ مع البيض، الحُمر مع

الصُفر، يجمعُ بلا مانعٍ الفقراءَ مع الأغنياءِ، كل الطبقات معاً. ففي الإفخارستيا ليس هناك إلا إنسان واحد فقط.

نعم، أُستُعلن الملكوت في هذا المساء، ليكون هذا العشاء فيما بعد مسرة الأجيال بلا مانع، فيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في حضن إبراهيم، أو كما يقول في سفر الرؤيا: رأيت عدداً مهولاً من كل الشعوب والأمم، كانت الإفخارستيا، سر الجسد وسر الدم، هي التي جمعهتم، فالإفخارستيا رفعت الحاجز المتوسط بين الفرقاء، جمعت القريبين والبعيدين في واحد.

المسيح قال لتلاميذه: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي وأنا اجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» (لو٢٢: ٢٩، ٣٠). إياكم أن تظنوا، يا أحبائي، أن هذا الكلام يخص أياماً قادمة أو سنيناً ستأتي، لا. المسيح وقتها كان يتكلم عن هذه الأيام، أيامنا تلك التي نعيش فيها الآن. فنحن هم الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته، حسب تعبير التلاميذ. فالإفخارستيا استمرت. وها نحن نأكل ونشرب على مائدة المسيح؛ هنا ملكوت الله يُستعلن، هنا ملكوت المسيح.

المسيح، في هذا العشاء، وحسب الطقس القبطي، حوَّله من مجرد وجبة محبة، هابوراه، ووليمة بين أصدقاء، ومن بركات وشكر تُقدَّم لله على عطاياه المادية، بركات سرعان ما تلبث أن تزول، وخبز لابد له أن يفسد؛ إلى بركة من نوع جديد تماماً.

المسيح أخذ أيضاً نفس الخبزة، ولكنه قال أشياءً مختلفة عما اعتادوا أن يسمعوه في هذه المناسبة؛ فبدلاً من أن يبارك الله على خيرات الأرض المادية، إذا به يبارك الله، ويقول أن هذا هو جسدي، ثم يأخذ الدم ويبارك وقال هذا هو دمي لمغفرة الخطايا. انتقال جذري في مفهوم البركة.

المسيح، في الإفخارستيا، استودع في الخبزة المادية سر الحياة الإلهية، انتقل من المادة الجامدة لشيء أعلى، كَسَرَ حاجز الأرقام، فك المادة من عقالها، ألغى الحدود والصفات

الطبيعية للمادة. باختصار إنه استودع المادة حياة الله، الخبزة العادية حمَّلها حياة أبدية: «هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت» (يو٦: ٥٠).

كذلك نفس كأس الخمر الذي كانوا يشربونه، لكي تطيب أنفسهم، كذباً، للحظات؛ استودعه المسيح سر حياته الخاص، بنويته للآب، نشربه، فننال حياة الابن. نشربه فتُرفع الخطية إلى الأبد، وينال الإنسان ضميراً مغتسلاً مُبرَّئاً من كل إثم. وهو قالها بصراحة ووضوح: «خذوا اشربوا هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا».

هذا الانتقال والتحول العجيب وقف أمامه التلاميذ مُنذهلين ومتحيرين، والمسيح يرد على بطرس أثناء غسيل الأرجل ويقول له: نعم، أنا أعلم أنك الآن غير فاهم، ولكنك ستفهم أخيراً.

لاحظ أن الفعل الإلهي لا يُستوعب أو يُفهم بالعقل؛ ولكن من القلب ينضح قليلاً قليلاً.

المسيح استودع تلاميذه هذا السر، بكل أسرار آلامه وموته وقيامته ومجيئه الثاني وضعه فيهم، غرسه داخلهم، وكأنه عمل فيهم عملية نقل دم أو زرع قلب جديد.

صحيح أنهم لم يستوعبوا أو يفهموا ما قيل لهم، ولكن المسيح سبق وأن تنبأ بما سيكون: «لقد قلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون». وهذا ما حدث بالفعل عندما انفتحت أعين تلميذي عمواس عندما عرفوه مباشر بعد كسر الخبز.

لاحظوا، أن المسيح لم يقدم منهجاً لاهوتياً عنوانه الكفارة بقلم يسوع المسيح! أبداً لم يحدث هذا. ولا قدَّم موضوع غفران الخطايا ولا أي عقيدة لاهوتية، ولكن كل ما قاله هو أن ابن الإنسان سيُصلب ويُضرب ويُتفل عليه، لم يقل لهم أن الصليب عظيم ومجيد، أبداً أبداً؛ ولكن الكنيسة فهمت الصليب جيداً بعد الإفخارستيا، والرسول بولس يقول إنه لا يفتخر في حياته بشيء سوى بصليب المسيح.

ثم من أين جاء الرسول بقوله إن الصليب هو حكمة الله وقوته؟ المسيح وضع لهم الأساس اللاهوتي عندما قدَّم لهم كأس الإفخارستيا، لا كتعليم أو نظرية عقائدية؛ بل كفعل إلهي سرائري، كقوة إلهية خفية غير مُدركة، ولكنها محسوسة مُعاشة في خبـز مكسور يحمل سر الجسد الإلهي الحي، وكأس فيه دم المسيح المسفوك يحمـل سـر الحياة لابن الله.

صـــــــلاة

يا ربنا يسوع المسيح، يا رب خميس العهد،

يا ضيف المحبة على مائدة المحبة، التي ذبحت فيها ذاتك،

لا بسكين، يا ربي، ولا بخروف، ولكن بيمينك العالي،

ذبحتَ المحبة ذاتها؛ فكانت هي الكاهن، وهي الذبيحة معاً،

واشبعت العالم كله من الحب الذي ينبع في قلبنا حينما ينسكب فيه، في سر الجسد والدم إلى حياة أبدية،

يا عريسنا اليوم، أيها المذبوح بالإرادة، قبل أن تُذبح بغير إرادتك،

اليوم ذبحت نفسك بإرادتك وحدك، لكي ما تُعلمنا أن لك سلطان أن تضعها، ولك سلطان أن ترفعها؛ فارفعنا اليوم معك، يا ابن الله، ارفعنا عالياً جداً لنتحسس مكاننا من جسدك ودمك لنستمد حياتنا ومفهوماتنا كل يوم من فعلك الإلهي الحي فينا، وليس من كتاب، انت هو كتابنا.

فاعطنا، يا رب، أن نأخذ بإيمان وأمانة، لتتفتح عيوننا وآذاننا، فنعرفك ونتبعك في كل أيام الحياة.




قداس خميس العهد

مت٢٦: ٢٠- ٢٩

[٢٠] وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. [٢١] وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». [٢٢] فَحَزِنُوا جِدًّا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَارَبُّ؟» [٢٣] فَأَجَابَ وَقَالَ: «الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! [٢٤] إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!». [٢٥] فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ». [٢٦] وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». [٢٧] وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، [٢٨] لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. [٢٩] وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي».



هذا هو جسدي .. هذا هو دمي

هذا هو اليوم الفاصل بين عهدين، الذي أسَّس فيه المسيح سرَّ التناول.

يومان في تاريخ البشرية هما كل التاريخ:

اليوم الأول: كان بعد الطوفان الذي أهلك كل بني البشر إلاَّ نوحاً وأولاده، يوم أن عاهده الله أنه لا يعود يلعن الأرض أو يميت كل حيٍّ فيها. وكانت علامة العهد قوساً يظهر في السماء بعد كل مطر شديد علامةً لرضا الله.

والثاني: هو الذي نصنع تذكاره اليوم، وفيه جلس يسوع مع تلاميذه وكشف لهم عن سرِّ العهد الجديد في مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية.

كان العهد الأول ضماناً لاستمرار الحياة البشرية على الأرض.

وكان العهد الثاني ضماناً لنوال الحياة الأبدية بعد الموت!

"خذوا كلوا... اشربوا منها كلكم":

ما أعظم هذا النداء، ليس هو رجاء ولا دعوة، ولكنه أمرٌ.

ليس لنا أن نقول: لا، مهما كنا خطاة أردياء، لأننا كلنا خطاة أردياء.

وليس ولا واحد بمستحق هذه العطية التي يصير بها واحداً في المسيح.

أراد بطرس أن يرفض غسل رجليه بيدي المسيح تواضعاً منه، فانتهره المسيح قائلاً: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب.»

أقول إنها ليست دعوة ونحن أحرار في قبولها أو رفضها. كلا، لأن في قبولها حياة وفي رفضها موتاً، والرب لا يشاء موت الخاطئ بل بالأحرى أن يرجع ويتوب إليه.

لقد جاء المسيح ليعطينا جسده ودمه، فكل مَن لا يأخذ من جسده ومن دمه، فالمسيح ليس له. وإن كان المسيح ليس لنا فليس لنا رجاء، بل ونكون أشقى الناس.

أَلاَ تريد أن تتخلّص من خطاياك، أَلاَ تريد أن تحيا حياة مقدسة، أَلاَ تريد أن يستضيء ذهنك بالمعرفة الروحية؟ ليس من سبيل إلاّ أن تأخذ المسيح فيك لتحيا به لأننا لسنا كُفاة من أنفسنا.

إني متعجِّب من ذاتي، كيف أُعطِيَ لي أنا الإنسان الحقير الترابي الخاطئ أن آخذ المسيح فيَّ! آخذه كله في داخلي؟ لستُ أستطيع ولا واحد بمستطيع أن يُفسِّر هذا لأنه فوق الفهم والتفسير. ولكني أومن به فهو إنجيلي، وهو نفسه قال: «خذوا، كلوا، هذا هو جسدي»!!

إني لستُ أجترئ على شيء ليس هو لي، ولكنه هو الذي قال لي: "خُذ، كُلْ".

آدم أخذ من الشجرة التي قال له الرب لا تأكل منها، فأكل ومات!

وها هو المسيح يقول لي: "خُذ كُلْ لتحيا"، فكيف لا آكل؟؟

"كلوا... اشربوا": ليست هناك عملية يمكن أن نتحد بها مع المسيح مثل أن نأكله ونشربه! فيتحد الجسد بأجسادنا والدم بدمائنا، وبعدئذ لا شيء في الوجود بمستطيع أن يفصلنا عنه، إذ يكون المسيح قد دخل إلى أعماق أعماقنا.

«لمغفرة الخطايا»: هذا هو الجسد والدم الذي حَمَل جميع خطايا العالم، فذابت وتلاشت كما تذوب أوساخ الناس في البحر، والبحرُ كما هو لا يتسخ؛ وكما تموت الميكروبات في أشعة الشمس، والشمسُ باقية لا تتلوث!

إن خطية واحدة قادرة أن تحطِّم حياة الإنسان إلى الأبد، ولكن جميع الخطايا التي اقترفتها البشرية في الأجيال السالفة والتي ستقترفها في الدهور القادمة وُضعت كلها على المسيح، فذابت وتلاشت كما تتلاشى قطرة الماء على قطعة حديد مُحماة بالنار.

هَلُمَّ يا خطاة، يا مَن أثقلتكم الخطية بقيودها وعاداتها المُرَّة.

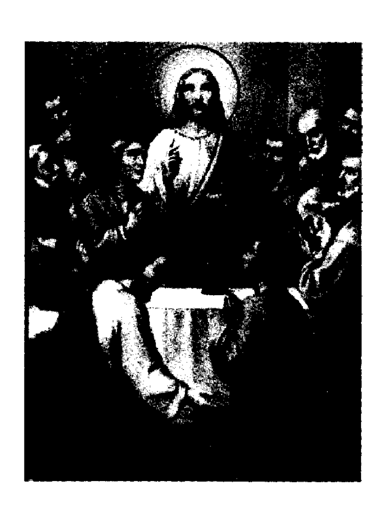
هلموا إلى بحر رحمة المسيح وشمس طهارته لتغتسلوا وتتطهَّروا.




الساعة الحادية عشر من خميس العهد

يو١٣: ٢١- ٣٠

[٢١]لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقَالَ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!». [٢٢]فَكَانَ التَّلاَمِيذُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ فِي مَنْ قَالَ عَنْهُ. [٢٣]وَكَانَ مُتَّكِئًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ. [٢٤]فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ. [٢٥]فَاتَّكَأَ ذَاكَ عَلَى صَدْرِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ؟» [٢٦]أَجَابَ يَسُوعُ: «هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ!». فَغَمَسَ اللُّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ. [٢٧]فَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ». [٢٨]وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ لِمَاذَا كَلَّمَهُ بِهِ، [٢٩]لأَنَّ قَوْمًا، إِذْ كَانَ الصُّنْدُوقُ مَعَ يَهُوذَا، ظَنُّوا أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْعِيدِ، أَوْ أَنْ يُعْطِيَ شَيْئًا لِلْفُقَرَاءِ. [٣٠]فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. وَكَانَ لَيْلاً.



جثسيماني: ÷ بستان معصرة الزيت ×

أكتب إليكم، أيها الأحباء، عن واجبنا إزاء المقيَّدين والمذلّين في العالم والسائرين في طريق الموت باعتبار أنها رسالة حياتنا، لأن هذا قد وُضِع علينا بإرادتنا، ولأن لا خلاص لنا إلاَّ بقدر ما نرى أنفسنا مسئولين عن خلاص الآخرين، أو كيف نرتاح في أنفسنا وإخوتنا لا راحة لهم.

أكتب إليكم عن سرٍّ مَخْفَي من أسرار المسيح فات علينا أن نتعمَّقه ونعيشه، وهو سر جثسيماني، سر الصلاة التألمية التي أسَّسها المسيح لتكون الخلفية الحيَّة لحَمْل الصليب؛ إذ لا يمكن أن يكون هناك صليب بدون جثسيماني. فكل مَن ارتضى أن يكون تلميذاً للمخلّص ووضع في قلبه أن يحمل الصليب، فعليه أولاً أن يقتني "جثسيماني"، ليُمارس صلاة العَرَق الذي يتصبَّب كقطرات دم، ليكون على مستوى الصليب.

كلنا، أيها الإخوة، ذُقنا صلاة التوبة بدموعها الحارقة، وارتوينا من صلاة المزامير حتى الشبع، ومنا مَن اختبر صلاة المناجاة توسُّلاً أو تشفُّعاً أو حباً خالصاً؛ بل ومنا مَن تكرَّم بأن أُنعِمَ عليه بصلاة الرثاء، صلاة إرميا النبي عن قتلى الشعب (الخطاة)، والقليل جداً مَن وُهِب دموع راحيل (الكنيسة) وبكاءها المُرّ على أولادها الذين أُخذوا من حضنها وماتوا بعيداً عنها (المرتدِّين). ولكن بقيت صلاة لم ينفتح سرُّها بعد أمام قلوبنا، صلاة جثسيماني، بأعماقها وأحزانها. فلقد أبقاها المسيح للنهاية لتكون جزءاً لا يتجزَّأ من الصليب، ابتدأها يسوع لما دَنَت الساعة، لما أكملوا المشورة عليه واتفقوا على الثمن وقبض الخائن وتحرَّك الشامتون والحاقدون، فدخل المسيح جثسيماني ليسكب نفسه في جهاد الصلاة ليواجه الصليب والصالبين.

دخل يسوع جثسيماني، وأبقى الثمانية عند الباب وأوصاهم بالسهر والصلاة لأن التجربة عليهم بالمرصاد، ثم أخذ الأخصاء الثلاثة: بطرس ويعقوب ويوحنا، ليشهدوا ويُسجِّلوا أروع مواقف الرب وأعمق آلامه: «وابتدأ يحزن ويكتئب»، وكأنه يدخل

الصليب مُسْبقاً ويغرس المسامير في جسده بيديه! عجيبٌ هذا المخلِّص الذي يُعلِّمنا كيف ندخل الموت طواعية بالصلاة النازفة!! «نفسي حزينة جداً حتى الموت»، «وإذ كان في جهاد كان يُصلِّي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض!»

لقد دخل المسيح في صلاة جثسيماني كما يدخل الإنسانُ المعصرةَ، وقد شاهد التلاميذ الأخصاء كيف انعصرتْ بالفعل نفسه وصار عرقه ممزوجاً بالدم يتقطَّر على الأرض! ولثلاث مرات، تماماً كالتجربة على الجبل، واجه الرب هذه التجربة أيضاً في صراعٍ مرّ وجثو الرُّكب حتى التراب، وفي كل مرة يقوم ليوصي تلاميذه بالسهر ليستلموا سر الفداء بكل ما فيه من أوجاع وعناء! ولكنه في كل مرة كان يجدهم نياماً.

لهفي على بطرس النائم، والمعلِّم أمام عينيه يجوز غُصة الموت، والمشورات قد وُضعت من بعيد، والخطط أُحكِمَت على التنفيذ، والمال دُفِع، والشهادة أُعِدَّت والشهود، والقتل حلَّلوه بالقوانين والبنود، وتبارَى القاتلون وكأنهم يُقدِّمون خدمة لله!!

«لأنه إن كانوا بالعُود الرَّطْب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس؟» وكلنا يابسون، فهل نقوى على التجربة ونحن نائمون؟ أيمكن أن نحتمل يوم الصليب وعنف الصالبين ونحن لم ندخل جثسيماني، ولا سهرنا في جهاد الصلاة ولا «ساعة واحدة»؟

يا أحبائي، انتبهوا، لقد أسَّس المسيح لنا في "جثسيماني" مدينة ملجأ بـ "صلاة المعصرة"، بصلاة الصراع على مستوى الموت لغلبة الموت! اسمعوا القول: «نفسي حزينة جداً حتى الموت». لقد دخل المسيح بالصلاة الحزينة إلى عمق الصليب، وبالعناء و"الصراخ الشديد والدموع" حوَّل العرق المتصبِّب إلى قطرات دم تتساقط!!

إن الصلاة في جثسيماني هي سر النصرة على التهديد بالموت، إذ كيف يخشى الموت مَن بلغ الموت بصلاته، أو كيف يهاب نزيف الموت على الصليب مَن بلغ بأحزانه نزيف الدم في قيامه وسجداته؟

ولكن نحن لا ندخل جثسيماني من أجل أنفسنا، وهل كان المسيح يجاهد بالعرق والدموع من أجل نفسه؟ إن الشركة في آلام الرب وأحزانه في جثسيماني حتى القبر عبوراً بكل حوادث الصليب هي أفخر ميراث للذين حملوا همَّ خلاص الشعب، وثقَّلوا أنفسهم بعصير الخطاة من أجل المظلومين والمذلِّين والمطروحين خارج السياجات، هؤلاء الذين قبلوا شرف تكميل آلام الرب في أجسادهم وفي نفوسهم من أجل الكنيسة.

لهؤلاء أسَّس الرب منهج جثسيماني في الصلاة، صلاة معصرة النفس بأحزان وصراخ شديد ودموع، لكي يكون لهم فرصة أن يُسمع لهم من أجل تقواهم، ويقضي لهم قضاءهم، ويُخلِّص بذراعه كل مَن يسهرون ويتشفَّعون من أجل خلاصهم!

ولكن أين نحن من جثسيماني؟ وأين جثسيماني من صلاتنا؟ يا ويل الكنيسة التي ليس لها جثسيماني! يا ويل الراعي الذي لم يدخل بابها! لذلك فالمفقودون لن يُعدّوا من الكثرة، ولن يوجد مَن يذرف عليهم دمعة!! والباقون ليس مَن يسهر على حراستهم في أهوال هذا الليل الطويل المظلم. وما فات هيِّن، والقادم أظلم!

إن الأيام تجري، والأرجل مسرعة، والأمر يحتاج إلى معجزة فائقة، والمعجزات واردة بالإيمان، ولكنها تحتاج إلى عمل فائق، جثسيماني لا غير!!

فالنجاة قريبة وهي بروح الله: «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود». ولكن أنَّى لنا بروح الله ونحن لم نتعلم الصلاة، صلاة الصراخ ليل نهار كشرط الرب، لقد أعطانا الرب في جثسيماني نوعاً خاصاً فريداً لصلاة "الضيقة العظمى"، صلاة "الحصار"، والصالبون على الباب. ولكن السؤال الصعب: مِن أين لنا أن نجاهد في صلاة "المعصرة"، حيث يمتزج العرق بالدم عن نفوس نحن لا نحس بقيمة موتها أو حياتها؟؟؟ لا يقلقنا خلاصها أو هلاكها؟؟

يا إخوة، لا يحس بقيمة خلاص النفس البشرية ولا ينزعج لهلاكها إلاَّ مَن له روح المسيح، والذي ليس له روح المسيح فالمسيح ليس له.

فإما جثسيماني وإما الهروب في ساعة التجربة، فلنحذر لأن ليس للوضع بديل.

يا إخوة، قد تُفرِّقنا في أيام السلام المعارف والنظريات،

وقد تُفرِّقنا في أيام العمل عظمة الرئاسات والمسئوليات،

وقد تُفرِّقنا في أيام الغنائم الأحقاد والمخاصمات،

ولكن، ماذا في أيام المحن والضيقات؟ ماذا وشبح الصليب قد ألقى ظلَّه على الأُفق البعيد؟ فإذا لم تجمعنا جثسيماني، ماذا سيجمعنا إلاَّ منجل الحصاد!

وإن كنا قد أخفقنا في أيام سلامنا في كل شيء، فلا ينبغي أبداً في أيام ضيقنا أن نخفق على باب النجاة!! لو أمكن لنا بشيء من البصيرة أن نتصوَّر الخسارة قبل حدوثها لأَخَذَنا الدوار وداهمتنا الرعبة، ولكن لو انتبهنا إلى المطلوب عمله لبلوغ النجاة لأذهلتنا قيمته المبسَّطة والمقسَّطة، فجثسيماني حصننا في يوم الصليب!

ولكن ينبغي أن نلتفت إلى أن جثسيماني لا تعفينا من الآلام، ولا تؤمِّنا ضد الصليب، ولا تلغي القبر؛ فالمسيح صلَّى في جثسيماني وصُلِب ومات وقُبِر، ولكنه قام.

الخطر كل الخطر أن تأتي الساعة ونحن لم نقتنِ صلاة المسيح في جثسيماني، لأننا حتماً سنكِلُّ ونخور ولن نضبط قوة على صبر أو احتمال: «فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تَكِلُّوا وتخوروا في نفوسكم. لم تقاوموا بعد حتى الدم (بالصلاة).»

إذن، فنحن مُطالبون إزاء كل مقاومة أن ندخل بستان معصرتنا ونقاوِم مع الله في الصلاة حتى الدم.

هذا هو منهج الصليب الذي رسمه الرب بدمه في جثسيماني!! وهو أصلح ما يكون لنا في هذه الأيام.

الجمعة الكبيرة




الساعة الأولى من ليلة الجمعة الكبيرة

يو١٣: ٢٣- الخ، ١٤: ١- ٢٥ + ١٤: ٢٦- الخ، ١٥: ١- ٢٠ + ١٥: ٢٦- الخ، ١٦: ١- ٣٢ + ١٧: ١- الخ

[١] تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، [٢] إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. [٣] وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. [٤] أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. [٥] وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. [٦] «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ. [٧] وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، [٨] لأَنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. [٩] مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لأَنَّهُمْ لَكَ. [١٠] وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ. [١١] وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ. [١٢] حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ابْنُ الْهَلاَكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ. [١٣] أَمَّا الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ. وَأَتَكَلَّمُ بِهذَا فِي الْعَالَمِ لِيَكُونَ لَهُمْ فَرَحِي كَامِلاً فِيهِمْ. [١٤] أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كَلاَمَكَ، وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. [١٥] لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ. [١٦] لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. [١٧] قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق. [١٨] كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، [١٩] وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ. [٢٠] «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، [٢١] لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. [٢٢] وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. [٢٣] أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. [٢٤] أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. [٢٥] أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. [٢٦] وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ».

الحياة الأبدية هي معرفة الآب والابن

المسيح هنا يقرر في صلاته الأخيرة أن معرفة الآب والابن هي حقيقة الحياة الأبدية، والإيمان بالآب والابن هو الطريق الصاعد الذي يؤهّل إنسان الله للدخول إلى الحياة الأبدية. هذا هو ملخص الإنجيل كله. ومعرفة الآب والابن تكون بانفتاح الذهن. وانفتاح الذهن رأس مال الإنسان المسيحي التقي، وهو يتم بنور كلمة الإنجيل وباستضاءة روح الله القدوس. والمعرفة الحقيقية للآب والابن قائمة في جوهر المحبة، "عرّفتُهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم"، آية استعلان حيٍّ، قالها المسيح كآخر ما كشفه من سرّ الحب وسرّ المعرفة!!!

فالمعرفة والحب توأم الله. الأولى تقود للثانية، والثانية تقود إلى الأولى، والاثنان ميراث سماوي ورثناه من فم المسيح ومن روحه القدوس.

واضحٌ هنا أن معرفة اسم الآب فكٌّ لغز الإيمان، ومعرفة اسم المسيح هو الذي فتح باب الطريق والحق والحياة، والاثنان أصبحا ميراث الإنسان بفضل الله. فمن ذا الذي يعرف المسيح ولا يحبه؟ بل ومن يعرف اسم الآب ولا يكون قد بلغ المنتهى في حب الآب والابن.

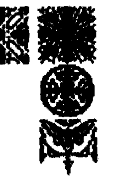
نحن عشّاق حب الآب والابن، ولا نملك من الدنيا إلاّ هذا العشق. فالدنيا ستزول، ويزول بزوالها كل من عَشِقَ الدنيا وأضاع حياته لها. أما نحن فقد جحدنا الدنيا وعشقنا الآب والابن، عشقاً صامتاً يغلي في صدورنا، كتمناه عن العالم إلى أن يكشفه الآب والابن في السماء. ولكي يثق السامع فيما نقول، فليمعن النظر ويفتح عيني قلبه، ويقرأ ما قاله يسوع بنفسه: "سأُعرِّفهم اسمك ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم". هنا يذيع المسيح سراً من أسراره الخفية حينما يقول: "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم". لأنه يستحيل أن يوجد حب

الآب ولا يوجد المسيح. فوجود حب الآب يفيد وجوده هـو، أي وجـود الآب، ووجود الآب يستحيل أن يتم بغير وجود المسيح.

ولاحظ أن المعرفة هنا ليست معرفة عقل وفهم، ولكن استعلان حقيقي لجوهر الآب والابن المتعالي عن كل معرفة، لأن معرفة الاستعلان تكون نتيجة شركة واختبار روحي خالص. فالاستعلان معرفة عملية واقعية، حيث تكون هنا معرفة اللاهوت، أي الآب والابن، شركة حقيقية عالية القدر تغوص إلى أعماق الوجود الإلهي. أو بطريقة أخرى، نقول أن الاستعلان هو واقع الوجود البشري في الوجود الإلهي، حيث هنا يدخل المحدود في اللامحدود لينفرش عليه غير المحدود ويغطِّيه قياساً بقياس، والقياس هنا إلهي حيث يكاد يُبتَلَع المحدود البشري في اللامحدود الإلهي فيتّسع مجال المعرفة عند الإنسان الموهوب حتى يتطابق البشري على الإلهي تنازلاً من الله أقصى التنازل.

وهذا هو التفسير الوحيد لقول المسيح:«أنا فيهم وأنت فيَّ لنصير إلى واحد». فهنا تفوق هذه المقولة قدرة الإنسان على المتابعة، ولكن ما حيلتنا فهي واقع إلهي في ذاته ونحن لا نزال بشر تحت المحدود الزمني والمكاني. فنحن في أشد الحاجة إلى من يرفعنا من مستوى المحدود إلى مستوى غير المحدود، وهذه قدرة إلهية نقترب إليها بالإيمان ونظلّ بعيداً عن الواقع إلى أن يرفعنا الله.

ونحن نقف إزاء هذا السرّ الإلهي مشدوهين، ولولا أننا سمعنا عن معجزات المسيح كيف يقيم الموتى من القبور، أي يرفع الجثة التي عفَّنها الموت إلى مستوى الحياة، فليس كثيراً عليه أن يرفعنا من مستوى البشري إلى مستوى الإلهي، فنصير في شركة سرِّية، البشري في الإلهي. إلى هذا الحد نستطيع أن ندرك كيف سيرفعنا الله إلى مستوى الشركة في الحياة الأبدية، لكي ننعم بما لم نحلم به ونفتخر على العالمين.

الساعة الثالثة من ليلة الجمعة الكبيرة

مت٢٦: ٢٠- ٢٥ + مر١٤: ٢٦- ٣١ + لو٢٢: ٣١- ٣٩ + يو١٨: ١، ٢

[٣١] وَقَالَ الرَّبُّ: «سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! [٣٢] وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ». [٣٣] فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ، إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ!». [٣٤] فَقَالَ: «أَقُولُ لَكَ يَا بُطْرُسُ: لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُنْكِرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي». [٣٥] ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقَالُوا: «لاَ». [٣٦] فَقَالَ لَهُمْ: «لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا. [٣٧] لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضًا هذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ. لأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ انْقِضَاءٌ». [٣٨] فَقَالُوا: «يَا رَبُّ، هُوَ ذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!». [٣٩] وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلاَمِيذُهُ.



سمعان سمعان هوذا الشيطان قد سأل أن يغربلكم

اعلموا أن كل ما يعمله الله إنما يعمله بحكمة ليؤول كل شيء إلى خلاصكم، لتكونوا قريبين منه الآن وكل حين، وهناك تكونون معه إلى الأبد.

أرجو أن أنبِّه ذهنكم أن الله يُسخِّر السنين لخدمة أولاده، وبكل أناة يتابع الله حياة كل ابن له منذ البطن حتَّى آخر نسمة، ليجعل كل الظروف والحوادث تَخضع معاً لبناء نفسه حسب مواصفات وَضَعها الآب السمائي.

لذلك ليتنا ننتبه ليد الله التي تصيغ من الحوادث والظروف فرصاً لتجديد ذهننا، فكل يوم يَحمل لنا دعوة للاقتراب من الرب، والليل يُذكِّرنا بنقص النهار أي بعجزنا في تلبية كل مطالب نعمته، والنهار يعرض أمامنا فرصاً جديدة لنتبعه بكل قلبنا، وتوالِي الليل والنهار مع صوت الله كفيل أن يكمل توبتنا لو نحن قبلنا تأنيب الضمير في الحين بعمل شجاع جريء يرضى قلب الله.

الإنجيل كله معروض أمامنا بمئات من الوصايا النورانية، وكل وصية كفيلة بمفردها لو نفَّذها الإنسان بدقَّة وإخلاص أن يدخل بواسطتها في سرّ النعمة الإلَهية التي تقوده وتفتح له باب قلب الله ليمتلئ بحبه بلا شبع، حيث لا شيء في الوجود يَمنعه بعد ذلك من الوجود في حضرة الله وسلامه.

كل الذين دخلوا في مغامرة الإيمان ربحوا الحياة الأبدية بسخاء ومَجد عظيم، والإيمان لا يتزكَّى إلاّ بالتجربة والاختبار والحرمان الإرادي. الإنجيل ليس فيه أي عزاء لإنسان يشتهي أن يَحيا في تَمتُّع الدنيا، والله نفسه يبدو للذين يعيشون حسب مطالب الجسد، حسب قياس فكر الإنسان الطبيعي، كأنه بلا لزوم، أو يبدو لزومه متعلِّقاً فقط بأن يزيد من خيْرات الدنيا أو يُحافظ عليها.

الذين دخلوا في عهد الله؛ أي الصليب؛ استهانوا بالحياة على الأرض جُملةً واحدة، وبالتالي استهانوا بالأكل والشرب واللبس والراحة والمال والكرامة والعزاء البشرى ومطالب العاطفة والآمال المسنودة على السنين والرجاء المتوقِّف على ذراع البشر. وعوض ذلك يأخذون ما هو أعظَم وما هو أهَمّ جداً وما هو حق وليس فيه غشّ أو خداع أو زوال أو موت، يأخذون اسم الله الحي، الذي به يعيشون ويتكرَّمون ويتعزّون، وعليه يسندون إيمانهم، وبه يترجّون وينالون حتماً كل ما يترجّونه.

الذين قبلوا أن يكون صليب المسيح هو صليبهم لا يعودون يَخافون شيئاً في هذا العالَم، لا فقر ولا مرض ولا عداوة إنسان ولا ظلم بشر، ولا قلة أيام ولا موتاً مفاجئ، ولا حوادث تبدو مزعجة أو أخبار تبدو معاكسة، لأن كل شيء يذوب ذوباناً في صليب المسيح ويتحوَّل إلى قيامة ومَجد أبدى.

الذي ارتضَى أن يُكمِّل وصية المسيح الأولَى والعظمَى، ثم يَحمل صليبه ويتبعه، عليه أن يفتِّش باهْتمام شديد في كل خطوة يَخطوها، حتَّى لا يبتعد قط عن المسيح وإياه مصلوباً، لئلا يَحمل الصليب عبثاً إن هو سار حسب مشيئته ولَم يتبع المسيح تَماماً.

ولكي نتبع المسيح تَماماً يلزم أن يكون العالَم خلفنا على الدوام وصورة الصليب لا تفارق قلبنا وشوك العالَم يُكلِّل رأسنا.

دعوة المسيح سرِّية لا يلتقطها القلب المشغول بآخر، أمَّا منتظرو الرب فيسمعون هَمْس صوته من بعيد ويفرحون، لأنه حينما يتكلَّم المسيح مع الإنسان تبتهج روحه، بل وحتَّى عظامه تفرح.

الإله القادر على كل شيء، الذي أحبنا بإخلاص وبشهادة الصليب، يَملأ قلوبكم بِمحبته، لتعرفوا دعوتكم واختياركم، وتفرزوا صوته من وسط أصوات كثيرة، فتتبعوه كلٌّ حسب قدرته.




الساعة السادسة من ليلة الجمعة الكبيرة

مت٢٦: ٣٦- ٤٦ + مر١٤: ٣٢- ٤٢ + لو٢٢: ٤٠- ٤٦ + يو١٨: ٣- ٩

[٣٢] وَجَاءُوا إِلَى ضَيْعَةٍ اسْمُهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أُصَلِّيَ». [٣٣] ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ. [٣٤] فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! اُمْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا». [٣٥] ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. [٣٦] وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ». [٣٧] ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ، أَنْتَ نَائِمٌ! أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ [٣٨] اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». [٣٩] وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى قَائِلاً ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ. [٤٠] ثُمَّ رَجَعَ وَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذَا يُجِيبُونَهُ. [٤١] ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! يَكْفِي! قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ! هُوَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. [٤٢] قُومُوا لِنَذْهَبَ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ!».



جثسيماني

إن أعنف صلاة سُمع بها لدى كل البشر لا تبلغ عنف صلاة جثسيماني.

والكل يندهش ويتعجَّب، والبعض يشك ويسأل ويتعثَّر: هل من هدوء العشاء الأخير تخرج هذه الصلاة التي تبعتها فوراً؟ هل تعبيرات المحبة والسلام: «إذ كان قد أحبَّ خاصته الذين في العالم، أحبَّهم إلى المنتهى» التي قالها المسيح وهو جالس على العشاء، أو هل تعبيرات الألفة والحب المنقطع النظير لتلاميذه في جلسة العشاء الحبي: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم»، تأتي بعدها صلاة جثسيماني بدموع وعرق يتقطَّر كالدم، ووجه مسبَّخ على التراب «بصراخ شديد ودموع»؟ كيف ولماذا؟ هل هو خوف من الموت؟ وهل كان المسيح لاهياً عنه كل أيام حياته السابقة مع أنه ذكره مراراً وتكراراً؟ ثم فجأة لمَّا قربت ساعة الموت ارتعب، أهذا يكون المخلِّص؟ إنه حتماً إذا لم يكن لهذا الفزع المرعب – «نفسي حزينة جداً حتى الموت» – مبرِّر، فجثسيماني كلها ليس لها مبرِّر!!

محور هذه الصلاة الحزينة الكئيبة الضاغطة على النفس في جثسيماني كان شيئاً واحداً: هو الكأس! هذا هو الذي أفزعه وأحسَّ أنه غير قادر على شربه حتى ولو كان بيد الآب!! طلب ثلاث مرات أن يجوز عنه هذا الكأس، وكان طلبه مشفوعاً بدموع وتوسلات ونفس حزينة حتى الموت. ولكن هل كان هذا خوفاً من الموت؟ إطلاقاً! فلماذا إذن أخلى ذاته وأخذ شكل العبد؟ ولماذا أطاع حتى الصليب إن كان يفزع من الموت، ويقدِّم دموعاً كالدم ليُعفى منه؟ ولماذا وهو يكرِّر في كل المناسبات أن ابن الإنسان سوف يُقتل؟ فإن كان والأمر كذلك – أي أنه يخاف من الموت – فلماذا لم يستعفِ من البدء وكفانا هذه الفضيحة!؟

أمَّا سر فزعه فرهيب! ففي الكأس مذاب كل خطايا الناس من: زنا وقتل وتجديف ونجاسة وفجور، أشياء تُكتب وأشياء لا تُكتب محفوظة في سجلات جهنم. هذه كلها ظهرت مرَّة واحدة أنه يتحتَّم أن يقبلها المسيح الابن ويشربها حتى الثمالة، ويقف أمام الله أبيه مفضوحاً، ليس مَنْ يستر عورته أو يرد عنه خجله. ثم أن يموت على هذه الحال مرفوعاً على خشبة العار كمجدِّف على الآب. ثم أن يُحكم عليه بمقتضاها فلا يستعفي ولا يبرِّئ نفسه ولا يحتج على محكمة ولا على قاضٍ، ويقف صامتاً تماماً لا يجيب حتى تخرج عليه القضية كما خُطِّط فيها ويُجرّ إلى الصليب كنعجة تحت يد الذي يجزّها ليتحمَّل الضربات القاسية كمَنْ يستحقها، لا يقول كفى ولا يستعفي من آلامها! ويُسحب إلى الصليب ويُصلب، وهو لا يفتح فاه إلاَّ بقوله قد أُكمل!!

هذه هي الكأس، هذه هي التي كسرت نفسه قبل أن ينكسر الجسد على الصليب، وأحزنته حزن الموت أعمق من الموت الذي ماته على الصليب ألف مرَّة!

أمَّا السؤال: لماذا تستقر في جسده كل هذه الخطايا؟ فالجواب: لأنه جاء خصيصاً ليرفعها عن الإنسان، فأخذها في جسده البشري ليموت بها مع الإنسان ليلغيها بقوة قيامته وقدوسيته.

أمَّا السؤال: ما العلاقة بين هذه الخطايا وموت المسيح؟ الإجابة: لولا أنه ثبت عليه أنه خاطئ ما كان قد صدر ضدَّه حكم الرومان بناءً على طلب اليهود. ثم لولا أنه معتبر أنه خاطئ ما أمكن أن يجوز فيه روحياً حكم الموت! فهو حمل الخطايا ليستطيع أن يموت، وهذا حكم أزلي من أحكام الله: «مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي». ولو لم يحمل المسيح خطايا البشرية ما أمكن أن يجوز فيه حكم الموت أو يسلِّم روحه بأي حال من الأحوال. وبآن واحد، لولا أنه الابن الوحيد ما قام من مثل هذا الموت أبداً.

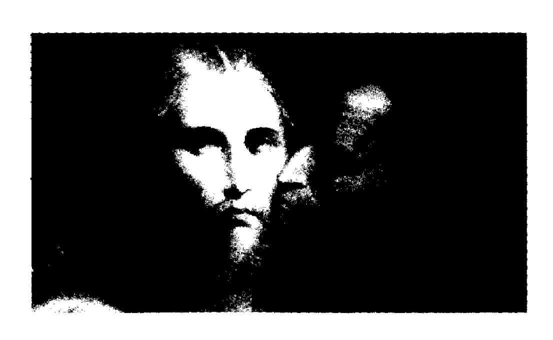




الساعة التاسعة من ليلة الجمعة الكبيرة

+مت٢٦: ٤٧- ٥٨ +مر١٤: ٤٣- ٥٤ +لو٢٢: ٤٧- ٥٥ +يو١٨: ١٠- ١٤

[٤٧] وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. [٤٨] وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً: «الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ». [٤٩] فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. [٥٠] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟» حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. [٥١] وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ. [٥٢] فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! [٥٣] أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ [٥٤] فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟». [٥٥] فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي. [٥٦] وَأَمَّا هذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ». حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا. [٥٧] وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ. [٥٨] وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ.



كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصيّ

لقد اندهش يسوع لَمّا رأى القادمين للقبض عليه رافعين سيوفاً مع عصى! لقد استدرجوا يسوع لِمعركة بسيوف وعصى بعد أن عجزوا نِهائياً أن يستدرجوه بالمُحاجاة واصطياد الكلام! ولكن الرب لا يُحارب الناس!!

الدنيا تستدرجنا أن ندخل المعركة على نفس القياس، ولكن نحن لا نحارب الدنيا. نحن في معركة الدنيا في صميمها، ولكننا لا نحارب أحداً. لقد بلغنا نِهاية ما تريده الدنيا فينا، لقد متنا! ووضعنا في أنفسنا حُكم الموت نِهائياً!!

السيوف أسلحة جُعلَت للهاربين من الموت أو من الحق أو للذين يشتهون الدنيا أو يخافون منها، أمّا المائتون فالسيف فيهم لا يعمل ولا يجوز!! والذين يعيشون للحق تتكسَّر عليهم سيوف الدنيا وتنقصم سنانُها وتتلف مقابضها وتنْهَدّ السواعد التِي تُحرِّكها، والذين هم للحق هم كما هم، لأن الحق الذي وجدوه لا ينثنِي ولا ينكسر، وقوَّة الإيمان تُذيب سلطان الإنسان.

نحن لا نشعر قط أننا نحارب أحداً ولا أحد يحاربنا، لأننا صرنا نحيا مائتين عن الدنيا، وبالتالِي عن سلطان الناس! والذي يعيش تحت سلطان الحق لا ينظر أعمال الناس ولا يدينها؛ إنما هو يشفق على حاملي السيوف والعصي، ويرى أنَّهم يتلفون بِها قلوبَهم ويلوِّثون بِها أيديهم، لأنه تأتِي ساعة يعرف فيها حامل السيف والضارب به أنه أتلف لا نفسه فقط بل والكنيسة أيضاً. ويا للحسرة ويا لألَم الضمير حينما يكتشف الإنسان أنه بسلاح الحق نفسه اضطهد القديسين وأذلّ أولاد الله، وبكفّ القانون المُحتَرَم كان يلطم وجه الرب مراراً، دفاعاً عن كرامته أو كرامة آخر، كما حدث في مُحاكمة الرب!!

نحن لا نُخفِي وجوهنا من اللهيب ولا نفزع، لقد جعلنا وجهنا كالصوّان وعرَّضناه للبصاق واللطم، لا لأننا شُجعان فالشجاعة قساوة على صورة ما، ولكن لأننا لَم نعُد بعد نعيش على صعيد الناس. لقد جَمدت عيوننا في مآقيها فلم تعُد

تتحرَّك بالبكاء على ما يكون ولا ترى رُعباً فيما يرون، لقد شخصت أبصارنا إلى المذبوح على الصليب، فثبَّتنا وجهنا إليه ولا نريد أن ننحصر حتَّى نبلغه.

كل ما كُنّا نبكي عليه أو منه صار لنا وسيلة لبلوغ أمانينا، ونحن لا نريد أن نرتدّ عن الدنيا حتَّى نغلبها بِحبنا ولا نشتهي منها إلاّ أن تصلبنا.

كُنّا نتضايق جداً فيما سبق من الضيقات، ولَم نكن ندرى أن النعمة كانت هى التِي تدفعنا إلى ذلك، فكُنّا نرى-خطأ- أن مُهاجَمات بعض الناس لنا تتلف أنفسنا أو تتلف سعينا أو تعوق سيْرنا، فكُنّا نخرج عن صوابنا وكُنّا ننظرهم أعداءً لنا مُمعنين في العداوة، فكانت الضربات تتَّخذ في بدايتها عنفاً وشدَّة يطيحان بالتفكير الرزين المتَّزن، فنقعد زمناً في حالة غَيْر مُثمرة روحياً، جانحين إلى الشكّ الْمخيف من الناس ومن أنفسنا ومن هول الطريق، وكان هذا غاية ما يتمنّاه عدونا المنظور وغَيْر المنظور. ولكن كانت النعمة ساهرة علينا كما يسهر الطبيب على مريض برَّح به الميكروب العنيد، وكان العلاج الذي قدَّمه لنا الله آخر ما قدَّم لنا هو أن دفعنا إلى ضيقة أشدّ!! فتَركنا نتضايق إلى أقصى ما يُمكن أن تكون الضيقة إلى الحد الذي بعده لا تُسَمَّى ضيقة بل موتاً!! إلى أن انكشف الوعي الإلَهي فينا أخيراً وفى لَمحة الروح خطة العدو التِي كانت كامنة في أعماقنا والتِي من أجلها تركنا الرب نتضايق كثيراً، إذ اكتشفنا على ضوء التجربة وبِمعونة نور الله ما كان مدفوناً فينا من بغضة وغضب وحقد وعداوة، وتَحقَّقنا على نور عدل الله أن هذه البلوى متعادلة تَماماً مع ما فينا، ككميتَيْن متعادلتَيْن، وكلا الكميتَيْن يتساوى مع الموت الأبدي وهلاك الروح، فكانت لَحظة الاكتشاف لَحظة الرعب إذ تَحقَّقنا أننا ضائعون ورأينا الموت والهاوية، وفى رُعبنا استيقظ الإيمان فجأة، فصرخنا من كل كياننا، فكان لطف الله وكان العبور.

الساعة الحادية عشر من ليلة الجمعة الكبيرة

+ مت٢٦: ٥٩- الخ + مر١٤: ٥٥- الخ + لو٢٢: ٥٦- ٦٥ + يو١٨: ١٥- ٢٧

٥٩وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، ٦٠فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودُ زُورٍ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلكِنْ أَخِيرًا تَقَدَّمَ شَاهِدَا زُورٍ ٦١وَقَالاَ: «هذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللهِ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيهِ». ٦٢فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هذَانِ عَلَيْكَ؟» ٦٣وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» ٦٤قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». ٦٥فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً: «قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! ٦٦مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ». ٦٧حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ ٦٨قَائِلِينَ: «تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟». ٦٩أَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ!». ٧٠فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلاً: «لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ!» ٧١ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدِّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» ٧٢فَأَنْكَرَ أَيْضًا بِقَسَمٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» ٧٣وَبَعْدَ قَلِيل جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبُطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ!» ٧٤فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ. ٧٥فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا.

آلام الإنسان شركة في آلام المسيح

لقد قلب المسيح الحال من جهة آلام الإنسان وشدائده وأوجاعه، فبعد أن كانت تُحسب ثمناً لخطاياه ونصرة للعدو الذي كان يفتخر بإذلال الإنسان باعتباره حاملاً صورة الله، فكانت نقمته موجهة ضد الله فينا؛ قَلَبَ المسيح موازين العدو، فرفع من قدر الإنسان إذ حوّل آلامه إلى شركة في آلام المسيح، فصارت وسيلة لقبول نعمة المسيح بدل قبول نقمة الشيطان.

وهكذا أصبحت آلامنا وشدائدنا ليست محسوبة ضدنا بل محسوبة لنا كنصرة برغم أنف العدو. فالذي يتألم وهو مؤمن بالمسيح اعتُبرت آلامه حسب الكتاب موهبة أي عطية من عند الله تهيّئ الإنسان أن يكون شريكاً في آلام المسيح، فيُحسب بالتالي مستحقاً لرضا الله ومكملاً لخطة خلاص يسوع المسيح، إذ تكون الشركة في آلام المسيح هي بمثابة شهادة إيمان وعلّة لانسكاب نعمة الله.

وهكذا اعتُبرت الشركة في آلام المسيح في هذا العالم الشرير نصرة على العدو ووسيلة لقلب موازينه، فمن يضطهده الشرير ويسكب غضبه عليه يُحسب لهذا الإنسان أنه أكمل الجهاد وحاز على رضا الله ومسرة المسيح.

وعلى أساس فلسفة الآلام هذه اعتبر بولس الرسول أن الآلام هي نصيبنا الفاخر وكأننا موضوعين لها، أي أن الآلام أصبحت نصيبنا الفاخر وشهادة ضد العدو تؤهلنا لنكون من مختاري الله المحبوبين.

فالقديسون محسوبون أهم صورة لغلبة هذا العالم بسبب الآلام التي تكبدوها من بغضة العدو، تماماً كما حُسب صليب المسيح غلبة ضد العالم والعدو.

لذلك كان من افتخارنا حقاً أن نتلقّى ضربات العدو كمنتصرين وغالبين، وهذا

الأسلوب هو أسلوب الصليب، فصالبو المسيح كانوا واضعي أكاليل مجد على الجسد وهم لا يدرون.

لذلك أصبح أكليل خلاصنا النازل علينا من فوق لا يستريح على أجساد مرفّهة نالت من العالم أمجاداً كاذبة، بل يستريح على أشخاص ذاقوا مرارة الضيق والآلام والاضطهاد وتركت ضربات العدو علامات محفورة في أجسادهم.

كذلك أصبح تاريخ تعاذيب المؤمنين بالمسيح على أيدي الجلادين وأنياب الوحوش تاريخ أمجاد مزيّن على صليب المسيح، وكأنهم قد صُلبوا حقاً مع المسيح وأصبحوا أصحاب الميراث الذي لا يفنى ولا يضمحل محفوظ لهم في السموات، وموضع اندهاش الملائكة وتعجّب السمائيين جميعا، لأنهم جُعلوا في الصفوف الأولى أمام عرش الله وأصبحت ترنيماتهم موضع مسرة الله والحمل.

لذلك أصبح من غير اللائق بعد اليوم أن نتأفف من الآلام أو نتهرب من مضايقة العدو والناس، لأن نصيب فخرنا في هذا الدهر هي آلامنا التي نتكبدها فرحين إذ نُحسب من المختارين الذين جُعلوا هدفاً للعدو، لأنه إن كان المسيح هو حبيبنا الذي نتألم لأجله، فالشيطان عدونا اللدود الذي ينتقم من المسيح الذي فينا.

والآن أيها الإخوة لم تَعُدْ آلامنا من أجل الإيمان بالمسيح ثقيلة علينا، فبعد أن عرفنا كيف يكلّل المؤمن المتألم من أجل المسيح، لم نعد نستثقل حمل الصليب والمناداة بالخلاص بأعلى صوتنا في كل أركان الأرض، أو بالحري في محيط حياتنا بين الإخوة والأحباء غير خائفين ولا هيّابين البتة، فالآلام والاضطهاد بكل أنواعه صار باباً مفتوحاً لحصولنا على مكاسب عُليا لا يحلم بها نبي.






باكر يوم الجمعة الكبيرة

+مت٢٧: ١- ١٤ + مر١٥: ١- ٥ + لو٢٢: ٦٦- ٢٣: ١٢ + يو١٨: ٢٨- ٤٠

٢٨ثُمَّ جَاءُوا بِيَسُوعَ مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ، وَكَانَ صُبْحٌ. وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ لِكَيْ لاَ يَتَنَجَّسُوا، فَيَأْكُلُونَ الْفِصْحَ. ٢٩فَخَرَجَ بِيلاَطُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «أَيَّةَ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَى هذَا الإِنْسَانِ؟» ٣٠أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرّ لَمَا كُنَّا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ!» ٣١فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا». ٣٢لِيَتِمَّ قَوْلُ يَسُوعَ الَّذِي قَالَهُ مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ. ٣٣ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أَيْضًا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» ٣٤أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هذَا، أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» ٣٥أَجَابَهُ بِيلاَطُسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أُمَّتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟» ٣٦أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». ٣٧فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذًا مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». ٣٨قَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟». وَلَمَّا قَالَ هذَا خَرَجَ أَيْضًا إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً. ٣٩وَلَكُمْ عَادَةٌ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ وَاحِدًا فِي الْفِصْحِ. أَفَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟». ٤٠فَصَرَخُوا أَيْضًا جَمِيعُهُمْ قَائِلِينَ: «لَيْسَ هذَا بَلْ بَارَابَاسَ!». وَكَانَ بَارَابَاسُ لِصًّا.

مملكتي ليست من هذا العالم

الذين قبلوا المسيح رباً وإلهاً، أصبحوا ليسوا من العالم، بل ويبغضهم العالم. لماذا؟ واضحٌ جداً أن العالم وُضِع في يد الشرير، فالذي يحب العالم يحبه العالم، ويصبح لعبة في يد الشيطان، لأنه يطيعه في كل مشوراته. فالعالم لا يحتمل اسم المسيح لأنه يبكتــه. فمن أجل اسم المسيح يضطهد العالم الذين للمسيح. وقد اضطهد العالمُ ورئيسُهُ المسيحَ، اضطهاداً قادهم إلى صلبه، وأصبح الشيطان يعرف كيف يكيل للمسيح الضربات فيمن قَبلوا المسيح وآمنوا به. وهكذا اتَّسَمَ العالم بعداوة المسيحيين واضطهادهم مــن أجــل الاسم. والمسيح هنا يسبق ويوعِّي الذين له، أن يكونوا عارفين بما يكنّه العالم لهــم، حتى لا ينساقوا وراء الذين يعيشون في العالم وهم مأسورين تحت جذبه.

لهذا كان أول نصيحة يتقبَّلها الإنسان المسيحي، أن ينتبه وهو في بدايــة حياتــه الإيمانية، أن لا ينجرف وراء جذب العالم، ومعاشرة الأشرار الذين يعبدون العــالم. هذا هو الجزء السلبي من الإيمان بالمسيح، القادر أن يبتلع الناشئين. ولكن بمجرد أن يبدأ الإنسان المسيحي طريقه الصحيح، ويصلّي ويتعرَّف على محبة المسيح، يبتعد عنه عملاء الشر. وبمجرد أن يحسّ بانحياز العالم ضده، يرتمي في حضن المسيح ويمسك بالإيمان.

وبمجرد أن يمسك الإنسان بالمسيح، يحتضنه المسيح. لأن وعده قائم كل الدهور، أن "من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً". هكذا جعل المسيح الإيمان بــه رهــن إشــارة الإنسان الذي نوى أن يدخل حظيرة المسيح.

وإزاء بغضة العالم لمن يقبل المسيح، يفتح المسيح أحضانه لكل من التجأ إليه.

والمسيح الذي أحبنا وأسلم ذاته من أجلنا، قد اشترانا من قبضة الشيطان بدمه، ولن يستطيع الشيطان ولا العالم أن يخطفنا من يد المسيح ويد الآب، التي هي قوتنــا وملاذنا الأبدي. فمهما بغض العالم وكشَّر العدو بأسنانه، فنحن في حمى من خلــق السماوات والأرض، وقد خلقنا جديداً بالروح لنفسه، فــنحن أولاد الله وأعــضاء

بيت الله. وحظنا ونصيبنا محفوظ لنا في السموات، نراه بالإيمان ونحيا لـــه بالعيـــان. ونسعد به في أحلك ساعات الظلام، لأن أعيننا مثبّتة فوق من حيث يـــأتي عوننـــا، تحرسنا يمين الرب حتى نعبر إليه ونتهلل لأن نصيبنا قد قرب.

وهكذا أصبح اضطهاد العالم لنا جزءاً لا يتجزّأ من الحياة اليومية، وتعوّدْنا عليها كما تعوَّدْنا على الصداع والإنفلونزا. أمورٌ لا يصحّ أن نقف عندها لأنها تحصد الكل، وليس أحد أعزّ من الآخر أمامها، بل هي التي تختار من تستضيفه عن رضى وصمت.

وحينما يرفع الإنسان بصره يرى المسيح قد جاز كل أنواع الاضطهادات ولم يشتكِ قط. فإن كانوا قد فعلوا ما فعلوا في رب المجد، أفكثير عليهم إن جعلوه طعامنا وشرابنا؟ فنحن نأكل الاضطهاد أكل الخبز ونشربه كالماء، ولكن بالرغم من ذلك فنحن بمسيحيتنا أكثر من منتصرين. ونقول ونسبق الحوادث كلها الآتية علينا من العالم، أننا غلبنا العالم وأعظم من المنتصرين.

وعلى قدر ما يذيقنا العالم من مرار، فسوف نذوق حلاوة الرب، وسوف نرى كم هو طيِّبٌ جداً، ومذاقه مذاق العسل المعقود.

واعلموا أن مرارَ العالم زمنيٌّ، وكل ما هو زمنيّ هو حتماً زائل، أما الرب فثابت للأبد. لذلك ألا يتحتم علينا أن نستبدل المرار بالعسل، والألم والوجع بالراحة الأبدية؟!

فاشربوا يا إخوة من المرار الزمني ولا تتمنَّعوا، فكل أطايب الملكوت محجوزة لكم، وكما صنعوا بالمسيح ليس بأقل مما يصنعون بنا، فنحن شركاء آلامه حقاً، ومجدنا هو صليبه ومساميره، وقد خار المسيح تحت ثقل الصليب، فإن خار أحدنا تحت الاضطهاد فلا ينسى صليب المسيح الذي وُضِع علينا أن نحمله رضينا أو لم نرضَ.




الساعة الثالثة من يوم الجمعة الكبيرة

+ مت٢٧: ١٥- ٢٦ + مر١٥: ٦- ٢٥ + لو٢٣: ١٣- ٢٥ + يو١٩: ١- ١٢

[١٥]وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَادًا فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلِقَ لِلْجَمْعِ أَسِيرًا وَاحِدًا، مَنْ أَرَادُوهُ. [١٦]وَكَانَ لَهُمْ حِينَئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاس. [١٧]فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاس أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» [١٨]لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. [١٩]وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». [٢٠]وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. [٢١]فَأَجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنْ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟» فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!». [٢٢]قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبْ!» [٢٣]فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرّ عَمِلَ؟» فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخًا قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبْ!» [٢٤]فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!». [٢٥]فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا». [٢٦]حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ.



أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلب

طوبَى للحزانَى لأنَّهم يتعزّون، طوبَى للمصلوبين لأنَّهم يتجلّون، طوبَى للمنسحقين لأنَّهم يَملكون، طوبَى للجياع لأنَّهم يشبعون، حيث تُنسَى هناك كل أوجاعهم وتُمسَح دموعهم وينمو موضعها نور يشير إلى الأهوال التي اجتازوها وإلى سرّ المَجد المتحصِّل منها، ويشرح عظَم صبْر الإنسان وقوّة مراحِم الله، حيث تبدو النسبة بيْن مقدار الألَم ومقدار المَجد المتحصِّل منه نسبة هائلة وغَيْر معقولة، فيكتشف الإنسان أن الآلام كانت فخّاً مقدَّساً نصبه الله ليصطاده إلى مَجده. فاحتمال الألَم أقوَى من العبادة.

ويقول أحد القديسين أنه رأى في رؤيا جَماعة الشهداء في مَجد يفوق مَجد الملائكة الذين كانوا معهم، ورأى حول أعناق الذين ماتوا منهم ذبْحاً بالسيف زهوراً حَمراء كعقدٍ موضع الذبْح تضئ وتتلألأ أشدّ لَمعاناً من كل نور آخر ظهر في الرؤيا!

إن سرّ الصليب بالنسبة للمسيح هو سرّ مَجده! فالألم الساحق الذي عاناه الرب تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم أثناء المحاكمة، وخيانة التلاميذ وتسليم يهوذا، وإحساسه أن حياته ثمّنوها بثلاثين من الفضة... هذه كلها كانت معبراً من عالَم التفاهة المتناهية إلى مجد الآب. وعلى هذا المعبر عينه يلزم أن تمر أقدام الإنسان في كل زمان ومكان.

الصليب بآلامه الرهيبة لا يُمكن أن يساوى المَجد الذي تَحصَّل منه. الصليب لَم يصادف الرب في طريق حياته، ولكنه وُلِدَ له "لِهذه الساعة أنا أتيتُ".

الإنسان يُولَد للألَم، والألَم مولود للإنسان. ولكن في نفس الوقت، الصليب لَم يكن إلزاماً حتمياً على الرب، كما نشعر من كلامه، وكما نتأكّد من جهة قداسته ولاهوته، ولكن هو نفسه جعله إلزاماً حتمياً على نفسه "الكأس التِي أعطانِي الآب

ألا أشربُها؟" لكي يشاركنا في حتمية الألَم، فَبدَا الله في شخص المسيح ابنه أنه يتألَّم اضطراراً، حتَّى يَجعل اضطرار الألَم مساوياً لاختياره، حتَّى لا يُحرم أي إنسان في الوجود من رحْمة الله، ويَمتدّ الصليب ليشمل كل مَنْ تألَّم ظلماً.

إن الألَم عثرة كبْرَى لعقل الإنسان، فالعقل لا يُجيز الألَم كواسطة لأي خَيْر، وما جهاد الإنسان في ميادين العلوم المختلفة ليس إلا مُحاولة لِتجنُّب الألَم والتعب.

لذلك فحتمية الألَم لدى العقل أمر عسير وشاقّ جداً، بل ومُحال قبولُها، لأن الرضَى بالألَم هو بعينه إلغاء العقل وكل نشاطه.

فلو أدركنا أن الصليب هو أعظم مظاهر تحرك الله على الصعيد العياني المنظور الذي فيه تجلى الله للإنسان (أكثر من تجليه على جبل تابور)، حيث الصليب هو الألم في صورته التعسفية الظالمة؛ حينئذ علينا أن نحس أن الصليب هو الدابَّة التِي ركبها الله القدير وانحدر عليها من مكان سُكناه هناك من موطن احتجابه الأزلِي، وجاء إلينا وصافحنا يداً بيد.

الصليب هو قوَّة ديناميكية الله الفائقة التِي أحدرت الله إلينا واستعلنته واضحاً. الألم هو بصورته المادية جمود وانحصار وتوقف، ولكن بجوهره الروحي تحرُّك وأي تحرُّك!

الإنسان يظل متوقِّفاً روحياً، وعاطلاً عن المسير، راجعاً مع المسيح إلى الله إلى أن يَحمل صليبه.

الإنسان يستحيل أن يتحرَّك نحو الله عقلياً، فالعقل مهما بلغ بالتأمّل، إنَّما يكتشف الله وحسب، ويكتشف نوره وحبه ويسعد ويرتدّ؛ ولكن التحرُّك الحقيقي كائن بالمسيح، فهو ابن الله الآتِي إلينا على الصليب، وعلى الصليب نتبعه إلى الآب.




الساعة السادسة من يوم الجمعة الكبيرة

+مت٢٧: ٢٧- ٤٥ +مر١٥: ٢٦- ٣٣ +لو٢٣: ٢٦- ٤٤ +يو١٩: ١٣- ٢٧

٢٧فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، ٢٨فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، ٢٩وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» ٣٠وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. ٣١وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ. ٣٢وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ. ٣٣وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» ٣٤أَعْطَوْهُ خَلاً مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. ٣٥وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». ٣٦ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. ٣٧وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ». ٣٨حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ. ٣٩وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ ٤٠قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». ٤١وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: ٤٢«خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! ٤٣قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!». ٤٤وَبِذلِكَ أَيْضًا كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ. ٤٥وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.

يوم القضاء ويوم البراءة

هذا اليوم يا أحبائي يوم عظيم.

هو أعظم أيام البشرية قاطبة. هو يوم الصليب.

والصليب هو يوم القضاء العظيم الذي دخلته البشرية، فخرجت مبررة ومبرَّأة.

يا أحبائي، أتوسل إليكم، تحسَّسوا موضعكم من ضـربات الظهـر، تحسَّسوا موضعكم من بصاق الوجه، تحسَّسوا موضعكم من القصبة وهي تهوي علـى رأس المخلص، إنها على رأسك أنت يا حبيبي.

اليوم يوم قضائك، وإن شئت وإن قبلت فهو يوم براءتك.

فاليوم تدخله برعدة حقيقية مع المسيح، مُعرّى الظهر، مفضوحاً، مـتفلاً علـى وجهك، منتوف الخدين، مضروباً بالقصبة على رأسك، ثم تتقدم بحريـة إرادتـك وتفرد ذراعيك بمشيئة إرادتك أيضاً وبسلطانك وحدك، ثم ترتفع معه سـراً قلـيلاً قليلاً، تتشجع معه من ضعف لتقف هذه الوقفة الشنيعة: مفضوحاً، مُعرّى، مـسمر اليدين والرجلين على الجسد العتيق الذي حمل كل خطية، لكيما ترتفع مـع ذلـك الجسد الطاهر، وتأخذ معه نصيب عقوبة. حينئذٍ تخرج معه بنصيب براءة...

نعم، اليوم هو يوم قضائك. لا تخف، تعالَ. عرِّ ظهرك مع الذي تعرّى ظهره ولم يخجل. تعال اكشف وجهك وعرِّضه ولا تلتفت إلى الوراء كما قال عنه إشعياء: «لم يرتد (أبداً).»

لا تخف، امشِ معه خطوة خطوة. فهذا هو ثمن خطاياك، ثمن كسر وصـايا الله... تعالَ، تعالَ معي، اشترك في هذه العقوبة التي تستطيع أن تغسلك بل تغـسل لحمـك ودمك وعظمك، بل تجعلك تولد من جديد بلحم طفل جديد.

تعالوا، تعالوا يا خطاة، يا مثقلي الضمير، تعالوا، فاليوم هو يومكم.

تعالوا لكي تعيشوا فيما بعد لا بضمير مثقل بالخطايا، ولا بضمير عليه خطية ما، بل بضمائر مطهرة مغسولة نقية بيضاء أكثر من الثلج.

تعالوا، تعالوا، إلى خلاص قد أُعِدَّ، وتبرئة سماوية ليس فيها إطلاقاً أي نقاش. إذ لا يمكن أن يُعاد نظر قضية سبق تقديمها والحكم فيها، وصدرت فيها براءة رسمية.

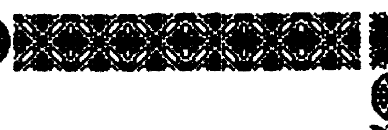
كل من له مثل هذه القضية، فليتقدم ليأخذ براءته اليوم، يأخذ "حكماً مماثلاً" بلغة القضاء اليوم، ومن هيئة سماوية وبختم الله.

يا خطاة الأرض كلها: أيها الخاطىء - أي خاطىء - تعالَ بما في قلبك وفكرك وجسدك وضميرك، من خطايا صغيرة كانت أم كبيرة، حتى شقَّت قلبك بالحزن.
تعالَ اليوم، وخُذْ صورة رسمية من البراءة تستطيع بها أن تقف، لا أمام كهنة أرضيين؛ بل أمام السموات وأمام يسوع المسيح، الذي هو محاميك وقاضيك ورافع البراءة عنك في حضرة الله؛ خُذْ براءتك من السماء نفسها، براءة لا يمكن النقاش فيها.

اليوم، دخل المسيح حاملاً شكل المجرم، كل مجرم، حاملاً كل خطية يمكن أن تطرأ على ذهن إنسان، ثقُلت مهما ثقُلت، ولها حكم الموت المطلق، دخل المسيح بها في محكمة الأرض والسماء، وتقدم وجاز كل عقوبتها في نفسه منذ أن رفعوا الثياب من على ظهره وضربوه عند الجلجثة، والدم منسكب من يديه وقدميه ومن جروح الأشواك المغروسة في جبينه، بل أستطيع أن أقول إن كل جزء في جسده تخضَّب بالدم.

الذبيحة قُدِّمت عن خطايا البشرية كلها، والدم صار على الجسد ثوباً جديداً مطهِّراً لكل خطايا البشرية. وبهذا الجسد عينه - الذي هو جسدك وجسدي - قام المسيح في اليوم الثالث ممجَّداً، وارتفع وجلس عن يمين العظمة في الأعالي ليصنع باستمرار شفاعة وكفارة ولينال لنا غفراناً عن كل خطية.

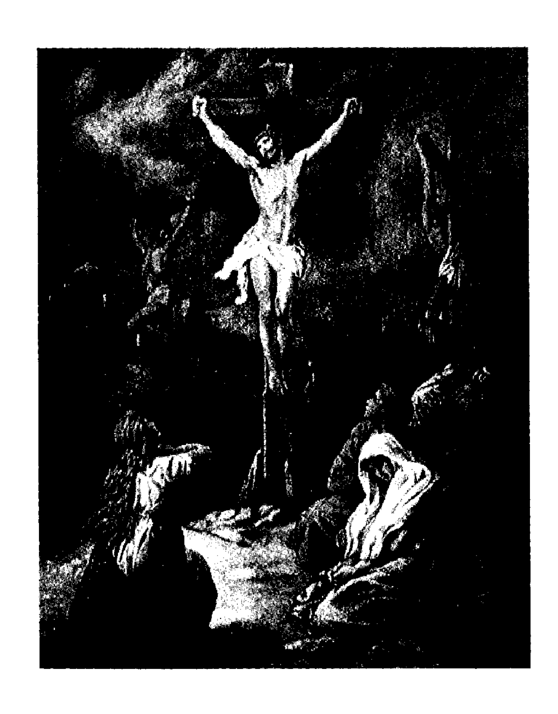
فاليوم يا أحبائي، يوم قضائكم، ويوم تبرئتكم أيضاً.

الساعة التاسعة من يوم الجمعة الكبيرة

+ مت٢٧: ٤٦- ٥٠ + مر١٥: ٣٤- ٣٧ + لو٢٣: ٤٥، ٤٦ + يو١٩: ٢٨- ٣٠

[٤٦] وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ [٤٧] فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا». [٤٨] وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. [٤٩] وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ!». [٥٠] فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.



إلهي إلهي لماذا تركتني

كانت الظلمة مخيِّمة على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، لقد صلبوا الكلمة نور العالم، فاختفى النور عن العالم بالحقيقة. فكيف يُرى النور على الأرض، والمسيح هو نور العالم، قد قُطع من أرض الأحياء؟!

كان لابد من الظلمة الخارجية، لأن النور الحقيقي حاولوا أن يخفوه عن العالم، واستطاعوا: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»، هنا خيَّمت الظلمة على الأرض بسبب هذا الظلم.

وكانت الظلمة الخارجية، صورة طبق الأصل لِمَا كان يجوزه المسيح على الصليب. وصَمَتَ المسيح أول ما حلَّت الظلمة على الأرض. أحسَّ بالموت يسري في جسده.

ولكن ما هذه الظلمة؟ لقد أرادت البشرية أن تعرف كنهها. ولماذا هي؟ إنها صورة طبق الأصل لِمَا كان يجوزه المسيح في الداخل: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟»

لا يمكن أن يقف مجرم أمام الله وعدله بوجه مكشوف! ولا يمكن أن يُرى الله بوجه مكشوف. لقد انحجب وجه الله عن ذلك الذي صار بحرية إرادته معتبراً مجرماً، ذلك المرفوع على الصليب بسبب الخطية.

لقد حمل المسيح كل خطايا البشرية على الصليب، فانحجب وجه الآب عن الابن المتجسد، دون أن ينفصل لاهوته عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

المسيح قال بفمنا وبفم كل خاطيء: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» لأنه لا يمكن أن يخطيء إنسان ثم يستطيع أن يقف أمام الآب بوجه غير مخزي. لا بد أن يعبر هذه الظلمة عينها، نعم لا بد أن يجوز مع المسيح من الساعة السادسة إلى التاسعة، لكي يدخل مرة أخرى إلى حضرة الآب.

وهكذا فإن النور الذي لا يمكن أن تدركه ظلمة، ارتضى أن يدخل الظلمة بإرادته، ولكن الظلمة لم تستطع أن تحتويه. فالمسيح وهو في القبر شقَّ ظلمة الموت

وخرج في فجر الأحد بنور يملأ السماء والأرض وينير المسكونة إلى دهر الدهور.

إذاً، فهو رضي بالظلمة، ولكن رضي بها إلى حين، رضي بها إلى زمان. هنا مفهوم الإخلاء هو مفهوم زمني وليس مفهوماً جوهرياً. المسيح تخلَّى عن مجده زمناً، وتخلى عن نوره زمناً، رضي في ثلاث ساعات أن يعيش في ظلمة قاتمة كإنسان خاطيء، وهو الإله، حاملاً خطية العالم كله على الصليب، في جسده. فانحجب عنه نور الآب، بل وحجب هو عن ذاته نوره الحقيقي، إذ هو النور الحقيقي.

هذه الصرخة يا أحبائي، هي صراخ الخاطيء حينما يحس أن الخطية حجبت نور الآب ونور الابن عنه.

هذه هي ظلمتنا التي نعيش فيها بين الحين والحين، حينما تُستعلن الخطية وحينما نحسها بالضمير الشفاف وبنور الإنجيل والآية، وعلى ضوء الكلمة والعظة، وعلى ضوء التأمل والتعمق بالقلب.

نواجه هذه الظلمة عينها، لا مفرّ، ظلمة مرعبة للغاية هي.

ولكن، شكراً للنور الحقيقي الذي لا يمكن أن تدركه الظلمة، ولا يمكن أن يحتويه قبر الخطية، فقد استطاع أن يجوزها عني، ماسكاً بيدي أنا الإنسان الخاطي.

فلا نخف أبداً! فمن ظلمة إلى نور! حيث يملك النور ولا يمكن أن تملك الظلمة علينا من بعد.

نعم يا رب، يا يسوعنا المصلوب، يا من جزت هذا كله عني، اذكرني، اذكرني أنت الآن في ملكوتك. اذكر شعبك لكي لا يستثقلوا الظلمة إذا غشيتهم ثلاث ساعات. ولكي لا يدخلوا اليأس أبداً طالما أنت هتكت ستار الظلمة بقيامتك.

ادخلنا اليوم يا ابن الله في هذا الصليب، لندخل معك القضاء ونخرج مغفوري الخطايا والزلات. آمين برّئنا يا ابن الله واقبلنا، في هذا اليوم، لنكون شركاء حبك العظيم الذي دفعك إلى هذا الصليب.



الساعة الحادية عشر من يوم الجمعة الكبيرة

+مت٢٧: ٥١- ٥٦ +مر١٥: ٣٨- ٤١ +لو٢٣: ٤٧- ٤٩ +يو١٩: ٣١- ٣٧

[٤٧] فلمَّا رأى قائدُ المِئةِ ما كانَ، مَجَّدَ اللهَ قائلاً: «بالحَقيقةِ كانَ هذا الإنسانُ بارًّا!» [٤٨] وكُلُّ الجُمُوعِ الَّذينَ كانُوا مُجتَمِعينَ لِهذا المَنْظرِ، لمَّا أبصَرُوا ما كانَ، رَجَعُوا وهُمْ يقرَعُونَ صُدُورَهُمْ. [٤٩] وكانَ جَميعُ مَعارِفِهِ، ونِساءٌ كُنَّ قدْ تبِعْنَهُ مِنَ الجَليلِ، واقِفينَ مِنْ بَعيدٍ يَنْظرُونَ ذلِكَ.



الصليب قوة مُحوِّلة

اليوم نتأمل الصليب كقوة مُحوِّلة، حوَّلت الموت إلى حياة، حوَّلت اللعنة الزمنية إلى بركة أبدية، حوِّلت الخطية إلى بر، حوَّلت العداوة إلى محبة، والظلام إلى نور.

الصليب قوة جديدة دخلت العالم تُحوِّل السلبيات التي كان يرزح تحتها الإنسان إلى إيجابيات ينعم بها.

فإن كان الصليب من الخارج هواناً ولعنة، فهو في الداخل مجد وبركة. وهذا في الواقع يعبر عن مضمون حياتنا التي نحياها في المسيح والتي يطالبنا بها الإنجيل كل يوم: «من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً».

الصليب هنا، بالمفهوم الإنجيلي، المطلوب منا أن نحمله كل يوم على أكتافنا كنير ثقيل، هو في حقيقته قوة حاملة للإنسان وليس ثقلاً عليه، يُحوِّل الموت الذي تملك الجسد بسبب الخطية إلى قيامة وحياة أبدية بسبب دم الغفران المنسكب عليها.

وبقدر ما يكون الصليب محنة حقيقية للنفس تجوز فيها النفس غُصَّة الموت؛ بقدر ما يتجلى الصليب عن سلام يفوق العقل.

كل من لم يعشْ صليب ربنا يسوع؛ فهو لم ينتقل أو يتحرك داخلياً ليذوق معنى العبور من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح.

أما من ارتضى أن يدخل في اختبار صليب المسيح، كنير يعيشه كل يوم بكل خسائره، عن مسرة، فهذا يعرف كيف تتحول الظلمة إلى نور، والحزن إلى فرح، والعداوة إلى حب، والضيق إلى مسرة وسلام.

الصليب هو معجزة الإنسان المسيحي التي يحياها كل يوم؛ وكل من لم يدخل في خبرة الصليب؛ فهو لم يذق بعد حلاوة المسيح ولا استمتع بعمق المسيحية.

الصليب هو القالب الذي ينصب فيه الإنجيل كله. فحينما يقول المسيح: «أحبوا أعداءكم»، يقولها على أساس أنك تحمل صليبه وتتقبل في نفسك موت الصليب بالإرادة، فإمكانية أن تفتح يديك للصالبين ليطعنوا كرامتك أو اسمك، ويسلخوا إمكانياتك وقدراتك وكل ما لك، هي كلها وصايا يسوع القائمة على أساس حمل الصليب بمهارة كل يوم للمسير وراء المسيح.

الصليب بحسب الواقع النظري جمود وخسران وعدم؛ أما بحسب الواقع الروحي فهو تحرك داخلي إلى أعلى، وانتقال من حال إلى حال أسمى، وهو تغيير جوهري من مستوى جسدي إلى مستوى روحي، وهو استبدال طبائع من مستوى بشري إلى مستوى إلهي، ثم هو بشارة عجيبة ومفرحة من موت إلى قيامة.

الإنسان الذي يرفض أن يموت بإرادته عن العالم، ويجزع من أن يصلب أهواءه وشهواته وأعضاءه من أجل المسيح، هذا الإنسان يظل غريباً عن حقيقة الصليب. ربما يكون دارساً مُدققاً لمعاني الصليب اللاهوتية مُتقِناً لمفهوم العقيدة نظرياً وفلسفياً، ولكن الصليب كحركة داخلية وقوة ترفع الإنسان من مستوى عجز الإنسان إلى مستوى تقديس الله، هذا يبقى شيئاً مخفياً عن عين الإنسان وعقله.

لهذا، فالصليب لا يمكن أن تُكتشف قوته الإلهية إلا عند قبول الموت أو الإماتة. وهكذا يظل الصليب جهالة ورُعبة، وموتاً جاهلاً لا يستطيع الإنسان أن يقترب منه، إلى اللحظة التي فيها يكشف الروح للإنسان عن سر مجد الشركة في صليب ربنا يسوع المسيح، حينئذ تدفع النعمة الإنسان في طريق الصليب ليذوق في شجاعة معنى الموت المحي مع المسيح. وحينئذ يتجلى الصليب كحكمة الله وقوته للخلاص.

الصليب لا يُحسب أنه صليب طالما نحن نعيش في اكتفاء وراحة مهما بذلنا وسط المحبين، لأنه إن كنا نحب ونبذل من أجل الذي يحبنا فهذا ليس هو حمل الصليب،

كقول الإنجيل: «فأي أجر لكم»، ولكن عندما ننجح في تقديم البذل مع الرافضين وغير الشاكرين بل والناكرين لعمل البذل والمحبة، ومع الذين يردون على الخير بالشر؛ فهذا هو الصليب حقاً.

الصليب يُحسب لنا صليباً، إذا استطعنا أن نمتد من البذل من أجل أحبائنا إلى البذل من أجل أعدائنا، ثم إلى الخسارة بإصرار وبرضا، وباستعداد الموت من أجل أحبائنا وأعدائنا معاً.

إذا استطعنا أن نضع هذا الحق نصب أعيننا كمسيحيين فنحن نُكرم الصليب وذكرى الصليب، لأننا بذلك نأخذ من المسيح سر الصليب كحقيقة نمارسها بالحب.

إن كان لنا هذا الاستعداد أن نبذل من أجل أحبائنا وأعدائنا ونخسر كل شيء في حياتنا باستعداد الموت، فنحن نستطيع أن نتجاوز مرارة الصليب إلى مسرة القيامة.

ولكن الصليب بالكلام سهلٌ، أما الحقيقة فمُرةٌ...

فالصليب ليس ضحكاً ومسرة، الصليب غُصة ومرارة قاتلة. الكلام عن الصليب لاهوتياً ووعظياً لذيذ وسهل؛ ولكن كتجربة، وحينما ندخل فيها نجدها علقماً.

وقوة الصليب ومفاعيله متعددة وكثيرة، نأخذ منها كنموذج: كيف ينقلنا الصليب من البغضة إلى المحبة: إنسان مظلوم يحقد ويبغض ويهدد، هذا في الحقيقة انحصر عنه نور الصليب لأن روح العالم استطاع أن يحتويه. والإنسان الذي ينفتح كيانه لحركة العداوة والحقد يلبسه روح العالم في الحال، لأن العداوة تتغلغل النفس والجسد والعقل والأعصاب ويصير وكأن سحابة مظلمة تُخيِّم عليه. وكما يقول يوحنا الرسول: «في الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي».

أكبر حاجز يحجز نور الحب الإلهي عن الإنسان هو العداوة والبغضة حينما تكون دفينة في القلب. الصليب وحده هو القوة الإلهية التي هدمت العداوة والتي جاء المسيح لكي يرفعها في جميع صورها، سواء بين الإنسان والله أو بين الإنسان والإنسان.

فإنسان يترك قلبه للبغضة معناه أنه لم يمت عن العالم بعد، لم يذق هبة محبة الآب للعالم أي الصليب!! هبة الآب للعالم هي بذل ابنه الوحيد على الصليب. فالصليب بحق هو قوة حوّلت العالم كله من تحت الغضب الإلهي إلى محبة أبوية فائقة. الآب استطاع بالصليب أن يصالح كل العالم لنفسه بالمسيح على الصليب متغاضياً عن جهالة الإنسان.

إذاً، فغياب المحبة معناها غياب الصليب، وبالتالي غياب محبة الله وسلامه.

كمسيحي، يمكنك أن لا ترشم الصليب على يدك، ولكن غير ممكن أن ترفض المسمار المُراد دقه في كفك. كمسيحي يمكن أن لا تحمل الصليب على صدرك، ولكن غير ممكن أن ترفض الطرد والتعيير والشتيمة والإهانة على اسم المسيح والصليب. وإلا كيف تقول: "مع المسيح صُلبت"؟

فإن كنت اليوم أتيتكم مُنذراً لكي نستطيع أن نعيِّد معاً عيداً صادقاً لصليب ربنا، فهو لكي نؤسس أو بالحري نجدد عهد المحبة بالصليب، أي باستعداد الموت بعضنا عن بعض، لا من اجل الأحباء فقط؛ بل من أجل الأعداء أيضاً والعالم كله.

فإن كنا نريد أن نُعيِّد للصليب، ليس اليوم فقط بل كل أيام حياتنا، عيداً صادقاً يُرضي قلب المسيح المطعون، ويُنعش حياتنا؛ فعلينا أن نؤسس اليوم، عهد محبة أخوية لا تطفئها عداوة لأي سبب كان، ولا تَشوبها حركة بغضةٍ واحدة لأي إنسان، حتى ولو كان شاهراً الموت في وجوهِنا.

لو نحن استطعنا أن نؤسس في القلب هذا العهد، فهذا يكون حقاً عيداً للصليب، في الأرض وفي السماء.



الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة الكبيرة

+ مت٢٧: ٥٧ - ٦١ + مر١٥: ٤٢ - الخ، ١٦: ١ + لو٢٣: ٥٠ - الخ + يو١٩: ٣٨ - الخ

[٤٢] وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، إِذْ كَانَ الاسْتِعْدَادُ، أَيْ مَا قَبْلَ السَّبْتِ، [٤٣] جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ، فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. [٤٤] فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟» [٤٥] وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ. [٤٦] فَاشْتَرَى كَتَّانًا، فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتًا فِي صَخْرَةٍ، وَدَحْرَجَ حَجَرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ. [٤٧] وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسِي تَنْظُرَانِ أَيْنَ وُضِعَ. [١] وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ.

جثسيماني والصليب والقبر

+ المجد لك أيها الواقف على رمية حجر من تلاميذه الأخصاء،

+ المجد لك يا مَنْ وقفتَ حزيناً حزناً دخل أعماق نفسك حتى إلى الموت وأنت حيٌّ،

+ المجد لك أيها الساجد على الأرض تصلّي أمام الآب، وأنت الابـــن الوحيـــد المحبوب الذي تُقدَّم لك كل صلاة،

+ المجد لك أيها المنبطح على الأرض والمعفَّر الوجه بالتراب، وأنـــت صـــاحب الوجه السمائي الذي ترتعب منه كل قوات السماء،

+ المجد لك يا مَنْ تقطَّر العرق من جبينك ثخيناً كقطـــراتِ دمٍ، لأن الإرهـــاق والحزن عصف بالجسد، وهي ساعة التجربة العظمى، والـــنفس في مـــرارة تُعـــاني سكرات الموت بدون موت. فأنت الحيُّ والمُعطي الحياة.

+ ليس خوفاً من موتٍ دَخَلَتْ الرُّعبة قلبك. فنبض قلبك يُحيي السماء ويُقـــيم الأرض ويرسم قانون الحياة لكل مخلوق حيٍّ.

+ ولا خوفاً من ألمٍ قادمٍ وعذابٍ وتعذيب، فأنت الرافع الألم من كـــل متـــألِّم، الذي يمسح كل دمعة من عين كل حزين، ويُشدِّد قلوب الموجوعين، ويقتـــل كـــل وجع عن كل جسد احتمى فيك وارتمى في حضنك.

+ ولا رُعبة من عدوٍّ قادم في يده سلطان الموت والهاوية، فأنـــت الـــذي أرعبتـــه وزعزعت سلطانه، وعتيدٌ أن تقيِّده بصليبك وتلقيه في بحيرة النار الأبدية الـــتي تأكـــل المضادين للحق والكذابَ وأبا كل كذاب؛ لأنك أنت الحق الوحيد القائم الدائم الذي يحكم بالهلاك الأبدي على المنافق الشرير الذي أذلَّ بني الإنسان وأركبهم الهوان.

+ أنا علمتُ سرَّك وانكشف لي مصدر حزنك الذي بلغ بك حدَّ المــوت بــلا موت، وأدركتُ شدَّة العذاب والتعذيب الذي أَلَمَّ بك بلا عذاب ولا تعذيب. نعم، أدركتُ سرَّ الوجه المعفَّر بتراب الأرض، والدموع التي تتقطَّر بلا كيــل، والعــرق الذي يتصبَّب كالدم!

علمتُ: لماذا الرعبة التي أخذت بك كل مأخذ ودخلت عمق قلبك بلا مناص؟!

وعلمتُ سرَّ رهبتك من الألم الذي أَلَمَّ بالنفس دون الجسد، وسر العذاب الذي برَّح بروحك والتعذيب الذي تعانيه وأنت واقف قدَّام أبيك، نعم وأمام حبه وقــد تباعد عنك؛ فأنت تتعذَّب وحدك، والآب سُرَّ أن يسحقك بالحزن. فلماذا لا تحزن حزن الموت ولا منقذ؟

علمتُ أي ألم هذا، وأي دموع كانت، وأي كسرة قلب، وأي رُعبة مِن القــادم عليك. والآب قد تخلَّى عنك، نعم قد تخلَّى، وسُرَّ أن يتركك وحدك وأنت الابــن المحبوب القائم في حضن الآب.

نعم، عرفتُ وتأكَّدتُ وانكشف لي السرُّ؛

فهي خطايا البشرية بكل أثقالها وصنوفها التي حمَّلها عليك أبوك وأنت منها كلها براء، وقد قبلتَ حملها من يد الآب منذ الأزل وأنت مع الآب في غرفــة المــشورة الأزلية، وعلى أساسها قبلت التجسُّد لتحملها برضاك ورضا الآب.

ولكن: أمام واقع فظاعة ما تعنيه الخطية من خصومة حتمية مــع الله، فزعــتَ، فكيف تلاجج الآب الذي أنت واحدٌ معه وقائمٌ فيه وفي حضنه الأبوي ومن عنــده خرجتَ. كيف، وخطية التجديف هي أُم الخطايا! كيف تحملها في جسدك، وكيف تقف بها أمام الآب؟ كيف تنكره؟ أيُّ رُعبة هذه، وأيُّ فزع أَلَمَّ بك؟ وهل يمكــن؟ وهل يجوز؟ وهل يَرضَى الآب؟

نعم، رَضِيَ لَمَّا رَضِيَ أن يضع عليك خطية الإنسان لتكفِّر عن ذنبه. أيُّ تمزُّقٍ أَلَمَّ بنفسك! كيف وأنت الطاهر القدوس تقف حاملاً خطية الزنا كأنك زانٍ؛ نعم، كأنك زانٍ والمترئس على كل زناة الأرض؟

الآن عرفتُ كسرة قلبك، ولماذا وجهك غطّاه تراب الأرض حتى يختفي من نظر الآب! وسرّ هذه الدموع والعرق يتصبَّب كالدم. نعم، لقد ثقل عليك الحِمْل وثقلتْ يد الآب عليك، فلماذا لا ترتمي على الأرض وهرب منك الشجاعة وتخونك الدالة التي تربطك بالآب وهي قائمة فيك!؟

أتحمل كذب الإنسان وتتبنَّى حنثه وخداعه وإنكاره للحق وتنكُّره للصدق، وأنت وحدك الحق والصدق كل الصدق؟! كيف تحمَّلتْ نفسك أن تقف أمام وجه الآب كأنك كذَّاب والمحامي عن كل كذَّاب؟ أتأخذ عليك جريمة الشيطان في الإنسان! أتتبنَّى قضية القاتل لتأخذ عليك قتله الذي فعل؟ وتقف أمام الآب كأنك قاتل ومزهق الأرواح وأنت مُعطيها وأبوها! كيف؟

وقفتَ، يا سيدي، كأنك سارق ولص فاجر أمام أبيك وتبنَّيتَ قضية الفاجر، فكان من السهل عليك أن تطلق اللص المصلوب معك كأول فاجر نال البراءة. والآن علمتُ لماذا قال الحكيم بولس: «الذي يؤمن بالذي يُبرِّر الفاجر، فإيمانه يُحسَبُ له برًّا »، لماذا؟ لأنه يكون قد آمن بالصليب وعمل المصلوب.

الآن عرفتُ: لماذا جثوتَ وجثوتَ وجثوتَ، وصرختَ للقادر أن يُخلِّصك بدموع أن يرفع عنك ثقل الكأس، وما رفعه؛ فنفسك الوديعة انهارت أمام رُعبة خطية الإنسان! ولكن من أجل هذه الساعة أنت أتيتَ، ومن أجل خطية الإنسان تجسَّدتَ لتشرب كأسه المنجَّس، ولتحمل حمله القذر، وتقف لتُحاكَم كإنسان الخطية! ...

الآن عرفتُ: لماذا كانت الصرخة القوية وبالصوت العظيم: «إلهي إلهي لماذا تركتني»

فلولا هذا الترك الذي جرح قلبك، والذي عَبَرْته إلى لحظة، والذي تحمَّلته وحدك كخاطئ وأبي كل الخطاة أمام قضاء الآب؛ ما استطعتَ أن تموت، ولا استطعتَ أن تنزل إلى القبر لتدفن فيه خطية الإنسان ولثلاثة أيام، حتى توفِي حقَّ العقوبة بالكامل كإنسان الخطية حتى يتبرَّأ الإنسان من الخطية ويُعتق إلى الأبد من عقوبتها ولعنتها ولعنة الموت!! هذه هي قوة الصليب، وهذه هي قوة المصلوب.

جبَّارٌ أنت، يا سيدي، جبَّارٌ ... حقًّا، أكملتَ صفة الله بجدارة. فأنت أنت الذي عرفه العهد القديم كله بصاحب الجبروت. هذا هو جبروت الله، استعلنته على الصليب بأقوى ما يكون الجبروت.



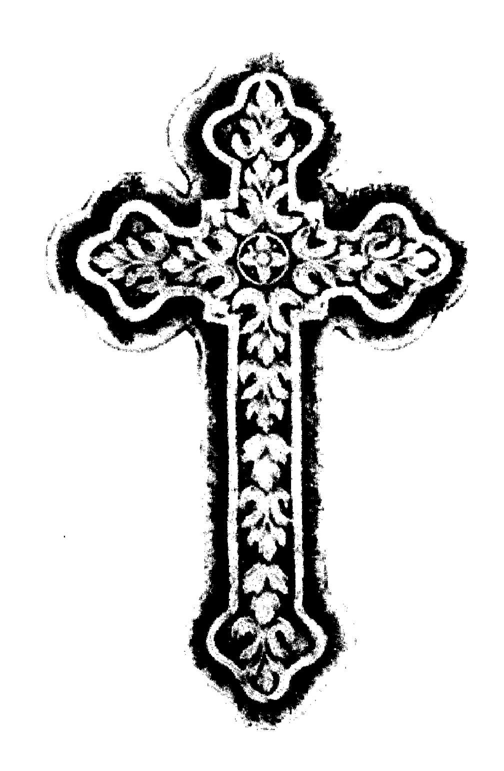
فهرس المراجع

الساعة	عنوان العظة	المرجع
مقدمة أسبوع الآلام	إن كنا نتألم معه نتمجد معه	عظة غير منشورة
سبت لعازر	حلوه ودعوه يذهب	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٦٢
عشية أحد الشعانين	امتلأ البيت من رائحة الطيب	شرح إنجيل ق. يوحنا ج١ ص٧١٥
أحد الشعانين	لأنك لم تعرفي زمان افتقادك	عظة مسجلة في عيد الشعانين سنة ٧٤
س٦ أحد الشعانين	أوصانا "هوشعنا أي خلصنا"	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٦٦
س٩ أحد الشعانين	دخول المسيح أورشليم	المسيح حياته وأعماله ص٣٥٤
س١١ أحد الشعانين	ترجي أم ابني زبدي في أمل بعيد المنال	شرح إنجيل ق. متى ص٥٦١
س١ ليلة الاثنين	الصليب قوة رافعة	مع المسيح ج٤ رقم ٢٩
س٣ ليلة الاثنين	صليبي وصليب المسيح	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٢٠٥
س٦ ليلة الاثنين	حمل الصليب وتبعية المسيح	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص١٩٤
س٩ ليلة الاثنين	الصليب آلة العبور إلى الملكوت	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص ١٩٦
س١١ ليلة الاثنين	الإيمان واستجابة الصلاة	شرح إنجيل ق. متى ص ٥١٢
باكر يوم الاثنين	شجرة التين غير المثمرة	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٧١
س٣ يوم الاثنين	لعن شجرة التين	شرح إنجيل ق. متى ص٥٨٢؛ المسيح حياته وأعماله ص٣٠٧
س٦ يوم الاثنين	تطهير الهيكل	المسيح حياته وأعماله ص ٣٥٨؛ شرح إنجيل ق. مرقص ص ٤٧٨
س٩ يوم الاثنين	بأي سلطان تفعل هذا	المسيح حياته وأعماله ص ٣٦٠

س١١ يوم الاثنين	قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن	مع المسيح ج٢ رقم ٦٧
س١ ليلة الثلاثاء	أقليل هم الذين يخلصون؟	شرح إنجيل ق. لوقا ص٥٤٤
س٣ ليلة الثلاثاء	أردت ولم تريدوا	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٥٩
س٦ ليلة الثلاثاء	اسهروا إذاً وتضرعوا	شرح إنجيل ق. لوقا ص٦٧٤
س٩ ليلة الثلاثاء	توجيهات روحية	رسائل القمص متى المسكين رقم ٤١
س١١ ليلة الثلاثاء	معرفة الأزمنة والأوقات	شرح إنجيل ق. متى ص٦٧٥
س١ يوم الثلاثاء	أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق	شرح إنجيل ق. يوحنا ج١ ص٥٣٣
س٣ يوم الثلاثاء	يا أورشليم يا أورشليم	شرح إنجيل ق. متى ص ٦٢٩
س٦ يوم الثلاثاء	النور الذي يقود إلى الحياة	عظة على هذا الإنجيل، الصوم الكبير ١٩٨١
س٩ يوم الثلاثاء	علامات المجيء الثاني	المسيح حياته وأعماله ص٣٣٠، ٣٦٨
س١١ يوم الثلاثاء	مثل الوزنات	شرح إنجيل ق. متى ص ٧٠٣
س١ ليلة الأربعاء	الدعوة إلى عرس ابن الملك	شرح إنجيل ق. متى ص ٥٩٤
س٣ ليلة الأربعاء	اسهروا لأنكم لا تعرفون اليوم	شرح إنجيل ق. متى ص٦٨١، المسيح حياته وأعماله ص ٣٢٦
س٦ ليلة الأربعاء	العشر العذارى	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٧٦
س٩ ليلة الأربعاء	طوبى لمن وضع الموت بين عينيه	رسالة بعنوان: مقابلة الموت، غير منشورة
س١١ ليلة الأربعاء	الصليب عطية الله للإنسان	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص١٦٩
باكر الأربعاء	ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد	شرح إنجيل ق. يوحنا ج٢ص١٠٧٨، الوحدة الحقيقية ص٢٢
س٣ يوم الأربعاء	الصليب شهوة المسيح العظمى	رسائل القمص متى المسكين ص٢٤١

س٦ يوم الأربعاء	تذكار المحبة	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٨١
س٩ يوم الأربعاء	مَسحة الموت المعطرة للجسد	شرح إنجيل ق. متى ص٧٤٠
س١١ يوم الأربعاء	وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب..	شرح إنجيل ق. يوحنا ج١ ص٧٤٨
س١ ليلة الخميس	لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها	مع المسيح ج٢ رقم ٨٠
س٣ ليلة الخميس	المرأة صاحبة الطيب الكثير الثمن	شرح إنجيل ق. مرقس ص٥٣٨
س٦ ليلة الخميس	الخطية والظلمة صنوان لا يفترقان	شرح الرسالة إلى أفسس ص٣٠٧
س٩ ليلة الخميس	ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي	مع المسيح ج٢ رقم ١٠٥
س١١ ليلة الخميس	أنا قد جئت نوراً للعالم	مع المسيح ج٢ رقم ٥٧
باكر خميس العهد	اللإفخارستيا ترياق عدم الموت	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص١٨١
س٣ يوم الخميس	جسد ودم وروح وحياة	مع المسيح ج٤رقم ٢٨؛ ألقاب المسيح "خبز الحياة " ص ٢٢٢
س٦ يوم الخميس	شهوة اشتهيت أن آكل الفصح معكم	شرح إنجيل ق. لوقا ص ٦٨٢
س٩ يوم الخميس	اشربوا منها كلكم	شرح إنجيل ق. متى ص ٧٥٩
لقان خميس العهد	محبة إلى المنتهى	عظة مسجلة سنة ١٩٧٥
قداس خميس العهد	هذا هو جسدي، هذا هو دمي	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٨٥
س١١ يوم الخميس	جثسيماني بستان معصرة الزيت	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص١٧٤
س١ ليلة الجمعة	الحياة الأبدية هي معرفة الأب والابن	مع المسيح ج٤ رقم٥٠؛ ج٢ رقم٧٦
س٣ ليلة الجمعة	سمعان سمعان هوذا الشيطان...	رسائل القمص متى المسكين ص ٤٠٠
س٦ ليلة الجمعة	جثسيماني	المسيح حياته وأعماله ص٤٠٣
س٩ ليلة الجمعة	كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي	رسائل القمص متى المسكين ص٢٦٦

س١١ ليلة الجمعة	آلام الإنسان شركة في آلام المسيح	مع المسيح ج١رقم ٢٤، ج٣ رقم ٣٢
باكر الجمعة الكبيرة	مملكتي ليست من هذا العالم	مع المسيح ج٤ رقم ٤٥؛ ج٢ رقم ٩٢
س٣ يوم الجمعة	أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلب	رسائل القمص متى المسكين رقم ٩٦
س٦ يوم الجمعة	يوم القضاء ويوم البراءة	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٢٠٧
س٩ يوم الجمعة	إلهي إلهي لماذا تركتني	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٢٢١
س١١يوم الجمعة	الصليب قوة مُحوِّلة	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ص٢٤٦
س١٢ يوم الجمعة	جثسيماني والصليب والقبر	مع المسيح في آلامه حتى الصليب ط٦ ص٤٠٦











هيا نسير معاً على درب الصليب،

ونُكمِّل أسبوع آلام العبور.

نتواعد بالمسيرة، ولكن في قلوبنا،

وكلّ له مسيرته وله آلامه وله حبه.

ولكن نعبر جميعاً ولا يتخلف أحد.

ما أمجدها آلام، وما أعظمه أسبوعاً فصحياً،

ذلك الذي ننال فيه هذا العبور.

فلنجعلها آلام حب، آلام طوعية،

نمزج دموعنا بخبزنا ونبلل بها فراشنا.

لا نعطي فيها راحة لصدغنا ولا نعاساً لأجفاننا،

حتى نعبر، حتى نجوز وادي ظل الموت،

ويشرق علينا المسيح بقيامته.

